رواية

صدفه أم قدر

للكاتبه ملاك



تصميم الغلاف : محفوظ أحمد


ملاك
رواية
صدفة ام قدر
لـ
ملاك
1
صدفة ام قدر



تصميم الغلاف

محفوظ احمد

تصميم داخلى وتعبئة

يارا طارق

تصدر عن دار حكاوى الكتب
WWW.HAKAWELKOTOB.COM

المقدمة

فتح عينيه ببطئ ليقابله بياض في

كل مكان، ضغط عينيه بشدة

وفتحهما من جديد فرأى ملامح اشتاق

اليها امامه، وجهها البشوش، عيونها

الخضراء والاهم... نكهة الكرز

التي عشقها، اعتدل في جلسته يمعن

النظرفيها، يتاكد انه ليس في

حلم، مد يده نحو وجهها فشعر

بملمسها ، اتسعت ابتسامته اكثر

فبادلته البسمة وجذبته خلفها نحو

مكان يجهله، تبعها بلا مقاومة ليجد

نفسه فجاة امام منظر طبيعي خلاب...

بحيرة واسعة يسبح فيها بط كثير،

خضرة جميلة تحيط بالمكان

وفراشات تنتقل حول الازهار الملونة

بخفة، زقزقة عصافير تطرب الجو

والاجمل من ذلك قصيرته بجانبه...

جلست تحت ظل شجرة كبيرة فجلس

خلفها يحيط ذراعيه حولها ، اسندت

راسها على صدره هامسة:

-اعجبك المنظر!!

اغمض عينيه يستنشق عبير

خصلاتها الشقراء:

-بحضورك...

تنهدت بارتياح بين يديه مستسلمة

لأنفاسه التي تداعب عنقها، عم

الصمت قليلا فقطعه بنبرة حازمة:

-انتقمت منهما...وقبل ان يكمل

استدارت تضع سبابتها على شفتيه:

-ششششش... لا تعكر مزاجك... فقط

استمتع...

قبل سبابتها الموضوعة فوق شفتيه

هامسا:

-اشتقت اليك...

اكتسبت وجنتيها صبغة باللون

الاحمر فتابع بمكر وهو يسند

جبينه لجبينها:

-الم تشتاقي لي!!

ابتسمت بحياء وهي تومئ براسها

ايجابا فاراد استفزازها:

-اتعلمين شيئا!!

رفعت عينيها اليه بحيرة فاسترسل:

-لا تزالين فاتن القصيرة...

زمت شفتيها بغضب ودفعته بيدها في

صدره تبتعد عنه متجهة نحو

البحيرة، اتجه خلفها بخطى سريعة،

حملها بين يديه والقى بها في الماء

دون الاكتراث لصراخها... نظرت اليه

بغيظ هاتفة:

-ابراااااهيم... ستندم...

جلس على الارض ممسكا بطنه من

الضحك فظلت تتامله بحب، هذه اول

مرة تراه يضحك بهذه الطريقة،

لطالما كان جديا حد العبوس، حتى

سعادته اكتفى بابتسامة للتعبير

عنها لاحظ نظراتها اليه فتوقف عن

الضحك متسائلا:

-ماذا هناك!!

مدت يدها بدلال تطلب مساعدته

لاخراجها فلم يتردد في تقديمها لها ،

امسك اصابعها بين كفه فجذبته

بكل قوتها ليسقط في الماء هو

الاخر، نظر اليها بغيظ فابتسمت

ببراءة وبدأت ترشقه بالماء

كالاطفال، خرج من الماء هاربا

تتبعه بتوعد ، توقف فجاة فاصطدمت

بصدره العريض، رفعت عينيها لتلتقي

بعينيه السوداوتين، امسك كفيها

بين يديه يكبلهما خلف ظهرها

فحاولت الفكاك لكنه احكم

قبضته عليها وانحنى يستمتع بمذاق

الكرز خاصته...

الفصل الاول

الأحلام... سلسلة تخيلات تلجأ اليها

النفس لاشباع دوافع ورغبات

مكبوتة، رغبات عجز الواقع عن

تحقيقها واشتاقت النفس لها

ولرؤيتها... كأشخاص وضعوا تحت

التراب فأصبحت رؤيتهم من جديد

امرا مستحيلا!

وها هو نفس الحلم يتكرر من

جديد... بحيرة، بط، وهما الاثنان

بالماء يتراشقان، سعادة بالغة تشع من

اعينهما وعالم افتراضي أدخلتهما فيه

عل فؤادها المتعب يهنؤ ويرتاح ...قد

تكون رؤيا وقد تكون اضغاث احلام

لا تعلم، لكنها تشعر انهما بخير

وهذا رائع... يعوضان حياة سلبت منهما

في ليلة كان من المفترض

تسميتها... ليلة العمر!

زفرت بحزن وهي تمسح آثار الدموع

التي حفرت مسارها بدقة على

وجنتيها طوال السنوات الماضية،

فكما تراودها الاحلام المطمئنة،

هناك كوابيس مرعبة لا تنفك

تطاردها، عن رجل يجري بلا توقف،

بأنفاس لاهثة يصرخ طلبا لمساعدة

تعجزهي عن تقديمها فيختفي من

امامها داخل غمامة سوداء قاتمة

لتوقن في النهاية انه لم يكن

سوى... زوجها!!

شعرت باصابع رقيقة تسمح دموعها

فرفعت بصرها لتقابلها عينان

خضراوتان بسؤال:

-نفس الحلم؟

هز رأسها ايجابا فجلست الاخرى الى

جانبها تحتضن كفيها برقة قبل ان

تسأل من جديد:

-ماذا عن الكابوس؟!

انفلتت دمعة حارة من عينها اليسرى

فمسحتها الجالسة امامها بسرعة:

-عمتي... انسي ما حدث واريحي

نفسك...



تأملتها بحنو، ملامحها الجادة، نبرتها

الواثقة حتى لون عينيها الاخضر

المميز... كل شئ يذكرها بها...

فاتن، جارتها، اخت شقيقها بالرضاعة

وصديقة طفولتها عادت من جديد...

عادت في صورة اخرى جديدة،

بملامح مختلفة وطباع هي نفسها...

كأنها ابنتها هي وليست ابنة آدم

شقيقها..ضمتها اليها بحنو تقبل

مقدمة راسها:

-لا تقلقي على عمتك حبيبتي...

اخبريني كيف حالك وحال

مكتبك؟

ابتعدت عن حضنها بابتسامة:

-انا بخير ومكتبي ايضا... كل شئ

على خير ما يرام...

تحولت النظرة الى مشاكسة من

طرف العمة:

-ماذا عن العملاء... ألم تجدي معجبا

واحدا بينهم؟

وقفت تدور حول نفسها بغطرسة:

-وهل يوجد من بامكانه مقاوة سحر

فاتن العريبي؟!

حكت الاخرى جبينها بتفكير:

-يبدو ان الغرور جينة وراثية في

صاحبات هذا الاسم...

عادت تجلس الى جانبها بلمعة

ماكرة بين جفنيها:

-افضل تسميته ثقة بالنفس وليس

غرورا... ألم تخبروني ان عمتي فاتن -

رحمها الله- كانت شخصا واثقا من

نفسه؟!

قاطعهما صوت طرق خفيف على

الباب صاحبه دخول آدم بابتسامته

الوقور، اقترب منهما يطبع قبلة على

جبين كلتيهما:

-كيف حال أميرتاي اليوم؟

سارعت فاتن بالاجابة كأنها في

قضية تخشى خسارتها:

-عمتي وفاء تتهمني بالغرور...

اصطنع الغضب وهو يخاطب وفاء:

-كيف تتهمين ابنتي بالغرور؟!

وأكمل بعدما رأى الحماس في عيني

فاتن:

-ألا ترين انها منتفخة كالطاووس

المتغطرس؟

انفجرت وفاء ضاحكة بينما احمرت

عينا فاتن بغضب، عقدت ساعديها

امام صدرها واخذت تهز قدمها

بتوعد:

-اشبه الطاوس اذا؟!

رفع يديه امام صدره بدفاع:

-وهل يوجد اجمل من الطااووس

لتشبيه فاتنتي به!!

ازداد حنقها اكثر فهتفت بنفاذ صبر:

-ماذا عن المنتفخ؟

اقترب منها يقرص وجنتيها بشقاوة:

-ألم تنظري الى انعكاس صورتك

في المرآة؟

ابعدت يديه عنها وخرجت من الغرفة

بعدما قبلت عمتها مودعة فلحقها الى

الخارج ينتهز فرصة ابتعادها عن

وفاء... اخرج ورقة مطوية من جيب

سترته يسألها بحزم يناقض شقاوته

قبل قليل:

-ما هذا فاتن؟

اتسعت عيناها بصدمة بينما انحبست

جميع الكلمات داخل حلقها

باستثناء:

-هذه... هذه...

مزق الورقة الى اشلاء صغيرة واعادها

الى جيب سترته، ضمها الى صدره

يبثها أمانا هي بحاجته:

-دعي أمر ذلك الصحفي لي...

رفعت عينيها اليه بمعارضة، ذلك

الصحفي بحاجة لتحذير صارم وليس

محاضرة مملة يلقيها والدها عليه فلا

تعود بأي نتيجة تذكر:

-أعلم انك طلبت مني البقاء بعيدة

لكنها المرة الثانية التي ينشر فيها

عن خصوصيات عائلتنا... ما حدث في

الماضي ليس من شأنه ومحاضرتك

لم تفدنا بشئ...

واخفضت عينيها باسف عما ستقدم

عليه:

-حتى لو مزقت الورقة... العنوان

محفور بذاكرتي...

تأملها بحيرة، هو قلق عليها، يخاف ان

تقحم نفسها بشئ هو اكبر منها...

يخشى فقدانها وخسارتها... ابنته

الوحيدة، من حرم بعدها نعمة

الخلفة فكانت له نعم العوض،

حبيبته وفلذة كبده وذكرى

شقيقته الراحلة شقيقته التي تشبعت

ابنته بطباعها فأصبحت نسخة

جديدة عنها، نسخة من العنفوان

والكبرياء والقوة... تفعل ما تريده

وتنفذ ما تقرره...لكنه لن يسمح لها

بالتورط... سيحميها ويفعل اي شئ من

اجل مصلحتها حتى لو اغضبها واثار

حنقها...منعها من التدخل في الامر،

حذرها من مجرد التفكير فيه

وطمأنها انه سيتولى المهمة بنفسه بل

سيحلها وينهي الامر في أقرب وقت...

لكنها فاتن... والكلام معها محض

عبث!

* * * * *

وان كان الاب مصدر أمان فالأم منبع

حنان، تغدق به على صغارها في كل

زمان ومكان، بلا كلل او ملل تعطي

وتعطي حتى يتعجب العطاء من

فعلها... سعادتهم غايتها فلا تتوقف

إلا حين توضع تحت التراب...

ولو كان الصغير واحدا ووحيدا

فالاهتمام اكبر والخوف أعظم،

حينها ستكرس كل وقتها وحياتها

لخدمته، تدليله والحرص على

راحته... خاصة كونه الذكرى

الوحيدة المتبقية من حبها وعشقها

الأول... حبها الذي ولد في مستشفى

ودفن على قبر غريمتها بينما هي

عاجزة!

حب لم تستطع نسيانه رغم سنوات

الزواج الطويلة التي رزقت خلالها

بطفل صغير تعجز الكلمات عن

وصف روعته، ليأتي دور القرار

الأعظم... اطلاق لقب الحبيب السابق

عليه محيية بذلك شعلة ذكرى لا

تنطفئ...

لكن سعادتها باتت مصدر قلق، خوف

وهلع... صغيرها أصبح شابا أتم عقده

الثالث، عمله كصحفي كلل

بالنجاح وها هو يحاول فعل شئ مميز

كما هو حال كل من بعمره... لفت

الانظار الى قضايا غامضة لا يعلم

أحد ماهيتها!والمصيبة انه يحاول

جاهدا معرفة سر ابراهيم الخليلي،

سبب وفاة زوجته ليلة زفافه واختفاءه

لمدة عام كامل بعد استقالته من

الجامعة التي اعتاد العمل بها ليظهر

بعد ذلك في مقبرة... ميتا!

حاولت ثنيه، اخبرته عن خطورة ما

يقوم به، جربت كل الطرق لايقافه

وردعه عن تحقيقات لا طائل منها

فأحداثها قد وقعت وكشف حقيقتها

لن يعيد اصحابها الى الحياة لكنه

رفض، عاند وابتعد لينتهي الامر

بمقاطعة وشك وليد ناحية الأمر،

حتى معاملته اصبحت باردة جافة

ناحيتها...انتشلها صوت زوجها من

دوامة أفكارها فاستدارت ناحيته

بتساؤل:

-عفوا... أعد ما قلته؟

ارتفع صوته اكثر بتذمر:

-قلت توقفي عن الشرود في أشياء

تافهة وقومي لاعداد الفطور فأنا

جائع...

تجاهلت تلميحه المزعج وقامت نحو

المطبخ تحاول تحضير ما يحبه

متفادية بذلك نوبة غضب هي في

غنى عنها... وضعت الحليب على النار

وفتحت الخزانة بحثا عن القهوة

لتنتبه فجأة لوجود جريدة اليوم على

طاولة المطبخ، تركت ما بيدها

وقامت بفتح الجريدة المطوية فهالته

ما رأت...

"اغتصاب ليلة الزفاف"

عنوان عريض تصدر عنوان صحيفة

اليوم والى جانبها وقع اسم ابنها

بوضوح، تهاوت على الكرسي بضعف،

الغبي يقترب من فك لغز الاحجية

والأمر لن يمضي على خير أبدا...

ليس والعصابة لم يتأكد خبر

انتهائها بعد وهو لن يتردد في نشر أي

معلومة تطالها يديه ما دامت تتعلق

بالقضية المثيرة للجدل!ضغطت زر

الاتصال تطلب شخصا هو الوحيد

القادر على اجابة سؤالها ، واصل

الهاتف الرنين لمدة قبل ان يجيبها

بصوت ناعس:

-صباح الخير...

تخطت المقدمة المملة بصوت خافت

خشية سماع زوجها لها:

-أخبرته أليس كذلك؟!

اعتدل في فراشه يتساءل ببلاهة:

-أخبرت من بماذا؟!

انفلتت اعصابها فهتفت بحنق:

-لم فعلت ذلك يوسف؟ أخبرتك ان

تبعده عن هذه القصة وما الذي فعلته

أنت؟!

واصلت وهي تشد شعرها بقوة:

-أشعلت فتيل فضوله اكثر...

ثم وضعت كفها على فمها تكتم

شهقة اختلطت بدموع خوف انسابت

على خدها:

-سيكتشف القصة ويعرض نفسه

للخطر... العصابة لن ترحمه...

سيقتلونه...

خوفها الزائد عن الحد المسموح به

وقلقها الذي لا داعي له افقداه صبره

فنهرها بحزم:

-توقفي عن هذا الهراء... ابراهيم

ليس طفلا والعصابة تفككت بموت

جياد...



زفر بضيق محاولا تمالك قبل ان

يكمل بهدوء:

-أسماء... دعي ابنك وشأنه...

اهتمامك الزائد اصبح طوقا يلتف

حول رقبته بقوة...

اجابته من بين دموعها بشجن:

-اهتمامي بابني الوحيد اصبح

مبالغة!!

تنهد بملل يدعو الله ان يلهمه الصبر

لكنها انهت المحادثة متحججة

بفطور زوجها الجائع فاغلق الخط

وعاد الى فراشه يعيد التفكير

بكلامها....

أيعقل ان يكون صحيحا!!

* * * * *

الشك ألم في غابة الوحدة، تزرع

بذورها في نفس خائفة تخشى

الخذلان وتسقيها تصرفات غريبة

تثير الريبة...

يبدأ الشك بتغير بسيط في اشخاص

هم الاقرب الى القلب ويتفاقم ليصبح

وسواسا ينخر العقل ليل نهار

فتنعدم الثقة وتتحطم العلاقة مهما

كانت قوية او سامية.

وهو انقاد خلف ظنون لا يعلم صدقها

من كذبها، سلم نفسه لحدس مبني

على ملاحظات قد تكون حقيقية

كما قد تكون... واهية!عن أم وأب

اتخذا لعبة القط والفأر هواية

يمارسانها في المنزل والمتفرج هو...

مشاكل تفاقمت عبر الزمن فأحالت

العش الصغير الى جحيم لا يطاق...

صراخ، دموع، تحطيم وتهديد بالفراق

كان أشد ما يرعبه.... طفل صغير

اكبر احلامه تمثلت في اسرة محبة،

هادئة ودافئة توفر له جوا مناسبا

للتعلم وبدل ذلك كله حصل على...

رعب! رعب من فكرة الطلاق والتشتت

بين طرفين هما الاحب الى قلبه،

طرفان وجودهما في حياته ضرورة

حتمية لا مناص منها...

كبر ومعه كبرت مشاكل المنزل،

مشاكل اثارت فضوله لمعرفة مصدر

الخلاف ولم يجد خيرا من خاله

يوسف لبداية الطريق... استغل

ذكاءه في الدوران حول الموضوع

ببراعة استطاع من خلالها الوصول

الى طرف الخيط... حب سابق يحمل

هو اسمه!!

في البداية لم يستطع الحصول على

شئ لكن الحاحه وفضوله اثار

استغراب الخال الذي لم يتردد في

اخبار شقيقته عن اسئلة ابنها

المتكررة... وللصدفة او ربما هو

القدر من جعله يستمع الى حديثهما

بالتفصيل، عن سر لا يجب البوح به

واسم نقش على جدران ذاكرته

بالحجر...

"ابراهيم الخليلي"

بدأ تحرياته بهدوء، بحث وبحث ولم

يصل سوى لمعلومات يتداولها

الجميع... استاذ جامعي سابق توفي

في ظروف غامضة بعد عام واحد من

وفاة زوجته في نفس الظروف

الغامضة...

ولعدم اثارة الريبة حول ما يقوم به

طلب اذن رئيس مدير التحرير لمباشرة

سلسلة مقالات عن قضايا غامضة

قيدت لمجهول فحصل على الاذن

بأسرع مما كان يتخيل...

لم يعترض احد من عائلته على

الفكرة، دعمه الجميع بلا استثناء

حتى ذكر اسم الخليلي... لا يزال

يذكر ذلك اليوم حين اخبرهم

بالقضية التالية وللدقة حين طفى

اسم ابراهيم الخليلي على السطح،

جنت والدته وكادت تفقد صوابها

كليا وحين سأل عن السبب تلعثمت،

بل فقدت القدرة عن الكلام او

التعبير وفي النهاية ختمت الجلسة

بالضغط على وتر حساس تعلم مدى

تأثيره عليه... احترامه لها...هز راسه

بعنف يطرد ذكرياته القاسية واجاب

رنين هاتف مكتبه المتواصل بسؤال:

-نعم سيرين...

اجابته بعملية تامة:

-هناك سيدة تريد رؤيتك...

طلب منها ادخالها وعدل من هندامه

لاستقبال الضيفة التي لا يعرف عنها

شيئا... لحظات وكانت فتاة طويلة

تدخل المكتب بخطوات واثقة

ونظرات ثاقبة لم يرتح لها... وقف

مرحبا ثم دعاها للجلوس لكنها

رفضت بقولها:

-لست هنا للجلوس سيد....

فهم ما تصبو اليه فأجابها بتلقائية:

-ابراهيم مسعد...

واكمل بفضول:

-وانت؟!

اجابته بثقة حد الغرور:

-فاتن العريبي...

الفصل الثاني

المسؤولية كلمة عميقة تحمل بين

ثنايا حروفها معاني كثيرة وواجبات

أكبر... نعمة كما قد تكون نقمة،

حرية اختيار والتزام لا يقبل النقاش

أو الجدل! المسؤولية هي تحمل نتائج

الأفعال المحرمة التي يأتي بها

الانسان مختاراً وهو مدرك لمعانيها

ونتائجها... نتائج يعلم مقدما انها

ستكون وخيمة...

كزواج ضد رغبة الأهل، توهم حب

وعشق انسان لا يمت للانسانية بصلة،

انسان هدفه تمثل في الحصول عليها

مهما عاندت اسرتها او رفضت، لتقف

هي بصفه، تسانده، تدعمه، تشجعه

وعائلتها تقاطع... فقط من

أجله!!ويتم الزواج، حلمها الوردي

ككل فتيات سنها آنذاك، حبيب

هو فارس أحلام ومارد يلبي رغباتها

باشارة اصبع أو على الاقل هذا ما

أوهمت به نفسها...

مرت أشهر الزواج الاولى كالعسل...

سياحة، غزل وسعادة... لكن دوام

الحال من المحال فتغير زوجها

المفاجئ أقلقها وطباعه الجديدة

أرعبتها، حتى ابنه الذي تكون في

رحمها لم يسعد به، بل أمرها

بالتخلص منه وكأنه لا يعنيه وحين

رفضت قام بالواجب... سقطة من

أعلى الدرج حسمت الامر وخطت

النهاية... نهاية حياة طفل لم يقدر

له رؤية العالم ونهاية زواج لم تعد

تستطيع تحمله.

وفعلا حصلت على الطلاق، أصبحت

حرة وتابعت حياتها بهدوء حتى ظهر

هو من جديد ، بحب صادق حمله بين

ضلوعه سنوات طويلة... سنوات حاول

من خلالها الوصول اليها في الضوء

لكن غباءها أعمى بصيرتها لترتبط

بآخر هو مصيبة حياتها...لكن من لا

يخطئ؟! ومن لا يقترف بدل الاثم

آثاما!!... الخطأ ليس النهاية... الخطأ

مجرد بداية لطريق صحيح أساسه

تجربة سابقة أكسبت الانسان

الخبرة المناسبة لمواصلة

التقدم...ومن قال أن الماضي قد

يترك الانسان وشأنه؟!

حتى بعد زواجها الرسمي من ايهاب

أصر ذلك الحقير على مطاردتها،

كظل لا يفارقها أصبح يتبعها من

مكان لآخر... الطريق، الجامعة

والمنزل!! يرسل لها في اليوم الف

رسالة يطالب بعودتها، يدعي اشتياقا

لا وجود له ليكسب قلبها من

جديد... لكن ما يلم يكن يعرفه

هو ان زوجها عوضها كل سنوات

الشقاء التي قاستها برفقته، أنساها

حزنا تجرعته سابقا بسعادة حقيقية

لم تفارقها طوال الخمسة أعوام

الاولى...

وكالعادة يتدخل القدر برأي آخر،

السعادة الابدية مكانها الأفلام

والقصص الخيالية أما الواقع

فهويختلف...

بعد يوم متعب حد الارهاق في

الاحتفال بزفاف شقيقتها الاصغر

عادت مع زوجها وابنتها "جنة" الى

المنزل تنشد قسطا من الراحة، ألم

قدميها تسبب في أرق حرمها نوما هي

بحاجته...

قامت تشغل التلفاز علها تسلي به نفسها، غيرت القنوات بملل لتتسمر فجأة في مكانها بصدمة... هروب سجينان من السجن احدهما هو نفسه زوجها السابق...شعرت بالخوف حد الهلع، بالتأكيد سيحتاج الى النقود لانقاذ نفسه وبالطبع لن يقصد غيرها وظهوره لن يتسبب سوى بفوضى هي في غنى عنها...

تناست التعب والارهاق الملمين

بجسدها وعادت الى غرفتها وعلى

كتفها حملت صغيرتها النائمة،

وضعتها الى جانب والدها وجلست على

كرسي الزينة امام الفراش الضخم

كأنها تحرسهما من خطر محدق لا

تعلم متى أو من أين سيأتي...قضت

الليلة بطولها تدعو الله ان يحفظ

اسرتها، هي لن تتحمل اصابة احدهما

بمكروه حتى لو كلفها ذلك

حياتها...

لم تشعر بالوقت الا حين ارتفع جرس

الباب معلنا عن وجود زائر، انتفضت

في مكانها برعب وهي تتطلع الى

الساعة المعلقة على الحائط امامها

والتي تشير الى وصول الساعة العاشرة

صباحا...

سارعت الى المطبخ تبحث عن أكبر

سكاكينها وذهب تفتح الباب بحذر

لتتفاجأ بوجود شقيقها بمظهر لا

يحسد عليه... اخفت السكين خلف

ظهرها وطلبت منه الدخول الى غرفة

الاستقبال ريثما تحضر له عصيرا من

المطبخ، استجاب لطلبها بهدوء

استغربته لكن فكرة اخفاء

السكين وعدم اثارة الشكوك

جعلها تفقد تركيزها معه ومع حالته

المزرية...لحظات قليلة وكانت

تجاوره على الاريكة، تسأل عن سبب

حزنه الواضح وهيئته الرثة لكنه

احتفظ بالصمت... عيناه غائمتان في

اللاشئ وعقله يسبح في دوامة لا

تعرف لها دافعا...

وضعت كفها على ذراعه متسائلة

بهدوء:

-ما بك جياد؟!

تراجع للخلف بنبرة محشرجة

وجفنان تعانقا فخلفا دمعة اختفت

بين شعيرات لحيته الخفيفة بينما

الشفاه تهمس:

-فاتن ماتت...

* * * * *

في عرف الطبيعة البقاء للاقوى، وفي

عرف الانسان البقاء للاذكى!معادلة

بسيطة تظهر الفرق بين قانون

الضواري وقانون البشر، قانون وضع

للتفرقة بين الاثنين فقرر البعض

التمرد عليه كما هي عادتهم دائما

وابدا... الذكاء وحده لا يكفي

والقوة سر كل نجاح...

وهو قرر الانضمام الى هذه المجموعة

بايجابياتها وسلبياتها، عمله يتطلب

جهدا لا يستطيع العقل وحده القيام

به، خاصة كونه محفوفا بالمخاطر

من كل جهة!وكأن معاناته

الشخصية غير كافية لتأتي فتاة

مدللة لم تذق طعم الألم يوما

وتكمل ما تبقي منه...تصلب امامها

فجأة بمجرد سماعه اسمها، هي من

تلك العائلة اذا هي مثيرة للمتاعب...

لابد وأنها ستلقي عليه محاضرة مملة

عن عدم التدخل في خصوصيات

الغير كما فعل والدها من قبل

وترحل بهدوء ليكمل عمله بعيدا

عن ازعاج الآخرين له...

اعاد دعوتها للجلوس لتقابله برفض

استشعره بنبرة صوتها الحازمة فعلم

انها تختلف عن والدها ، حتى وقفتها

المتحفزة تدل على استعدادها التام

لحرب هي ليست أهلا لها...وضع يديه

خلف ظهره ينتظر القاءها ما بجعبتها

لتبدأ هي بلا لف أو دوران:

-سيد ابراهيم، ما نشرته جريدتكم

عن قصة الخليلي يتعدى حرية

الصحافة...

دار حول مكتبه ثم استقر على

كرسيه الوثير بتبختر كأنه يخبرها

انه الملك هنا وصاحب القرار الاول

والاخير:

-ما ننشره في جريدتنا ليس سوى

معلومات يعلمها الجميع، لذلك لا

داعي لاخذ الامر بشكل شخصي...

تطلعت اليه من علو بازدراء ما اثار

سخطه فوقف يواجهها بتحدي لكنها

لم تهتم:

-اسمع سيد ابراهيم... ان كانت

جريدتك بحاجة لقصص تثير بها

فضول القراء فابحث في تاريخ

اسرتك... بالتأكيد ستجد ما

يشغلك عن التدخل في أمور لا

تعنيك...

وها هي تلعب على وتر حساس يوقظ

شياطينه من سباتها لتتراقص امام

عينيه وتدفعه لدفنها في ارضية

المكتب... اقترب منها بجسده

الضخم خطوة واحدة فلم تتزحزح من

مكانها قيد أنملة، لم ترمش

بأهدابها حتى بل ركزت نظرها حول

عينيه في رسالة تحدي واضحة:

-لا يوجد في اسرتي اشخاص مثيرون

للاهتمام مثلكم

كما توقعت تماما، هذا الرجل لا

ينفع معه الكلام وبعض التهديد لن

يضر:

-انا اخبرتك بكل ما لدي... ان لم

تتوقف عن نشر تراهاتك المتعلقة

بعائلتي ستجد نفسك بمواجهة

المحامي في أقرب وقت...

دس كفيه داخل جيوب بنطاله

بينما انطلقت قهقهة عالية منه تعبر

عن سخريته الواضحة:

-بامكاني اقتراح محام بارع لك ان

كنت بحاجة الى واحد...

التوى جانب فمها بابتسامة ساخرة هي

الاخرى ما أفقده صوابه... هذه الفتاة

تثير غريزة القتل بداخله، هي حتى

لم تظهر الاعجاب بمظهره الذي لا

يقاوم بل انصب جل تركيزها على

تهديد واه لم يحرك بداخله شعورا

واحدا بالخوف أو التوتر...

تابعت ابتسامتها بجملة باردة لا تحمل

اي نبرة:

-لا داعي لاتعاب نفسك بالبحث عن

محام من اجلي... فقط تعلم ان تفرق

بين ما يمكن نشره من عدمه...

مال الى الامام قليلا يتأمل عينيها

المميزتين:

-ما رأيك لو أكتب عن العيون

الخضراء في المرة القادمة؟!

مطت شفتيها بتفكير قبل ان تجيب

بمرح:

-سيكون موضوعا شيقا خاصة وأن

اصحاب العيون الخضراء مميزون جدا

وستجد الكثير من المعلومات لاثراء

مقالتك...

صمت عن الكلام مطلقا العنان

لبصره لتفرس ملامحها الهادئة...

خصلات بنية مقعوصة للخلف

بطريقة انيقة وعيون خضراء تجذبه

بلا سبب، انف صغير بنهاية حادة

وشفتين ممتلئتين تعلوهما حمرة

خفيفة...

تراجع للخلف يتأملها بتركيز اكبر،

بنطال من الجينز الازرق الغامق تعلوه

سترة كلاسيكية بلون خصلاتها

البنية وحقيبة يد لا تقل أناقة عن

مظهرها ككل...

استفاق من جلسة التأمل على صوتها

المحذر قبل ان تغادر:

-اتمنى ان اضطر لرؤيتك مرة اخرى

سيد ابراهيم...

رفع يده مودعا بلؤم:

-زيارتك تسرنا انسة فاتن...

رمقته بنظرة متهكمة وصفقت الباب

خلفها معلنة بذلك بداية حرب لن

تنتهي بسلام...

عاد يجلس على كرسي مكتبه

بينما عقله مشغول باسترجاع ملامح

وجهها ، لون عينيها أسر تفكيره فلم

يعد يستطيع التركيز بشئ

غيرها...سمع صوت الباب يقرع من

جديد فاعتقد انها عادت من جديد ،

فكرة رجوعها جعلته يتحمس

ويندفع من مكانه بغباء ليصطدم

بحقيقة وجود خاله بدل صاحبة

العيون الخضراء... لاحظ الخال تغير

مزاجه فتساءل بمكر:

-أكنت تنتظر غيري؟

سلم عليه بمشاكسة:

-ومن سأنتظر غيرك يا أحلى خال...

جذبه يوسف من اذنه يجلسه امامه

كطفل صغير على وشك الحصول

على عقوبة:

-أتعلم حجم المشكلة التي اقحمتني

فيها مع الدكتورة اسماء؟

خلص اذنه بصعوبة من بين اصابع

خاله مغمغا:

-ومنذ متى كان ارضاء تلك المرأة

شيئا ممكنا؟!

أقبض كفه على كتفه موجها له

الحديث بحكمة:

-تلك المرأة هي والدتك واحترامها

من واجبك...

بدأ يتملص من الحديث لكن يوسف

أصبح أكثر صرامة مما كان عليه

من قبل:

-أريدك ان تذهب المنزل اليوم... هي

تشتاقك كثيرا...

لم يجد بدا من الرضوخ فزفر بقلة

حيلة وهو يقطع وعدا بالعودة هذا

المساء...

تذكر شيئا مهما فتساءل بجدية:

-بالمناسبة ما كان اسم زوجة

الخليلي ؟!

علا الضيق ملامح المستمع فاستدرك

بسرعة:

-مجرد فضول لا أكثر...

استند يوسف بذراعه على سطح

المكتب مجيبا:

-فاتن الشنقاوي...

ردد اسمها بخفوت مرات عديدة

متمتما:

-أهي الصدفة أم القدر!

* * * * *

حين الغضب، الحزن، القلق والخوف أو

السعادة يلجأ الانسان لأفعال وعادات

للتعبير عن حالته... النوم، الاكل،

الصراخ، الرسم والكتابة، كلها

أشكال تستخدم للتعبير...

لكنها اختارت شيئا اخر يختلف...

التنزه في حديقة عامة برفقة طيور

الحمام التي تعشقها منذ الصغر حد

الوله والجنون...

اشترت كيس الذرة كعادتها وأخذت

تتمشى وسط الحمامات التي تطير هنا

وهناك، تحط على الارض تنقب

الحب ثم تعود لتطير من جديد

مشكلة بذلك لوحة فنية تبهر

العقل وتشرح الصدر...شعرت بالتعب

فجلست على كرسي خشبي تنثر

حبات الذرة امامها لتستمتع بمنظر

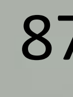
تهاتف الحمامات عليها... مضت مدة

طويلة وهي على هذه الحالة حتى

نفذ مخزونها فانقبضت ملامحها

بتذمر:

-الحمامات لم يشبعن بعد...



امتدت اليها يد بكيس جديد ممتلئ

فتهللت اساريرها بفرح لكنها سرعان

ما اخفت ابتسامتها لتتأكد من

صاحب المساعدة... شاب تخطى

الثلاثنيات بقليل، أسمر البشرة بعينان

سوداوتان ولحية خفيفة تزين فكه

المربع...

ضيقت عينيها بسؤال:

-من أنت؟!

جاورها في المقعد دون انتظار الدعوة

بينما وضع الكيس أمامها بمرح:

-كنت مارا بالصدفة من هنا فرأيت

عبوسك بسبب انتهاء كيسك

وقررت المساعدة...

ابتسمت بامتنان ووقفت مغادرة:

-شكرا لك لكن يجب ان أذهب...

مد شفتيه بحزن:

-ايرضيك ان تبقى الحمامات

المسكينة جائعة؟!

بدأت ملامح وجهها بالتشدد فسارع

بتلطيف الجو:

-اجلسي قليلا... أعدك ألا

ازعجك...

حركت رأسها نفيا لكنه أصر على

اطعامها الطيور بنفسها فجلست من

جديد بابتسامة لزجة ارادت من

خلالها اظهار انزعاجها لكنه لم

يبدي اهتماما بالموضوع...

بادرها بسؤال:

-تحبين الحمام؟

نظرة جانبية خصته بها مفادها

"أتمزح!" ومرة اخرى يدعي عدم

الفهم فتأفأفت بنزق:

-أجل احبهم...

عاد يسأل من جديد:

-أتعلمين انه ظهرت أنواع جديدة على

مر العصور؟!

مهلا لحظة... هذه معلومة جديدة

تجهلها... تأكد من انتباهها فواصل:

-علاقتها الجيدة بالانسان جعلته

يقوم بتهجينها واظهار سلالات جديدة

لم تكن موجودة في القدم... بدت

وكأنها تفكر في هذه المعلومة

فتشجع ليكمل الحديث الذي يتمنى

لو يطول اكثر:

هناك الحمام النفاخ، الهزاز،

النمساوي والبخاري جميعها تستخدم

للزينة... جمالها جعل الانسان

يصطادها ليضعها في اقفاص يزين بها

منزله...

اكفهر وجهها بينما اكتسبت نبرتها

السخط:

-الحمام خلق ليكون حرا وليس

ليكون زينة في منازل هؤلاء

الأغبياء...

استند على ظهر الكرسي الخشبي

يتأمل هذه الكائنات الصغيرة مرددا:

-هذا رأي حواء بالموضوع لكن آدم

رايه يختلف...

اخرجت نفسا عميقا مغمغة:

-آدم طماع بطبعه...

سمع كلماتها الحانقة فضحك

بهدوء ما جذب عينيها اليه والى

جملته:

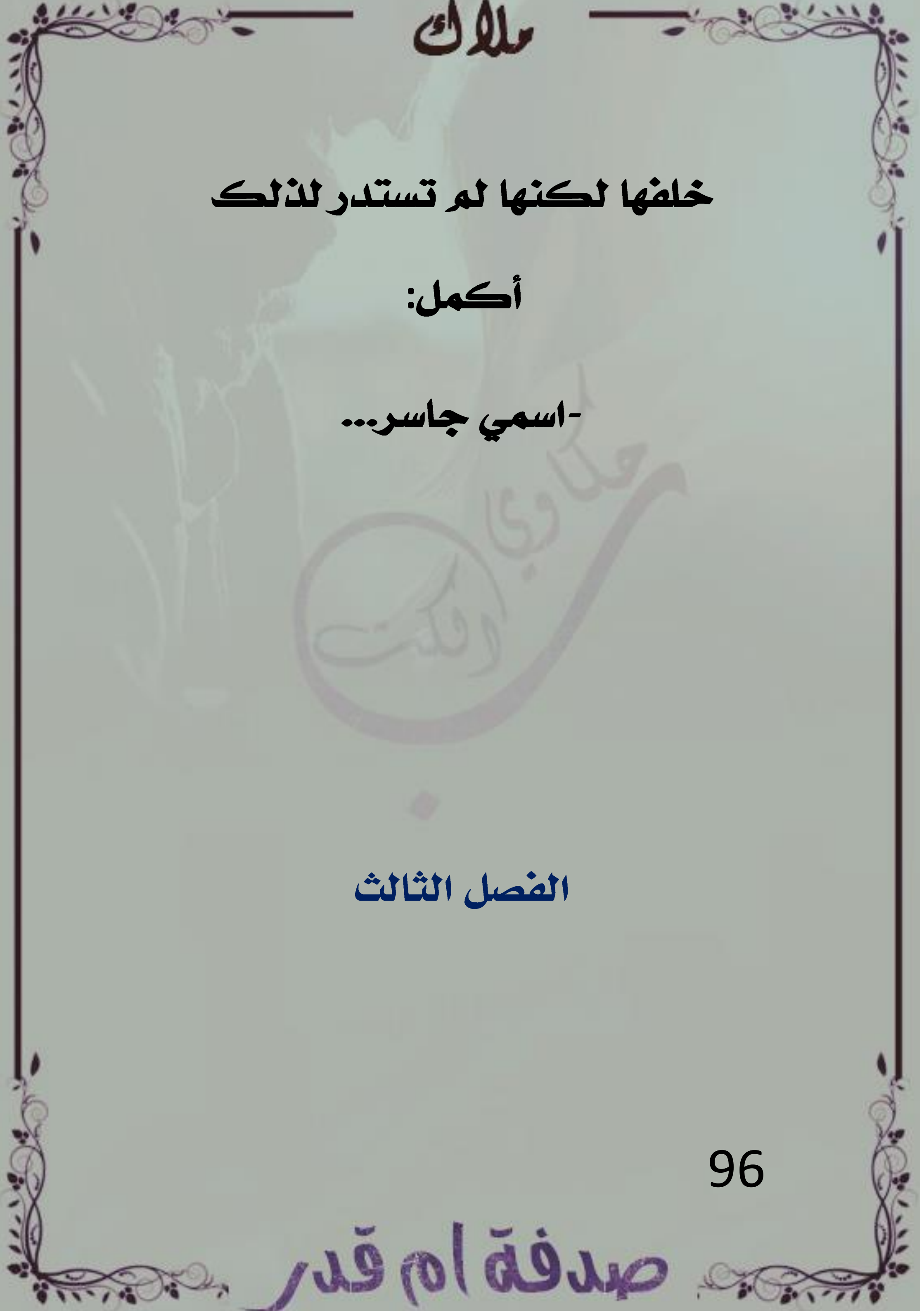
-آدم يفكر بمنطقية بينما حواء

بعاطفية...

وطفح الكيل... فليذهب الى الجحيم

برفقة معلوماته وفلسفته الغريبة...

حملت حقيبتها وغادرت فهتف من



خلفها لكنها لم تستدر لذلك

أكمل:

-اسمي جاسر...

الفصل الثالث

الذكريات قاموس ملئ بالمشاعر،

الصور، المواقف والكثير من

الأحاسيس التي يصعب نسيانها...

تجذبك معها نحو ماض لا ينفك

يطارك في نومك أو صحوتك فلا

انت ترتاح ولا هي تريحك...

وحالتها لم تختلف كثيرا، فما حدث

منذ سنوات مضت محفور في

ذاكرتها، يأبى المغادرة وتركها

وشأنها كأنه قدر محتوم منه لا

مناص منه ولا هرب...

شعرت بيد صغيرة تداعب أنفها

فابتسمت بحنو وهي تقبل حفيدتها

مروة، بادلتها الصغيرة القبلة بأخرى

دافئة متسائلة ببراءة:

-بماذا تفكرين جدتي؟

ضمتها اليها تستنشق عبيرها بينما

عقلها يسترجع ما حدث يوم قدوم

شقيقها الى منزلها حاملا معه أقسى

خبر يمكنها تحمله...بعدما أجلسته

في غرفة الجلوس تساءلت عن سبب

انقباض ملامحه ليجيبها بحزن خلف

دمعات عديدة على خده:

-فاتن ماتت...

اتسعت عيناها بصدمة بينما تسارعت

دقات قلبها بطريقة جنونية حتى

خيل لها أن خافقها سيفر من بين

ضلوعها بحثا عن مفند لهذه

الكلمات التي لا يستطيع عقلها

ترجمتها...

خيم الصمت عليهما لمدة لا بأس

بها... هي تطالعه بعدم تصديق وهو

اكتفى بالنظر في نقطة ما في

أرضية المنزل... لحظة، لحظتان

وأكثر كانوا أصعب ما مرت بهم في

حياتها... ترجته بعينيها تكذيب

الخبر، توسلته اخبارها انها مجود

نكتة سخيفة أراد من خلالها

مشاكستها ليس الا ، لكن هيهات أن

تكون هذه الملامح مجرد عبث...

واخيرا وقفت من مكانها ، أخذت تدور

في الغرفة بعصبية بينما تابعها هو

ببصره بدون أي تعليق حتى صرخت،

بل انفجرت كقنبلة مدوية قضت

على الأخضر واليابس... أمسكته من

ياقة قميصه بينما امتلأ وجهها بأنهار

من الدموع التي تحررت أخيرا من

سجن الصدمة التي أسرت بها قبل

قليل:

-ما الذي تقوله جياد؟ كيف تموت؟!

ألم نزفها الى عريسها ليلة البارحة!!!

وسقطت على الأرض تبكي بحرقة:

-لقد كانت بخير... ما الذي حدث؟!

هز رأسه بجهل، هو نفسه لا يعلم ما

حدث بالتفصيل، زميله اتصل به

ليخبره أن زوج شقيقته في المشفى

فهرول بلا تفكير، عقله قاده الى

أفكار عديدة باستثناء الموت الذي

لم يطرق باب أفكاره ولو بالخطأ...

ويا ليته فعل!... لكان على الأقل

حضر نفسه لهذه المفاجأة التي

عصفت بكيانه كله...

ارتفع صوت بكائها اكثر يطالبه

بشرح هو لا يملكه، ضربت الارض

بيديها بينما تغمغم بكلمات غير

مفهومة حتى جاء زوجها... بملامح

خائفة يسأل عما يحدث في المكان

منذ الصباح الباكر، أحاط جسد

زوجته المرتعش بذراعيه ورمق جياد

بنظرة لائمة:

-ما الذي فعلته جياد؟

ولا اجابة من الواقف أمامه كتمثال

خشبي أصم... نقل إيهاب بصره بين

الاثنين بحيرة، واحدة تبكي والآخر

مذهول وها هو يغادر بعدما صفق

الباب خلفه بقوة...أبعد زوجته عن

حضنه بيد طرح السؤال بحزم:

-ما الذي فعله لك دلال؟!

دفنت وجهها في صدره تخبره

بمصابهم الأليم الذي لم يرحمه هو

الآخر...

استفاقت من شرودها على صوت مروة

الملح لمعرفة ما تفكر به جدتها

الحنون، داعبتها بمرح وهي تمرر أنفها

بين ملابسها الصغيرة بشقاوة:

-أنا أفكر في كيفية أكل هذه

القطة الشهية...

ضحكت الطفلة بمرح مجيبة:

-أنا لست قطة جدتي... حتى لو

كنت قطة أنت لا تستطيعين أكلي

لأن القطط لا تأكل...

تظاهرت دلال بالحزن لهذا الخبر

فربتت مروة بأناملها على وجنتيها:

-لكن بامكانك عضي لو أردت...

اتسعت ابتسامتها أكثر وغاصت معها

في عالم الأطفال البرئ بعيدا عن

عالم الكبار بذكرياته وآلامه...

****

إدعاء البرود هو تجاهل الأشخاص

المحيطين بك قصد إزعاجهم واثارة

غضبهم أو ربما... معاقبتهم!

وهو قرر سلك هذه الطريق بلا نية

في الرجوع أو العودة، والدته أخطأت

والخطأ يستوجب العقاب ولو كان

بطريقته الخاصة التي يوقن أنها

تجعلها تتعذب في كل لحظة هو

بعيد عنها...

لكنه اليوم أذعن لرغبة خاله وعاد

الى المنزل بوجهه المقتضب والذي

ينوي من خلاله تمديد فترة العقاب

حتى أجل غير مسمى...اكتفى بقبلة

باردة على جبينها وانضم الى والده

في غرفة الجلوس يتحداه في لعبة

الشطرنج التي أدمنها منذ الصغر

متحاشيا بذلك أية نظرة قد تجمعه

بعيون والدته الحزينة...

ربح الجولة الأولى وخسر الثانية

وحين بدأ الثالثة قاطعتهما أسماء

بدخولها الهادئ:

-اشربا بعض الشاي لاراحة

أعصابكما...

وضعت الشاي أمام ابنها بترقب لكنه

لم يبد ولا ردة فعل واحدة... أخرجت

نفسا عميقا وجاورته على الاريكة

تربت على كتفه بعتاب:

-هكذا يا ابراهيم... تغيب عن

المنزل ثلاثة أيام كاملة!!

نظرة جانبية خصها بها قبل أن

يكمل لعبته مغمغما:

-كنت مشغولا...

اكتسبت نبرتها حزنا شعر به كل

من زوجها وابنها الذي تحول لشخص

قاس لم تعرفه من قبل:

-مشغول لدرجة عدم اجابتك على

اتصالتي؟!

أنبه ضميره لوهلة لكن نظرة واحدة

نحو والده الذي يتابع الموقف بصمت

جعله يتذكر سبب قيامه بهذا الأمر

فتابع بنفس اللامبالاة:

-كنت أتصل بأبي وأخبرته أن يوصل

سلامي إليك مرات عديدة...

ونظر الى والده بطريقة فهمها

فاستجاب الأب مباشرة:

-معك حق... لكنني نسيت إيصال

سلامك... آسف...

همست اسمه بضعف تناجيه التوقف:

-ابراهيم...

واللعنة على هذا الاسم وهذه النبرة

التي لم يعد يعلم ما اذا كانت تعنيه

هو أم تتخيل حبيبا سابقا مكانه...

كتم غيظه وقام من مكانه بعد

استئذانه من كليهما ليخرج قليلا مع

وعد بالعودة على العشاء...

تهدل كتفاها بيأس وهي تحاول

معرفة سبب ابتعاده عنها بتلك

الطريقة، ما الذي اكتشفه خلال

بحثه في قضية الخليلي ليجعله باردا

بهذه الطريقة معها؟!

انتبهت لنظرات زوجها الحانقة فسألت

باستفسار:

-ما الأمر؟

تناول جريدة من على الطاولة متمتما:

-أما كان بإمكانك تمرير الأمر

بسلام؟!

مطت شفتيها بعدم اقتناع وقامت من

مكانها نحو المطبخ أين يمكنها

تحرير دموعها براحة أكبر لتلاحظ

فجأة وجود ابراهيم أمام باب المنزل،

اقتربت من النافذة تمعن النظر

فتيقنت أنه يحادث حبيبته التي لا

يتوقف عن مهاتفتها يوميا...

زفرت بحزن مرددة:

-تملك وقتا للتحدث مع حبيبتك

ولا تملك وقتا للاتصال بأمك!!

وبما أن حدس الأم غالبا ما يكون

صائبا فقد كان ابراهيم يرتب موعدا

غراميا مع حبيبته التي تمثل دور

صعبة المنال:

-سمر اشتقت اليك...

ادعت الانشغال بأمور يعلم عدم

وجودها على أرض الواقع:

-هناك الكثير من الأوراق التي يجب

تسليمها قبل الغد ولا وقت لدي

للتنزه...

سألها بلهجة جافة تثير حنقها:

-وهل ستتوقف السفارة عن العمل ان

خرجت لنصف ساعة؟

ضحكت بدلال أنثوي يروق له:

-وهل أنت متأكد أنها نصف ساعة

فقط؟

حك فروة رأسه بسبابته يمعن

التفكير في طلبه:

-يؤسفني أن أخبرك أنك تعانين من

مشكلة في السمع سيدتي، فنصف

ساعة لا يمكن أن تكون كافية

لعاشق مثلي...وبما أنها سمعت هذه

الكلمات مرارا وتكرارا حد الاعتياد

فقد واصلت بجدية مصطنعة حاولت

خلالها كبح ضحكتها بصعوبة:

-وكم من الوقت يحتاج عاشق

مثلك؟

تنهد بصوت جعله يداعب مسامعها

بطرب:

-عاشق مثلي لن تكفيه الحياة بطولها

ولا عرضها...

وبعد الضحكة أتت الموافقة ليتم

تحديد الزمان والمكان بسرعة من

طرفه قبل ظهور ظرف طارئ قد

يمنعه من الخروج برفقة سمرائه...

*****

أما الانتظار فهو الاحتراق بنار

الفضول ترقبا لردة فعل تعتبر هي

النقطة الفاصلة لقرار يجب اتخاذه

وتنفيذه بأسرع وقت ممكن، والهدف

واحد ووحيد... وضع حد لمتنمر

يحسب نفسه فوق الجميع بلا استثناء

بمكتبها جلست تطالع الجريدة بحثا

عن مقال ذلك الغبي فيما يتعلق

بعمتها وزوجها الراحلين لتصاب

بصدمة من نوع آخر، المقال يختلف

عما سبقه بكثير... بل هو لا يمت

بأية صلة...

جالت بعينيها على أحرف عنوان

المقال بلا تصديق "العيون

الخضراء"!!... واصلت القراءة بصوت

مسموع:

-تكفي أحياناً نظرة واحدة في عين

الشخص للحكم على مدى انجذابنا

له، وهو أمر يلعب فيه لون العين دوراً

مهماً، فالعيون الخضراء - على سبيل

المثال - عنصر جذب كبير، لاسيما

وأن الإحصائيات تقول إن نسبة

أصحاب العيون الخضراء في العالم

تتراوح بين 2 و4 في المائة، في حين

أن نحو 90 في المائة ذوو عيون بنية

وبما أن الأشياء النادرة هي دائما محط

اعجاب البشر فقد أقيمت عدة أبحاث

حول هؤلاء الأشخاص وشخصياتهم

ليتم اكتشاف مزايا وصفات تخص

معظم حاملي هذه العيون ومن أهمها

قسوة رايهم وصلابتهم اضافة الى

ثقتهم الكبيرة بأنفسهم وحبهم

الشديد للمغامرة...

أصحاب العيون الخضراء يميلون الى

الهدوء والقدرة الكبيرة على التعامل

مع مشاكل الحياة بعقلانية

وحكمة...

وأظهر الاستطلاع نفسه، أن أصحاب

العيون الخضراء يميلون عادة

للاستقرار في العلاقات العاطفية

وبالتالي فهم يمثلون شريك الحياة

المثالي...

وختم مقاله بحرفين لاتنين"A.F "

أول حرفين من اسمها "فاتن العريبي"

مزقت الجريدة الى قطع صغيرة وألقت

بها في سلة المهملات حين وصلتها

رسالة من رقم مجهول لا تعرفه،

فتحتها بملل لتتوالى الصدمات بلا

انقطاع...

-بين حياة سلبت منا واخرى منحت لنا

نلتقي مجددا...

بملامح جديدة، طباع مختلفة وأسماء

هي نفسها نلتقي...فهل هي الصدفة

من جمعتني بك أم هو القدر من

احضرني اليك؟!والأهم... أسيعيد

التاريخ نفسه أم سنخط بأنفسنا نهاية

جديدة...لحب وعشق يدومان أبد

الدهر!ما الذي يقصده هذا الوقح

الآن؟! أي حب وأي عشق أو دهر!!

مسحت رسالته واسترخت على

كرسيها تحاول التفكير بهدوء

لكن دخول مساعدتها تنبؤها بوجود

ضيف في الخارج أعاق مخططاتها

للراحة فزفرت بحنق وطلبت منها

السماح له بالدخول...

رسمت ملامح الجدية على وجهها

وجلست تنتظر مجئ هذا الزبون

الجديد قبل أن تتسع عيناها بذهول

وهي تهمس لنفسها:

-أهذا اليوم العالمي للمفاجآت أم

ماذا؟!

وقفت تحيي القادم بابتسامة عملية

لكنه اقترب منها باسطا كفه أمامها:

-يا للصدفة... لم أتوقع رؤية عاشقة

الحمام هنا...

صافحته بنفس النظرة بينما ضغطت

أحرف جملتها بتشدد:

-لا أؤمن بالصدف...

ضغط أناملها بين كفه مركزا نظره

حول عينيها الواثقتين:

-فلنقل أنه القدر اذا...

وأكمل بسؤال:

-آنسة!...

-فاتن العريبي...

ادعى الانبهار قائلا:

-اسم على مسمى...

قررت وضع حد لهذه المهزلة لكنه

كان أسرع منها بقوله:

-أهكذا تعاملين عملائك آنسة

فاتن؟

زفرت بقلة حيلة ودعته الى الجلوس

بسؤال روتيني وملامح مقتضبة:

-شاي ام قهوة؟

تأمل خصلاتها البنية المستريحة

على كتفها في شكل جديلة طويلة

قبل ان يجيب بنظرة ذات مغزى:

-قهوة!

ادعت عدم فهمها التلميح وضغطت زر

المكتب تطلب قهوة خاصة:

-ضيفنا يفضل القهوة المرة اكرام...

ابتسم بسعادة وهو يوقن أنه أقحم

نفسه بمغامرة الخروج منها لن يكون

سهلا...

****

حين يصبح الغموض سيد الوضع

تتحفز العقول بحثا عن حقيقة

ضاعت بين طيات الزمن المكدسة

فوق بعضها البعض... وقد تصبح

النتيجة عبارة عن رغبة في الانتقام

ممن كانوا السبب!

في غرفة مظلمة الا من نور خافت

ينبعث من احدى زواياها ليعكس

لمعة المكر في ابتسامة شقت

طريقها الى شفتيه مظهرة بذلك

شماتة نصر قريب...

طالع الصور الكثيرة المعلقة على

الحائط والتي تظهر قائمة ضحاياه

الخاصة... أو للدقة صور أشخاص

كانوا السبب في معاناته منذ

الصغر... أشخاص حظوا بحياة

طبيعية تسودها السعادة بينما حصل

هو على... شقاء!!

في مجتمع يعاقب الاسرة بدل الفرد

عاش هو منبوذا كمرض خبيث

يخشى انتقاله من فرد لآخر... عانى

الجوع والعطش، البرد، المرض والألم

لكنه في الاخير تعلم وكبر...

والأهم أصبح أقوى وأقسى!

حمل سهما صغيرا يسدده نحو

صورتين لفتاتين هما سبب معاناته،

واحدة أخذت جزاءها والأخرى

سيحرص على جعلها تعاني بنفسه...

فتاتان من عائلة واحدة، تختلفان في

الملامح والمواصفات إلا من لون

العينين الواحد... الأخضر؛

الفصل الرابع

المرأه في عالم الرجال كرشفة

قهوة... البعض يعشقها لحلاوتها

والبعض الآخر لمرورتها؛ البعد عنها

خسارة والقرب منها... إدمان!

وهو اختار القرب بمره على الابتعاد

والانسحاب، ففي عرفه الانسحاب

جبن والجبن عار!!

جلس يحتسي كوب قهوته المرة

بصمت، صاحبة العيون الخضراء

تتطلع اليه بنفاذ صبر وهو فقط

سيستمتع بمنظر ملامحها المقتضبة

وشفتيها المزمومتين بحنق...

ابتسم وهو يضع كوبه على الطاولة

الزجاجية أمامه:

-أي نوع من القهوة تستعملون؟ فأنا لم

أتذوق مثلها في حياتي كلها...

نقرات سبابتها على سطح المكتب

نبأته بعاصفة وشيكة لكنها

كانت أهدأ مما تصور، استرخت على

كرسيها تسأله بنبرة عملية تخلو من

أي تعبير:

-هل أتيت الى هنا لتسألني عن نوع

القهوة؟

أعاد حمل الفنجان قبل أن يبدأ

الكلام بوقار:

-أريد تغيير ديكور مكتبي لذلك

أتيت الى هنا...

شعرت برغبة في طرده لكن سمعة

مكتبها أهم من أي تراهات قد تفكر

بها ، شبكت أصابعها أمامها مكملة

الحديث بثقة:

-أتيت الى المكان المناسب اذا...

رفع حاجبه الأيمن بانبهار مصطنع

دون تعليق فأعقبت بسؤال:

-ما نوع مكتبك يا سيد؟

حك ذقنه بعدم رضا:

-ناديني باسمي فهو أجمل...

احتفظت باقتضاب ملامحها مانعة

بذلك أي تطرق لموضوع آخر غير

العمل لكنه واصل بلا مبالاة:

-أخبرتك أن اسمي جاسر... ناديني

به...

تطلعت اليه لثواني قليلة بدت له

كدهر طويل من الانتظار قبل أن

تجيب بلهجة جافة:

-ان كان اسمك جاسر أو باسل فهذا

ليس من شأني... نحن هنا للعمل

والتعامل بيننا سيكون في اطار رسمي

لا غير...

مط شفتيه بملل، هذه الفتاة أعند مما

تخيل والطريق أمامه ستكون أطول

مما خطط له، لكنه لن يتراجع

خاصة وأنه أصبح يجلس على بعد

خطوتين منها...

احتسى محتوى فنجانه بتمهل محاولا

بذلك العبث بأعصابها قدر

الإمكان:

-أنا طبيب بيطري وعيادتي بحاجة

الى بعض التغيير، أو فلنقل هي

بحاجة الى تجديد شامل... أريد فعل

شئ يجعل الحيوانات تشعر براحة

أكبر خلال تواجدها في المكان

وبالطبع لن أجد مهندسة أفضل منك

للقيام بالمهمة...

وواصل بنبرة مهتمة استفزت جنونها:

-رقيقة ومحبة للحمام...

أوقفته قبل أن يكمل:

-علي الاطلاع على المكان أولا حتى

أستطيع تحديد ما يتوجب علي

فعله...

خيم الصمت على المكان لمدة

طويلة بينما هي تراقب افعاله

الغريبة بضيق، يقرب الفنجان من

أنفه لينتعش برائحة القهوة بداخله

ثم يحيطه بكفيه ليستمد الدفئ

منه ويختم طقوسه بنظرة تأملية

عميقة كأنه يتمنى لو كان

للفنجان أذرعا ليكتمل المشهد

بضمة حميمية تغنيه عن العالم

بأسره...

رفع عينيه نحوها بابتسامة أثارت

القلق بداخلها لوهلة:

-أنذهب؟!

سألته باستنكار يناسب الموقف:

-الى أين؟

والاجابة تمثلت في رفعة أكتف

ولية شفاه لامبالية:

-الى عيادتي...

ابتسمت ببرود بينما تلتقط ورقة

وقلما بغرض تدوين شئ لم يحاول

تخمينه حتى، أعادت سؤاله ببرود:

-أعطني عنوان عيادتك وسأمر عليها

لاحقا...

أخذ الورقة والقلم من يدها يسجل

عنوانه ورقم هاتفه قائلا بمشاكسة:

-أنا غالبا ما أكون مشغولا جدا

لذلك لا تنسي الاتصال بي قبل

قدومك...

ابتسمت بتهكم مجيبة:

-حسنا سيد جاسر، سيكون لك ما

تريده...

وضع يده على قلبه بتأثر:

-يا لجمال اسمي من بين ش...

بترت عنق كلمته بنظرة حادة

خصته بها فاكتفى بنظرة متأملة

نحو شفتيها يؤكد بها قوله قبل أن

يحمل نظارته مغادرا، توقف عند

عتبه الباب بتذكر:

-اه كدت أنسى...

عاد بخطوات متباطئة نحوها يضع

ورقة بدت وكأنها اعلان لشئ ما:

-سيقام عرض للحمام في الغد... لا

أظنك تريدين تفويت فرصة

الحضور...

لم تشأ اظهار اهتمامها بالموضوع

أمامه على الرغم من اشتعال نار

الفضول بداخلها، حافظت على

جمودها بكلمات شكر جافة

فابتسم مودعا وغادر بسعادة...

التحدي لا يزال قائما وبالتأكيد

سيصل الى نتيجة ترضيه.

****

الاشتياق هو فراغ الكون رغم

امتلاءه، فترة تجعل من الدقيقة عاما

ومن اللحظة دهرا، نار تكوي قلوب

العاشقين بهدوء فيشعرهم بانسلاخ

أرواحهم عن أجسادهم بتمهل مؤلم...

جلس خلف المقود ينتظر قدومها

بلهفة، مر شهر منذ رآها آخر مرة،

عملها كسفيرة يجعلها دائمة التنقل

من مكان الى آخر وبالكاد يستطيع

رؤيتها ، حتى اتصالاتها الهاتفية تعد

على الأصابع لكنها لا تتفهم مشاعره

ولا ترحم شوقه الذي يحرقه في كل

لحظة يقضيها بعيدا عنها. كم

يتمنى لو توافق على عرض الزواج

اللعين ليستطيع ايقاف تمردها على

رغباته، لو فقط تقبل به زوجا لتعرف

كيف يفكرالرجل الشرقي كما

تصفه هي، حينها سيحبسها في منزله

ليشبع نظراته منها متى شاء أو أراد ،

حتى أنه لن يسمح لمخلوق برؤيتها

مجددا... ستكون له وحده دون

غيره.

نفض أفكاره عنها حال رؤيتها

تقترب، اتسعت ابتسامته المعبرة عن

سعادته وهو يترجل من السيارة

لاستقبالها لكن ملامحه سرعان ما

اكفهرت لدى انتباهه لثيابها... تنورة

سوداء قصيرة لا تكاد تصل الى

مستوى ركبتيها تعلوها سترة رسمية

بنفس اللون وبلوزة ناصعة البياض لا

يظهر منها سوى القليل، ترتدي كعبا

عاليا يرفعها بسنتيمترات كثيرة من

على مستوى سطح الأرض...

لم يزد خطوة واحدة نحوها فاقتربت

تسلم عليه بحرارة:

-اشتقت اليك...

لم يحرك ساكنا كما لم يكن من

الصعب عليها تخمين السبب، ابتسمت

بغنج وهي تخرج كفه من جيب

بنطاله تحيطه بأصابعها الرقيقة:

-ألم تشتق الي؟!

تأمل أظافرها المطلية باللون الأحمر

القاتم:

-أهذا هو اتفاقنا سمر؟

مطت شفتيها بدلال بينما تخط

بسبابتها حركات عشوائية في باطن

كفه:

-دعنا لا نفسد اللحظة حبيبي... لقد

عدت بعد غياب طويل وأنا بحاجة

لبعض الراحة...

وأكملت بصوت رقيق تعلم أنه لن

يقاومه:

-ما رأيك لو نذهب الى مطعمنا ، أنا

جائعة...

تمنى لو يستطيع التحمل أكثر أمام

الحاحها لكن قلبه كان أقوى،

نظرتها المترجية تضعف أي مقاومة

تولد بداخله لردعها أو حتى الغضب

منها، تعلم أنها نقطة ضعفه لذلك

هي تتمادى باستغلال رضوخه

لطلباتها، لكنه اكتفى ويجب وضع

حد لتمردها المزعج...

أمرها بالصعود الى السيارة بعدما

جذب كفه من بين أصابعها وجلس

في مكانه يربط حزام الأمان بعنف،

استجابت لأمره بهدوء وانضمت الى

جواره تفكر بالخطوة المناسبة

للقيام بها تاليا... انطلق بالسيارة

يجوب الشوارع بصمت مطلق حاولت

كسره مرات عديدة لكنه قابلها

بنظرات نارية جعلتها تصمت هي

الأخرى بانتظار مرور عاصفته

الساخطة بسلام...

توقف فجأة أمام محل للملابس وطلب

منها اتباعه الى الداخل فتنهدت بملل

وخرجت من السيارة تباطئ خطواتها

بينما عينيها تجولان على الفساتين

المعروضة، وقع اختياره على فستان

أخضر طويل بأزرار سوداء من عنقه

وحتى منطقة البطن، أكمامه طويلة

وبنهاية كل كم زر آخر... سلمها

الفستان طالبا منها الدخول لتجربته

فأمسكته بلا اقتناع ودخلت تجربه

بينما عقلها يسألها سبب تحملها له

ولغيرته الزائدة، تدخل قلبها بتبرير

أفعال الحبيب وغيرته التي تعبر عن

حبه واهتمامه بها لكن العقل نهره

من جديد ينبهه أنه تجاوز الحد

المسموح به وغيرته بدأت تتحول الى

هوس سيقيد حياتها عاجلا أم آجلا

والقلب كعادته يرفض التصديق أو

الرضوخ، الحبيب غايته مصلحتها قبل

كل شئ... أنهت الصراع بين عقلها

وقلبها بهزة رأس عنيفة تلاها خروج

من غرفة تبديل الملابس بالمتجر

بحثا عن رجلها الشرقي العاشق...

تنبهت جميع حواسه لدى خروجها

بذلك الفستان فوقف يبحلق فيها

بانبهار، بدا الفستان صنع خصيصا من

أجلها بمنحنياته وأزراره التي أبدت

جمال خصرها النحيل، طوله ناسب

قامتها بدقة تسلب الأنفاس وما زاد

المنظر جمالا كان شعرها الفحمي

المقعوص على شكل حبة طماطم

لكن خصلاته أبت الا أن تتمرد

كصاحبتها وتنسدل على طول رقبتها

العاجي عاكسة بذلك لون بشرتها

الأبيض الناعم ورمادية بؤبؤيها

اللامعتين...

تنحنحت بخجل توقظه من ضياعه في

تأملها فاقترب منها يهمس في أذنها

بصوت لم يسمعه غيرها:

-تبدين أكثر جمالا من ذي قبل، أظن

الحل الأمثل هو تغطية جميع

جسدك حلوتي...

دفعته بكفها تبعده عنها باحراج من

نظرات المتواجدين بالمحل:

-الناس ينظرون الينا...

لم يحرك عينيه عنها بينما يجيبها:

-مع الأسف أصبت بالعمى ولا أستطيع

رؤية أخرى غير هذه الحورية أمامي...

استغاثته بعينيها التوقف وشفتيها

تهمسان اسمه بحب:

-ابراهيم...

أخذ نفسا عميقا يهدئ من روعه:

-حبيبة ابراهيم...

قررت تغيير مجرى أفكاره بعرضها

الذي لم يحقق بعد:

-أنا جائعة...

تنهد باستسلام وسار أمامها يدفع ثمن

الفستان ولحقته هي بابتسامتها

العاشقة التي لا تفارق ثغرها كلما

بثها عشقه...

وصلا الى مطعمهما الذي شهد قصة

حبهما منذ بدايتها فجلسا على طاولة

تخصهما في احدى الزوايا ذات الانارة

الخافتة، جذب كرسيها لتجلس

وأخذ مكانه بمواجهة عينيها التي

لطالما تغزل بهما، لثم باطن كفها

بقبلة دافئة متسائلا:

-ما الذي تريده سمرائي الجائعة؟

عقدت حاجبيها باستياء بينما تخللت

نبرتها ببعض العصبية:

-أنا لست سمراء...

طبع قبلة أخرى على يدها الأخرى

في محاولة لارضائها:

-وأحلى بياض ثلج في الدنيا كلها...

أشاحت وجهها بعيدا عنه معلنة

غضبها التام فبدأ التغزل بها من

جديد عساها تلين وتسامحه...

لم يلاحظ الاثنان أعين المراقبة

المتربصة بهما، اقترب منهما النادل

بطبق تحلية فخاطبه ابراهيم بهدوء:

-نحن لم نطلب هذا...

وقبل أن يجيب النادل قاطعهما صوت

أنثوي واثق:

-اعتبره هدية لذلك المقال الرائع...

اتجهت الأنظار نحوها فابتسمت بثقة

بينما تواصل بثقة أكبر:

-استطعت وصف اعجابك بلون عيني

بطريقة مدهشة...

انحنت قليلا تمعن النظر في عيني

الجالسة أمامه:

-لون عينيها فحمي ولا أعتقد أنها

تضع عدسات لاصقة لذلك المقال

مكتوب لأجلي وهذا الطبق تعبير

عن امتناني لك سيد ابراهيم...

ثم ادعت التذكر وهي تلوح بالهاتف

أمام عينيه:

-حتى الخاطرة التي قمت بارسالها

مبدعة، نبهتني الى شئ مهم لم

يخطر على بالي... أسماءنا هي نفسها

أسماء عمتي وزوجها رحمهما اللّه، أهي

الصدفة أم القدر؟

ختمت كلماتها بنظرة مفادها "لا

تعبث معي مرة أخرى" وغادرت كما

جاءت متمنية لهما سهرة ممتعة...

خيم صمت رهيب على الطاولة حاول

ابراهيم كسره من خلال همسة

باسمها واحتضان لأصابعها لكنها

زجرته بعينيها المشتعلتين نارا:

-ظننتك تكتب القصائد من أجلي

فقط لكن يبدو أنني قد أخطأت

التفكير...

هم بالكلام فأخرسته بجملتها قبل

أن تغادر المكان برمته:

-تدعي الغيرة والتملك بينما تغازل

كل من تقع عيناك عليها؟! أنت

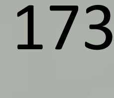
فعلا ذكوري شرقي متخلف...

والختام كان كلمة واحدة تتكون

من أربعة أحرف:

-حقير...

****



الثقة هي الايمان بالذات وقدراتها

والغطرسة هي اليقين التام بحدوث

أمر يخص أناسا تربطك علاقة بهم...

وهو واثق حد الغطرسة والغرور،

البارحة اقترح عليها فكرة حضور

معرض الحمام واليوم هو ينتظر

قدومها بفارغ الصبر، العرض مغري

وبالنسبة لعاشقة حمام مثلها الفرصة

ذهبية واقتناصها أمر حتمي لا مفر

منه...

توافد الناس من كل حدب وصوب

يتهافتون على رؤية أنواع الحمام

المدربة على عروض مذهلة تشبه

الخيال. بحث عنها بين الوجوه

العديدة لكنه لم يستطع ايجادها

فبدأ الأمل بداخله يذبل، كيف

استطاعت مقاومة رؤية هذا الكم من

الحمام؟!

لكن بحثه لم يدم طويلا فها هي

صاحبة خصلات القهوة تتفرج على

قفص كبير يضم حمامات مختلفة

الألوان والأشكال، سارع يقف الى

جانبها بهمهمة بسيطة:

-تبدو جميلة أليس كذلك؟!

استدارت ناحيته تطالعه ببرود ثم

عادت تتأمل الحمام من جديد، نظر

حيث تنظر مكملا:

-لا تبدين متفاجئة لرؤيتي هنا...

هزت كتفيها بلا مبالاة:

-كنت أعلم أنني سأجدك هنا...

ضحك بصوت مسموع كأنه يحتفل

بنصر كبير:

-هل أفهم من كلامك أنك هنا

لرؤيتي؟

هزت رأسها بملل وغيرت مكانها الى

جانب قفص آخر يحتوي نوعا واحدا

من الحمام ، لحقها حيث تقف مبادرا

بشرح مميزات هذا النوع:

-الحمام مروحي الذيل سلالة مشهورة

من حمام الزينة، يميزها ذيل على

شكل مروحة يتألف من ثلاثين إلى

أربعين ريشة، ويعد هذا استثناءً بين

سلالات الحمام التي عادة لديها إثنتا

عشرة إلى أربع عشرة ريشة. يعتقد أن

الموطن الأصلي لهذه السلالة هو

الهند والصين أو إسبانيا ، وهناك

أنواع متعددة لهذه السلالة مثل

الحمام مروحي الذيل الإنجليزي

والهندي والتايلاندي. ويعرف الحمام

مروحي الذيل في العالم العربي بعدة

أسماء منها الشماسي والرقاصي

والفانتيل.

استمعت الى كل حرف بتركيز

شديد ، معلوماته عن العمام كثيرة

وتجذب انتباهها لكن طريقته في

التعامل معها تثير غيظها وهذا ما

يدفعها للهروب منه في كل مرة

يجتمعان في مكان واحد...

طلب منها التنقل الى قفص آخر

فسارت الى جانبه بلا مقاومة، أكمل

شرحه بحرفية شديدة وحاولت هي

الاحتفاظ بأكبر قدر منها،

اكتشفت معلومات جديدة لم تعرفها

من قبل كما شعرت براحة اتجاه هذا

الجاسر الذي ظلمته بحكمها المسبق

عنه، طبعه المرح أشعرها أنه انسان

مزعج لكنها أيقنت أنه ليس

كذلك، هو فقط يحاول كسب ودها

بطريقة لم تعجبها لكنه بالنهاية

نجح في فعل ذلك، فهي لم تمانع

مخاطبته لها باسمها مجردا دون أية

ألقاب رسمية...

سعادته بيلونتها معه جعلته ينسى

نفسه برفقتها، كرر اسمها مرات

ومرات كأنه يتلذذ بتلفظ تلك

الأحرف القليلة دون ممانعة

صاحبتها... خلال تنقلهما في المعرض

لمح عربة صغيرة لبيع غزل البنات

فتحمس للفكرة:

-فاتن أتحبين غزل البنات؟!

نفس اللمعة الحماسية اشتعلت بين

جفنيها بينما تصفق بيديها موافقة،

ذهبا الى البائع يشتريان ما يريدان ثم

جلسا على مقعد خشبي يريحان

أقدامهما من تعب المشي لساعات لم

يشعرا بها، تحدثا في مواضيع مختلفة

وضحكا كصديقين يعرفان بعضهما

منذ سنوات طويلة...

تمنى جاسر لو تطول هذه المدة

أكثر لكن وقوفها نبأه بفراق قريب

لا يريده، طلب منها المكوث لمدة

أطول لكنها اعتذرت منه بعد شكر

حار لما فعله معها هذا اليوم وغادرت

المعرض بابتسامة راضية وسعيدة...

اتجهت نحو سيارتها لتعود الى المنزل

لكنها انصدمت بمنظر الخنجر

المثبت على مقدمة السيارة، سارعت

خطواتها وقلبها يكاد يغادر أضلعها،

هذه السيارة كلفتها الكثير، عملت

بجد لسنة كاملة بهدف توفير ثمنها

الذي لم تسمح لوالدها بدفعه، أرادت

الاعتماد على نفسها لشرائها وها هو

متنمر حقير يغرس فيها خنجرا بكل

دم بارد ضاربا بتعبها عرض الحائط...

بدت الأمتار القليلة التي كانت

تفصلها عنها طويلة أكثر مما ينبغي

لكنها نسيت كل ذلك التفكير

بشأن كدحها السنة الماضية لدى

اكتمال المشهد أمامها... صورتها

مغروسة بين الخنجر والسيارة

وبالضبط في منطقة العنق!!

****

الظلم هو التعدي على الآخرين وعدم

انصافهم، انتهاك حقوقهم وايلامهم

والأسوأ من ذلك كله، عقابهم من

أجل أخطاء ارتكبها غيرهم فيصبح

ذنبهم الوحيد صلة قرابة تجمعهم

بمن عثوا في الأرض فسادا...

كان عائدا الى منزله حين سمع

صوت بكاء طفل صغير يصدح في

المكان، جذبه الصوت لمعرفة ما

يحدث فسار باتجاهه دون الحاجة الى

التفكير مرتين...

رأى طفلا صغيرا لم يتجاوز العاشرة من

العمر ملقى على الأرض وأمامه يقف

رجل ضخم الجثة بدا من ملابسه أنه

صاحب محل الخضر والفواكه

المجاور، صرخ فيه متهما:

-أين التفاح الذي سرقته يا ولد...

جاهد الطفل الصغير لاخراج

الكلمات من حلقه:

-صدقني يا عمي أنا لم أسرقها...

ركله بقوة مكملا تحقيقه:

-ومن فعلها غيرك يا ابن السارق؟

أخفض عينيه بألم، ألم شعر به في

نفسه بدل جسده الذي تعرض للضرب

بقسوة، والده يمضي عقوبته في

السجن بسبب سرقته لمحل بيع

الأجهزة الكهرومنزلية وهو نال لقب

ابن السارق بجدارة، كنيته الجديدة

لازمته كظله وأصدقاءه ابتعدوا عنه

خوفا من انتقال هذه العدوى اليهم،

والآن هو يتعرض للاهانة من طرف

الكبار من اجل اثم لم يفكر في

اقترافه حتى...

ركلة ثانية أخرجته من دوامة

أفكاره فتأوه بألم بينما بدأت دموعه

تبلل وجهه الصغير، أعاد كلماته

القليلة بصوت مبحوح بسبب الدموع:

-أنا لم أسرق شيئا... لم أسرق... أنا...

لست سارقا...

رفع الرجل يده عاليا في الهواء

فزحف الصغير الى الخلف وهو يتابع

حركة يده بذعر حقيقي، أغمض

عينيه ووضع ذراعيه حول وجهه في

حركة دفاعية بانتظار الضرب

المبرح الذي سيناله لكن هدوءا

غريبا لم بالمكان، انتظر لحظة

وأخرى تلتها أخرى لكنه لم يتعرض

لاذى، أعاد فتح عينيه ببطئ ليجد

رجلا آخر يقف بينه وبين الذي أراد

به سوء، لم يتعرف على منقذه لكنه

شعر بامتنان كبير ناحيته خاصة

بعد تلك النظرة المخيفة التي رمق

بها البائع:

-أتملك دليلا أنه سارق تفاحك؟!

تساءل البائع بارتباك:

-ومن تكون أنت؟!

والاجابة كانت واثقة حد بث

الرعب في نفس البائع:

-أحد رجال العدالة... وما فعلته قبل

قليل كفيل بمحاكمتك...

قاطعه بخوف طغى على نبرة صوته

المرتجفة:

-ليس هناك غيره لفعلها...

سأله بجدية مرعبة:

-أتملك شهودا على صحة ما تقوله؟!

اندفع البائع بثقة يجيبه:

-لست بحاجة للشهود، والده سارق

وبالتأكيد ورث مهنته عنه...

وبما أن الكلام لا يجدي نفعا مع

أمثاله ونفسه ضاقت ذرعا بما يتفوه

به من حماقات فقد وجه له لكمة

أسقطته أرضا ثم انهال عليه ضربا

محاولا شفي غليله من طفولة مشابهة

اضطر لعيشها، من ذكريات ظلم

تعرض له بسبب أب سكير قاتل، ومن

نظرة مجتمع لا ترحم...

واصل ضربه بكل قوته والآخر

يصرخ طلبا للمساعدة، الصفح أو

الغفران لكن توسلاته لم تشفع

لديه، اقترب منه الطفل الصغير

برجاء:

-اتركه يا عم ستقتله وحينها

سيقولون أنني قاتل... أنا لست سارقا

ولا قاتلا، اتركه يا عم...

كان صوت الطفل الباكي كفيلا

باخماد نار غضبه المشتعلة فترك

الرجل وغادر مسرعا دون الالتفات الى

الخلف، استقل سيارته وانطلق بها

يحاول نسيان ذكريات طفولته

القاسية والتي قام هذا الطفل الصغير

باحيائها من جديد مسببا بذلك

نزيف جرح لم يستطع الزمن

مداواته...

غير مجرى أفكاره نحو هدفه، ابتسم

بتلذذ وهو يتخيل منظر الخنجر

مغروسا برقبتها بدل صورتها وبداخله

ارتفع صوت شيطانه مشجعا، الهدف

يقترب والنهاية ستخط كيفما شاء

ومثلما حلم، لا شئ سيوقفه ولو دفع

حياته ثمنا لتذوق تدفق دماء

وريدها...

شعر بالنشوة وهو يتذكر منظر

الرعب بعينيها لحظة رؤيتها للخنجر

والصورة، تلفتها حولها بحثا عن

الفاعل وهروبها المرتبك الذي ترك

أثرا على روحه المتعطشة لدمائها...

هو يقترب والنهاية باتت وشيكة...

في خضم أفكاره لم ينتبه لسرعته

الزائدة عن الحد المسموح به الا

حين ارتطام شئ صلب بمقدمة

السيارة، ضغط الفرامل بسرعة

وترجل يتفقد الوضع ليجد فتاة

مستلقية على الأرض وسط بركة



دماء صغيرة وأخرى تقف الى جانبها

تنادي اسمها بخوف:

-سمر!!

الفصل الخامس

الغضب شعور يتملك الإنسان حين

العجز وربما حين عدم حدوث

المتوقع، منا من يغضب لأتفه الأسباب

ومنا من يتمالك نفسه، يضبط

أعصابه ويتصرف بحكمة وربما

بخبث!

عاد الى منزله يلعن حظ موعده

الغرامي الذي لاقاه بمغرورة لا تهتم

بأحد ، دخلت على الخط بدون سابق

انذار وهدمت كل ما بناه في لحظة...

لطالما انتظر هذه اللحظة، موعد

عودة حبيبته من سفرها ، عشاء

رومانسي في مطعمهما ومفاجأة بعرض

زواج لم يتسن له فعلها والسبب...

صاحبة عينين خضراوتان تعتبر

نفسها مركز دوران الكرة الأرضية

أما النتيجة فتمثلت في مقاطعة

سمرائه له ليومين متواصلين...

ألقى السلام على والديه ودخل غرفته

بصمت، لم يشأ الكلام ولم يبديا أي

اعتراض ما أشعره براحة أكبر...

جلس على فراشه يخرج علبة مخملية

من جيبه، فتحها برفق يتحسس تلك

الحلقة الذهبية المرصعة بالأحجار

الكريمة، حجمها صغير جدا بما

يتناسب مع حجم أصابعها الرقيقة...

تنهد بحسرة وهو يسترخي على فراشه

بينما الخاتم لا يزال بين أصابعه،

الخاتم الذي كان من المفترض به

تزيين بنصر حبيبته واعلانها زوجته

المستقبلية أمام كل الحاضرين في

المطعم...

تقلب في مكانه مرة بعد أخرى،

النوم يجافيه والأفكار تتصارع داخل

رأسه بلا رحمة... كم يتمنى لو

يسمع صوتها مرة واحدة قبل النوم، لو

تتكرم عليه بفرصة لسماع ما لديه

والحكم عليه بعد ذلك... من قال

أنه يحب العيون الخضراء؟!... هو فقط

أراد اثارة حنق الفاتنة لكن عشقه

وولهه كله منصب في دوامة عينينها

الفحميتين، ذلك اللون المميز الذي

جذبه من أول لقاء... لكن ما السبيل

الى الشرح وهي تصد كل محاولاته

في ارضائها؟!

هب من مكانه فجأة كمن لدغته

أفعى، حسابه مع تلك الغبية لم

يدفع بعد وهو لن يكون اسمه

ابراهيم ان لم يجعلها تندم بل

وتعتذر عما اقترفته في حقه وحق

سمرائه... وكأن اسمها وحده كفيل

بجعله يهدأ، فما ان همس حروفا ثلاث

"سمر" حتى عادت الطمأنينة الى

نفسه الثائرة...

أخرج نفسا حارا وعاود الاتصال بها

وكله أمل في الحصول على الاجابة،

حتى لو كانت سبابا أو شتيمة، المهم

أن ترد... لكن هيهات أن تتحقق

أمنيته، ها هو نفس الشريط المسجل

يعيد كلاما حفظه عن ظهر قلب...

"الرقم المطلوب خارج مجال التغطية"!!

تفاقم غضبه أكثر وردة الفعل تمثلت في رمي الهاتف بعيدا والاستلقاء من جديد، أجمل طريقة للانتقام ستكون بنشر القصة القديمة كاملة، هذا حتما سيدفع تلك الصغيرة الى الجنون وحينها سيحصل على بعض المرح...

ابتسم وهو يتخيل منظرها حين تأتي

الى مكتبه، تلقي تهديداتها الفارغة

بوجهه وتحذره من محكمة ستقتص

حقها منه... حينها سيستمتع بكل

لحظة وثانية يقضيها معها، يبتسم

ببرود ويتلذذ بغيظها أكثر،

سيذكرها أن العبث معه أكبر

أخطاء حياتها بعدها يطردها من

مكتبه شر طردة...

مهلا لحظة... كيف سيفعل ذلك

وهو لا يعلم ما حدث في تلك القصة

بالضبط، من أولئك الرجلان اللذين

وجدا مقتولين في المقبرة برفقة

ابراهيم الخليلي؟! وما علاقة السيدة

وفاء بالقصة؟... لم يصمت الجميع

عن قول الحقيقة وهل تلك المغرورة

على علم بها؟!

أسئلة كثيرة تعبث بتفكيره ولا

جواب يشفي غليله... اللعنة.

صوت هاتفه قطع سلسلة أفكاره

الحائرة، سارع يتطلع الى اسم المتصل

وكله أمل في رؤية اسم الحبيبة

الغاضبة لكنه وبدل ذلك وجد

رقما غريبا لا يعرفه، مط شفتيه بملل

واستلقى من جديد غير آبه للرنين

المزعج الذي فاق الخمس اتصالات...

أمام اصرار المتصل لم يجد بدا من

الاجابة، وحين فعل كاد قلبه يهوي

من بين ضلوعه... سمر تعرضت لحادث

وهي الآن بالمشفى!!

****

حين الصدمة تتوقف أعضاء الجسم

عن العمل، تجحظ العينين وتتيبس

الأرجل ولا كأنها سارت من قبل،

حتى العقل يدخل في حالة من

الجمود المؤقت مانعا أي ردة فعل من

الظهور...

حين الصدمة يصاب الانسان بالشلل

والعجز فيتحول لتمثال أصم لا يسمع

أو يبصر...

بلا وعي ترجل من سيارته يطالع

ضحية سرعته، فتاة لم يتبين

ملامحها بسب خصلات شعرها التي

أخفت معظم وجهها تستلقي الى جانب

العجلة وأخرى تنظر اليها بذعر

وصوتها يردد اسم "سمر"

انحنى على ركبة واحدة يتحسس

بأصابعه نبضها، زفر براحة لتأكده

أنها حية وحملها بين ذراعيه نحو

السيارة مشيرا لصديقتها بالصعود

أولا، امتثلت لأمره بلا اعتراض

وجلست في المقعد الخلفي مسندة

رأس سمر على ركبتيها...

جلس خلف المقود يديره باتجاه أقرب

مشفى وانطلق بأقصى سرعة

ممكنة، حياة هذه الشابة في خطر

وان ماتت سيكون المسؤول عن

ذلك...

انتبه فجأة الى مسار أفكاره، منذ متى

وهو يهتم؟! بل منذ متى يشعر

بالخوف!!... أليس هو من عاش حياته

كلها بصفة ابن السجين القاتل،

بماذا سيفرق الوضع ان اصبح القاتل

شخصيا؟! على الأقل حينها سيأخذ

اللقب بجدارة ولن يؤلمه سماعه من أي

أحد...

أزعجه صوت بكاء الآنسة في الخلف

فاستدار اليها مزمجرا:

-كفي عن النواح كالعجائز

واضغطي على الجرح برأسها...

بترت باقي الحروف داخل حلقها وهي

تلمح نظرة الغضب في مقلتيه اللتين

تهددان بعاصفة هوجاء تدمر بلا

هوادة في حالة استمرارها في

البكاء... مدت أناملها المرتعشة

تضغط الجرح النازف لكن ملمس

الدم اللزج أربكها وزاد من خوفها

وقلقها، كادت تصرخ، بل فكرت في

الهروب والنفاذ بجلدها، حدسها

يخبرها أنها في خطر وكذلك سمر

لكن أين المفر وهذا المخيف يسير

بسرعة جنونية تماثل سرعة دقات

قلبها...

كتمت شهيقها بصعوبة، لا تريد

اثارة غضبه وبالتأكيد لا تتمنى

استدارته مرة أخرى فما رأته حتى

الآن كاف بل ويزيد أضعافا مضاعفة

عن الحاجة...

تنفس الاثنان الصعداء حال توقف

السيارة أمام الاستعجالات في المشفى،

هو يريد الاطمئنان أنها بخير وهي

تريد الهروب من مرمى بصر هذا

الرجل الذي يبث الرعب بداخلها...

ترجل من السيارة يطلب المساعدة من

الداخل ثم عاد وبرفقته ممرضتان

وطبيب اضافة الى سرير متحرك

لأخذ المصابة، تبعتها صديقتها

كظلها ولم يختلف الأمر بالنسبة له

رغم نظرات الاتهام الموجهة له...

جلس الاثنان ينتظران خارج قاعة

الفحص بفارغ الصبر حين حضر رجال

الشرطة لأخذ أقوالهم، تقدم أحد

الأعوان منهما بسؤال:

-بلغنا أن الفتاة تعرضت لحادث سيارة،

أليس كذلك؟!

اندفعت بحماس تخبرهم عن هذا

المتهور الذي كاد ينهي حياة

صديقتها:

-كنت أسير برفقة سمر حين جاءت

سيارة مسرعة واصطدمت بها...

بدأ الشرطي بتسجيل أقوالها:

-من أين تعرفين الضحية؟

بدت ساذجة وهي تخبرهم عن قصة

صداقتهما:

-أنا ميرنا ، تعرفت على سمر في

الجامعة ونحن صديقتان منذ ذلك

الوقت و...

قاطعها قبل أن تكمل:

-كيف وقع الحادث؟

وبما أن الثرثرة جزء لا يتجزء من

النساء فقد واصلت بسرد التفاصيل:

-سمر تمر بظروف صعبة جعلها تفقد تركيزها وتعبر الطريق دون التحقق من وجود السيارات...

تابع ما يحدث بملل، هذه الفتاة تزعجه ويتمنى لو يستطيع اخراسها ليرتاح منها ومن ثرثرتها... أنقذه من تنفيذ أفكاره عون آخر يسأل عن تفاصيل الحادث، أخبره بما حدث دون زيادة أو نقصان فتم تسجيل أقواله

وبياناته مع أمر بالبقاء في المدينة

حتى استفاقة المريضة ومعرفة

قرارها حول ما اذا كانت ستسامحه أم

لا... خضع لأمرهم وجلس ينتظر

خروج الطبيب وكله أمل ألا تكون

المدعوة سمر كصديقتها ميرنا...

والانتظار لم يدم طويلا، لحظات

وخرج الطبيب يخبرهم عن ارتجاج

في المخ وضرورة راحة طويلة الأمد،

طمأنهما أنها ستستيقظ قريبا وغادر

بعدما ربت على كتفه بامتنان:

-غيرك كان ليهرب، لكنك أثبت

رجولتك باحضارها الى هنا... بارك

الله فيك بني...

غمغمت الواقفة الى جانبه بحنق:

-يكاد يقتلها ثم يعامل معاملة

الأبطال!!... صدق من قال قتل القتيل

وسار في جنازته...

نظر اليها بينما يرفع حاجبا واحدا

باستفهام:

-أقلت شيئا؟

انتفضت في مكانها برعب حين

أيقنت سماعه لكلماتها فحركت

رأسها بعنف:

-ولم قد أقول شيئا؟

وهرولت الى الغرفة كهارب من موت

محقق يطارده، التوى جانب فمه

بسخرية واستند على عتبة الباب

يسترق النظر الى الأميرة النائمة

بالداخل، همس في نفسه بلؤم:

-أهذه من أيقضت شعور الخوف

بداخلك؟!

واصل التحديق فيها لدقائق لم يعرف

لها عدا، تلك الفتاة تحطيها هالة

غريبة من البراءة التي لا يعترف بها،

هدوء ملامحها يبعث في نفسه رغبة

بحمايتها من شئ لا يعرف ماهيته...

****

بعد الصدمة غالبا ما يأتي الخوف

تاليا، الخوف من مستقبل مجهول

المعالم ومن خطر محدق يتربص بك

في كل لحظة...

الخوف شعور يناقض الأمان، يجعلك

في حالة ترقب دائم لما هو قادم،

يزرع بداخلك الشك ويزعزع

ثقتك بمن حولك دون استثناء...

وبالفعل هذا ما حدث منذ رؤيتها

للصورة والخنجر، هذه بالطبع ليست

نكتة سخيفة يقوم بها أحد

أصدقائها لكنها أمر خطير يستوجب

كامل انتباهها وحذرها...

فتحت مكتبها منذ الصباح الباكر

على غير عادتها، لم تشأ الخروج

برفقة والدها كما تفعل كل صباح

وذلك لتجنب رؤيته للسيارة بهذه

الحالة المريبة، لا تريد التعرض

للاقامة الجبرية في المنزل والتي لن

تسلم منها في حالة اكتشاف آدم

للموضوع... اه من ذلك الرجل،

لطالما خشي عليها حتى من نسمات

الهواء التي تلفح وجهها، أحاطها

باهتمامه ورعايته حد شعورها

بالاكتفاء من هذه القيود التي تلتف

حول رقبتها يوما بعد يوم والدافع...

خوف!!

وصل عامل الصيانة الذي سيتولى

مهمة اصلاح سيارتها فقامت من

مكانها مرحبة:

-أهلا بك سيد عماد...

ابتسم بود وهو يرد التحية:

-مرحبا آنسة فاتن...

دعته الى الجلوس واحتساء بعض

القهوة لكنه رفض بحجة جدوله

الممتلئ، فضل رؤية السيارة مباشرة

وكان له ما أراد... أخذته الى المرآب

تعيد جملتها للمرة الألف:

-لا أريد أن تظهر آثار الصيانة عليها...

أكد على ذلك وطلب منها عدم

التفكير كثيرا فخبرته ستجعل من

السيارة تبدو وكأن شيئا لم يحدث...

شكرته بلطف وسلمت له المفاتيح

على أمل اصلاحها قبل المساء...

عادت الى المكتب لتتفاجأ بوجود

زائر لم يحدد موعدا من قبل، لم

تحاول اخفاء دهشتها من وجوده ولم

يهتم كثيرا للأمر... اقترب منها

ممازحا:

-مفاجأة جميلة أليس كذلك؟

وللغرابة لم تبد عبوسها المعتاد، بل أجابته بمرح جعله يشك أنها نفس الفتاة التي تعامل معها من قبل:

-فعلا مفاجأة جميلة سيد جاسر...

جاورته على الأريكة بعدما طلبت له قهوة لكن هذه المرة طلبت برفقتها بعض السكر، بدأت تحاوره حول العمل وتصورها المبدئي حول شكل المكتب الجديد بينما أخذ هو يتابع

حركة يديها في الهواء، رمشة

أهدابها بين الحين والآخر ولمعة

عينيها الواثقة... توقفت فجأة تدعي

عدم معرفتها أنه غارق في تفاصيلها

وهي تطرح سؤالا بدا بريئا ظاهريا:

-أهناك مشكلة سيد جاسر؟

حرك رأسه نفيا بهمسة خافتة لم

تكد تخترق أذنيها:

-تبدين جميلة...

وبعد الهمسة نال حمرة، والحمرة في

عرف الرجال لذة!!... أما الاكتفاء

منها فهو سابع مستحيلات أو محض

ضرب من الخيال... والكرة مطلوبة

بل وواجبة...

مال الى الأمام يضيق عينيه بعبث

تحفظه:

-اسمك اسم على مسمى...

اختت الحمرة واحتلت النظرة الواثقة

محلها... تراجعت الى الخلف تضع

قدما فوق الاخرى بأريحية بينما

تزيح خصلة طويلة للوراء:

-أعلم...

وابتسم... بل ضحك وقهقه عاليا...

ثم تساءل بلؤم:

-اذا لابد وأنك على معرفة بغرور!!

أجابته بنبرة هادئة:

-أفضل تسميتها ثقة!

وقبل أن يتحدث قاطعهم صوت ارتطام

شئ بالنافذة، وقفت تتطلع الى الخارج

ثم ما لبثت أن صرخت بانبهار:

-حمامة!!

حمامة بيضاء تريد وتصر على

الدخول... فتحت زجاج النافذة

بسرعة والتقطتها بين يديها لتنتبه

لوجود ورقة معلقة بقدمها اليسرى،

استدارت تنظر اليه بحيرة وهو شجعها

على فتح الورقة فقد يكون هناك

معجب يريد ايصال رسالته... ضحكت

على أفكاره الحالمة وفتحت الورقة

تقرأ ما كتب فيها:

-البارحة من أجمل أيام حياتي

رفقتك أضفت طعما جديدا على

يومي

ولم أجد خيرا من هذه الحمامة لأبلغ

بها شكري...

ضحكت برقة وهي توقن أنه صاحب

الفكرة، وضعت كفها على شفتيها

تخفي تأثرها الواضح لوهلة ثم

تقدمت منه تشكره على هذه

المبادرة الرائعة لكنها أبدا لن

تحبس الحمامة المسكينة في قفص

ولو كان مصنوعا من ذهب، حاول

الاعتراض فأنهت النقاش بافلات

الحمامة عبر النافذة مستمتعة

بمنظر رفرفة جناحيها الذي لم يدم

طويلا...

فجأة اخترق سهم جسد الحمامة

الصغير ملقيا بها على الأرض تتخبط

وسط دمائها ، صرخت بفزع ونزلت

الدرج بسرعة وهو يتبعها على أمل

انقاذها لكن حين وصلا كان الأوان

قد فات... الحمامة أصبحت جثة

والسهم يحمل نفس صورة الخنجر

الذي طعنت به سيارتها سابقا...



الفصل السادس

ظنون ... ظنون... ظنون

ماذا أفعل عندما تأتيني الظنون؟!

أخبرني رفيقي عن الظنون

ماذا أفعل عندما تخبرني الظنون

أنني وحيد في دروب بلا النجوم...؟!

رفيقتي...

دعك من تلك الظنون

فهي من تسير في دروب بلا نجوم

رفيقتي

قد تكون دروبك طويلة...

ولكن سأملأها نجوم

وبعض أنواع من الزهور

سأهمس في أذنك بسر لترحل

عنك الظنون

رفيقتي... أحبك

حبا يطرد عنك الظنون

حبيبتي

للرائعة: بوسي كات

حين تدخل الظنون على الخط

تتزعزع أية علاقة مهما كانت قوية

أو متينة، يصبح الشك سيد الموقف

وتبدأ وساويس الشيطان بالعبث!

بعد آخر لقاء جمعه بصاحبة العيون

الخضراء أساءت حبيبته الظن به

واعتقدت أنه يخونها مع أخرى هو لا

يطيقها أصلا، قطعت بينهما أية

وسيلة للحديث وفضلت الابتعاد

والرحيل... وهو وافق على بعد مؤقت

على أمل أن تلين وتصفح كما هي

عادتها أبدا...

لكنه لم يفكر يوما أنها قد تبتعد

بلا رجوع، تغادر دون عودة وتفارقه

الى الأبد حتى جاءه ذلك الاتصال

الذي كاد يفقده عقله!

صديقتها الباكية بصوتها المرتجف

تبلغه أنها تقف خراج غرفتها

بالمشفى، تطلب منه القدوم وتترجاه

الاسراع، فالوضع خطير وهي خائفة.

بقفزة واحدة كان يدير المقود

ليخرج من مرآب المنزل، لم يقدم

تفسيرا لوالديه الحائرين وسارع الى

حيث ترقد حبيبته... سرعة دقات

قلبه تخطت سرعة سيارته الجنونية

بمراحل، أنفاسه متلاحقة وعيناه

متسعتان بخوف، قلق وهلع من فراق

محتمل...

حين وصل كان المكان هادئا الا من

أنين بعض المرضى هنا وهناك، جال

بعينيه بين اللافتات يبحث بيأس عن

شئ يرشده اليها، لم يجد ما يساعده

فزفر بحنق وراح يبحث عن ممرضة أو

عامل يخبره عن مكانها...

كلماته غير المتراكبة جعلته يبدو

كأخرق لا يعي ما يقوله، استعان

بيديه وكل أعضائه يشرح ما يريده

دون فائدة، لا أحد يعلم مكانها وهو

سيجن حتما!

تنقل بين أروقة المشفى يبحث عنها

بنفسه، أولئك الأطباء لا يصلحون

لشئ لذلك لن يضيع وقته في طلب

مساعدة لن تقدم له...

بعد جهد مضني لمح صديقتها تجلس

على الأرض في آخر الرواق وتضم

ركبتيها الى صدرها بينما عيناها

غائمتان في اللاشئ، ركض نحوها

يسأل عن حبيبته:

-أين هي سمر ميرنا؟

انتفضت لاإراديا حين سمعت صوته،

مسحت دموعها بأكمام سترتها ووقف

تواجهه:

-ابراهيم...

وأشارت للغرفة المقابلة لهما تخبره

ألا يقلق، سمر بخير لكنها تحتاج

الى بعض الراحة...

لم يدعها تكمل كلامها حتى،

اخترق باب الغرفة بسرعة يبحث عن

سمرائه ويتأكد أنها فعلا بخير...

وجدها مستلقية على فراشها الأبيض

بهدوء شديد ، يدها موصولة بمحلول

وضع فوق رأسها وشعرها تناثر على

وسادتها بعشوائية...

اقترب يتحسس جبينها المضمد بألم ،

رؤيته لها في هذه الحالة تفطر قلبه

وتعذب روحه العاجزة عن تقديم أية

مساعدة...

جذب كرسيا يجلس الى جانبها بينما

يحتضن أناملها بين كفيه يبثها

الدفئ والحنان، لم يغمض له جفن

طوال الليل وهو يراقبها ويتأمل

ملامحها التي لا يمل من النظر اليها...

لم يشعر بالوقت الا وأشعة الشمس

تتسلل الى الغرفة باستحياء، لمح

ضغطها لعينيها فأيقن أنها على وشك

الاستيقاظ، ابتسم بحب وهو يقبل

باطن كفها:

-صباح الخير يا أجمل امرأة في

العالم...

فتحت عينيها لبرهة وأغلقتهما تحاول

استرجاع آخر الأحداث التي تعرضت

لها... كانت تتجول برفقة ميرنا

وتخبرها عن خيانة حبيبها لها، لم

تنتبه للطريق وهي تقرأ على مسامع

صديقتها مقال حبيبها المبجل الذي

يتغزل فيه بصاحبة العيون الخضراء،

ذلك المقال الذي أمضت الليلة

الماضية في قراءته برفقة دموعها

التي أصرت على النزول فلم تجد

لايقافها سبيلا... وكيف توقف

سيلان قلب طعنه أقرب وأحب الناس

اليها!!

بعدها ظهرت سيارة مسرعة أدخلتها

في عالم اللاوعي الذي كان خير

مهرب من خيبتها وانفطار قلبها...

أشاحت وجهها بعيدا عنه مع عودة

ذكرياتها، غمغمت بكلمات مقتضبة

تطلب منه المغادرة لكنه أعند من أن

يرضخ لطلبها الذي يعتبره تفاهة!

لم يحاول الاقتراب منها خشية

غضبها لكنه في المقابل لم يغادر

أيضا، استرخى على كرسيه يسألها

بوله:

-كيف تشعرين؟!

والاجابة كانت مقتضبة حد

الاختناق:

-أشعر بالانزعاج من وجودك هنا...

مط شفتيه بأسف مصطنع يدعي

الحزن من كلماتها:

-كم اشتقت اليك سمرائي...

هزت كتفيها بلا مبالاة فابتسم بحنو

وهو يلتقط أناملها بين كفيه من

جديد يلثمهم بقبلة مشتاقة:

-تتدللين!!

حاولت جذب أصابعها لكنه ضغط

عليهم يأسرهم أكثر... نهرته

بعينيها:

-ابراااهيم...

والنبرة هذه المرة عاشقة حد الوله

أما النظرات فكانت تذوب بها شغفا:

-عيون ابراهيم...

كادت تلين لكنها تذكرت سبب

غضبها الأساسي فسألته بحنق:

-أتقصد عيونه الخضراء؟!

ضحك على نكتها بمرح وأمسك

ذقنها يديرها لتواجه عينيه ليغوص

في فحم مقلتيها اللامعتين:

-بل عيونه الفحمية التي سلبت لبه

منذ أول يوم رآها فيه...

وأمام هذا الكم من الغزل لم تجد

مهربا غير تورد الوجنتين وغلق

الجفنين بابتسامة خجول:

-ابراهيم... كفى...

هم بالرد لكن طرقا خفيفا على

الباب قاطعه، تطلع باتجاه القادم

بتوعد سرعان ما تحول الى صدمة

وهو يرى والديها يدخلان بقلق...

ابتعد عنها بسرعة ثم خرج من

الغرفة يتيح لهما فرصة الانفراد

والاطمئنان على ابنتهما، انتظر خروج

والدها الى الرواق لجعل الأمر رسميا:

-أريد احضار عائلتي لطلب يد ابنتك

سيد علاء!

****

حين التعرض لموقف غريب أو مخيف

يبدأ العقل بالتحليل مباشرة، يضع

فرضيات كثيرة ويتحول التفكير

الى قاعة محاكمة تعرض فيه

الأدلة بحثا عن الجاني الذي قد يظل

مجهولا الى الأبد!

بعد سعادتها بهدية صديقها الجديد

والمتمثلة في حمامة بيضاء حملت

لها من الكلمات ما أدخل البهجة على

قلبها، اخترق سهم لا يرحم جسد

الحمامة الصغير ليرديها قتيلة أمام

أعينهما بينما هما عاجزين!!

تطلع الاثنان حولهما بحثا عن الفاعل

لكن لا أثر، الشارع خال من كليهما

خاصة وأن الوقت لا يزال مبكرا

ومعظم الناس لم يستيقظوا بعد...

أخرج جاسر السهم من جثة الحمامة

وألقاه بعيدا بحزن:

-كيف استطاعوا فعل ذلك؟!

وا رد من فاتن التي وقفت كالصنم

الميت تتأمل السهم الملطخ بالدماء،

تلك الصورة لا يمكن أن تكون

صدفة كما أن الأمر ليس لعبة،

هناك شخص م يتربص بها والخطر

بالتأكيد ليس بالبعيد، لكن من

ولم؟! هي لم تختلط بناس كثر،

معارفها يعدون على الأصابع وعلاقتها

بهم لم تتخط الحدود الرسمية التي

ترسمها بينها وبين أي شخص جديد

تقابله...

انتشلتها من أفكارها ربتة خفيفة

على كتفها ونداء خافت باسمها:

-فاتن هل أنت بخير؟

أومأت برأسها ايجابا وعادت الى

الداخل كآلة مسيرة لا حول لها ولا

قوة... تبعها جاسر بعدما ألقى

بالحمامة في حاوية القمامة وسؤاله

يتردد باصرار أكبر:

-فاتن ما بك

جلست على الأريكة تنظر الى

اللاشئ وجاورها هو بهدوء يحاول

الفهم، يعلم أنها عاشقة للحمام وما

حدث قبل قليل قاسي وغير انساني

بالمرة لكن فاتن ليست بالشخص

الضعيف لتتنهار بهذا الشكل...



وقف يحضر كوب ماء بارد علها تفيق

من صدمتها وتعود الى حالتها

الطبيعية... أمسكت الكوب بأنامل

مرتجفة وقربته من شفتيها ترتشف

رشفة صغيرة:

-لم قتلوها؟

تساءلت بتيه، لم تكن تنتظر جوابا

منه لكن عقلها أراد حلا لهذه

الأحجية التي لا تعلم كيف دخلتها

بالأساس... حائرة هي وخائفة، هذه التهديدات لا تأتي من الفراغ والحلول أمامها اثنين لا ثالث لهما؛ اما أن تخبر والدها وتنحبس في المنزل برفقة عمتها المقعدة أو تواجه هذا المجهول بمفردها ولوحدها!

أخذ الكوب منها بابتسامة، هي بحاجة لابعاد أفكارها عن الحمامة المقتولة والخروج من المكتب

سيكون خير وسيلة لفعل ذلك...

طلب منها الذهاب معه الى الخارج

لكنها تمنعت بحزم أثار حيرته،

جحوظ عينيها حين تعلق الأمر

بالذهاب لمكان آخر نبأه أن حالتها

تفوق مجرد حزن على حيوان ميت،

سألها بجدية أكبر:

-أخبريني ما المشكلة فاتن؟

وأمام هذا العرض المقدم اليها بكرم

لم تجد رغبة في الهرب أو الكتم،

فقط أغمضت عينيها وقصت عليه ما

حدث بالتفصيل... استمع اليها

بتركيز وملامحه تزداد صلابة كلما

سمع أكثر، وحين انتهت وقف يأمرها

بحزم:

-سنذهب لنبلغ الشرطة...

واعترضت، بل صرخت ورفضت الأمر

جملة وتفصيلا، كلاهما لا يعرفان

هوية الرجل الذي يتعاملان معه وأي

خطأ بسيط قد يؤدي بحياتها وحياته

معها...

لم يفهم سبب خوفها، أو للدقة لم

يفهم سبب تضخيمها للأمر، الشرطة

وجدت لحماية الفرد وعدم اللجوء

اليها خوفا من قاتل متغطرس يكتفي

بارسال سكين وسهم يحملان صورة

واحدة لهو الجبن بذاته...

هدأ من روعه وروعها وحاول اقناعها

بطرق سلمية قد تصل بهما الى

نتيجة مرضية لكنها عاندت وهددت

بعدم اطلاعه على أي جديد يطرأ في

القصة... وحينها فقط استسلم،

وعدها ألا يخبر أحدا وطلب منها

اعلامه بكل شئ غريب قد يحدث

معها...

بعد تبادل الوعود عرض عليها

الخروج الى الحديقة أين التقيا أول

مرة لتغيير الجو فوافقت على مضض،

أجلت جميع مواعيدها وذهبت معه الى

المكان الوحيد الذي لطالما اعتبرته

ملاذها الآمن لرمي أحزانها بعيدا...

لكن هذه المرة لن تكون لوحدها،

هذه المرة سيكون برفقتها رجل

اقتحم حياتها فجأة ودون انذار مسبق

فاجتاح عالمها وقلبها على السواء!

*****

الانجذاب نحو شخص ليس بالضرورة

اعجابا ولا بداية حب ستنتهي بعشق

وقصة ملحمية يخلدها التاريخ

وتتناقلها الأجيال عبر الزمن،

الانجذاب نحو شخص قد يكون

مجرد فضول لا أكثر!

أمام باب المشفى وقف يعيد التفكير

للمرة بعد الألف في سبب قدومه الى

هنا، حاول اقناع نفسه أنه يشعر

بالذنب لما حدث لكن صوتا خافتا

بقرارة نفسه استمر بالصراخ والنفي،

تساءل بسخرية:

-أهو فعلا ضميرك من استيقظ فجأة

أم هو عبثك من عاد يطالبك

بالمزيد؟!

وبالحديث عن العبث، ها هي تلك

الصديقة الثرثارة حد الازعاج تقترب

منه بسؤال وقح:

-ما الذي جاء بك الى هنا؟

والاجاب كانت سريعة ومباغتة:

-اشتقت اليك...

تململت في وقفتها بملل، رؤيته تثير

غثيانها ورحيله سيكون أفضل له

ولها... ابتسمت وهي تهديه نصيحة

ظنتها قيمة:

-خطيبها يبحث عنك في كل

مكان وأنا أنصحك بقراءة سورة

الفاتحة على روحك في حالة رآك

هنا...

سذاجة هذه الفتاة يدفع شيطانه

للتفكير بقتلها مع هذا الخاطب الذي

يبحث عنه لكن بقايا عقل سليم

حذرته من التهور...

تخطى الثرثارة بصمت، طرق باب

الغرفة ودخل بابتسامة مشرقة يسأل

عن حال المريضة اليوم... لم تتعرف

عليه ولم تحاول اخفاء ذلك وهو لم

يتردد في الافصاح عن هويته،

أخبرها أنه من دهسها بسيارته واعتذر

عن سرعته المفرطة التي كادت

تودي بحياتها... تقبلت اعتذاره بطيب

الخاطر واعتذرت بدورها عن عبورها

الطريق بسرعة، طمأنته أنها لن تقدم

شكوى وطلبت منه القيادة بحذر

أكبر فالموت لا تفرق بين صغير

وكبير...

استمتع بالحديث معها ولم يشعر

بالوقت يمر، هذه الفتاة تجذبه اليها

أكثر لكن ملامح وجهها البشوش

تخفي حزنا استطاع تبينه بسهولة،

أرجح أنه بسبب تواجدها في المشفى

ولم يعلق...

تجاهل لمعة الحزن تلك وهو يسأل

مدعيا عدم المعرفة:

-ما اسمك؟!

رفعت عينيها نحوه لوهلة ثم

أخفضتهما بخجل هامسة:

-سمر!

والنبرة هذه المرة مرحة تظهر شقاوة

تختبئ خلف الوقار الذي يحيط به

نفسه:

-لكنك بيضاء كالثلج...

ضحكت برقة جعلته أسيرها

للحظات قبل أن يدرك ما يقوم به،

هذه الفتاة خطر عليه والابتعاد عنها

واجب لا نقاش فيه...

لم تفهم اقتضاب ملامحه المفاجئ

وهو يخبرها بضرورة المغادرة، لم

يودعها حتى بل خرج مباشرة كأن

شياطين الجن والانس اجتمعت

لتطارده... همست في نفسها بأسف:

-انا حتى لم أعرف اسمه!

*****

عرين الأسد منطقة محظورة تمنع

دخول الغرباء، منطقة تخصه وحده

دون غيره، أما ان تجرأت وجربت

الدخول اليها فعليك وعلى روحك

السلام...

حين يخرج الأسد للصيد تنتهز

الضباع الفرصة وترى العرين جنة،

جنة محرمة ثمرتها مغرية وتذوقها

لذة... لكن ان حدث وعاد الأسد من

صيده حينها ستتحول الجنة الى...

جحيم!

عاد الى منزله بعد رحلته التفقدية

ليتفاجأ بقفل الباب المفتوح، لم

يكن مكسورا وهذا يدل على أن

المقتحم ليس لصا عاديا يريد بعض

المال أو المقتنيات الثمينة...

أخرج مسدسه يزوده بكاتم الصوت

ودخل يتفقد المكان بحذر شديد،

لم يشغل الأضواء ولم يصدر أي صوت

قد ينبأ من بالداخل أنه هنا... تفقد

المطبخ، غرفة الضيوف وغرفته،

حتى الحمام والشرفة لكن لا أثر...

وقف في مكانه يفكر في آخر

مكان قد يتواجد هذا اللص به،

مكان لم تطأه قدما بشر غيره،

مكان ان أمسكه فيه سيرسله الى

سعير الجحيم ليحترق عقابا على

فعلته...

صعد درجات السلم المؤدي الى العلية

بخفة، عيناه تجولان بحثا عن

حركة غير اعتيادية ومسدسه

متأهب للاطلاق أما نفسه فهي تتوق

لرؤية دماء هذا المتطفل المزعج...

وكما توقع تماما، وجد باب غرفته

السرية مواربا وشعاع خافت ينبعث

منها... اقترب بحيطة، دفع الباب

أكثر وأشهر مسدسه باتجاه الضوء

المتحرك وللعجب الشخص الواقف

هناك لم يتأثر!

هدوء غريب عم المكان، الاثنان

يقفان بلا حراك وكل منهما تعصف

به أفكار خاصة لم يصرح بها... مد

يده يضغط زر الانارة ويهتف بحزم

مخيف الى الواقف أمامه أن يستدير

والا أفرغ مكنون مسدسه في ظهره،

والآخر استجاب واستدار وحينها وقعت

الصدمة فمن أمامه...

فتاة!!

تطلع اليها بريبة وابتسمت هي

تطمئنه أنها ليست هنا لسرقته ولا

افشاء سره، لم تتحدث لكن عينيها

صرحتا بالكثير...

سألها بجمود:

-ما الذي أتى بك الى هنا؟

حركتها الخفيفة أجفلته فكاد

يطلق عليها لكنه تراجع حين رآها

تقترب من صورة صاحبة العيون

الخضراء المعلقة على الحائط،

تأملتها للحظات قبل أن تنظر

باتجاهه:

-كنت أراقبك منذ زمن، عرفت أنك

ابن عمر وغايتك الانتقام ممن قتلوا

والدك...

وأكملت بعد تنهيدة طويلة:

-للأسف من قتله مات منذ زمن لكن

لا ضرر من العبث بمن يقربونه حتى

لو من بعيد...

ثم رفعت يديها في الهواء بتسليم:

-بامكانك خفض سلاحك، لست

مسلحة كما ترى...

شعر بالتردد ، أيثق بها بهذه

السهولة...!!

أدركت الحيرة التي تكتنفه فقررت

وضع حد لهذه المتاهة التي أقحمته

بها... أخرجت صورة من جيبها تعلقها

الى جانب صورة تلك الفتاة بهدوء:

-أتعرفه؟

تطلع الى الصورة للحظة وعاد يركز

بصره عليها كأنما يخشى حركة

مباغتة منها:

-لا أعرفه...

دست يديها داخل جيوب سترتها

الأنيقة وهي تدور في المكان، تابعها

بنفس الحذر لكنه أخفض مسدسه

بانتظار ما ستقول:

-من قتل والدك كانت لديه عشيقة

بعد...

بتر جملتها باندفاع:

-لكنه كان يعشق زوجته وبعد

وفاتها لم يقم أية علاقة...

ضحكة ساخرة صدحت في كل

أنحاء الغرفة، اقتربت منه بتساؤل

واثق:

-ومنذ متى كان الرجل الشرقي وفيا

الى هذا الحد؟!

عادت تقف أمام الصور بتفكير،

كلاهما يستحقان الموت بطريقة

بشعة وايجادها لهذا الشخص الملئ

بالحقد سيساعدها أكثر في تحقيق

حلمها...

أخرجها صوته من دوامة أفكارها:

-وما علاقتك أنت بالقصة؟

تعانق الجفنان بحزن وتسارعت

الأنفاس حد القدرة على سماعها أما

النبرة فكانت قاسية مليئة بالكره:

-ذلك الحقير لم يقتل والدك

فحسب بل شقيقي توفيق أيضا...

الآن باتت الصورة واضحة، هي تسعى

للانتقام مثله والدافع واحد... حقد!!

ادعى البرود وهو يجيبها:

-وما الذي أتى بك الى هنا؟!

تفارق الجفنان وخلفهما ظهرت لمعة

ماكرة فهم مغزاها وان تظاهر

بالعكس:

-عدو عدوي من يكون؟

مط شفتيه بتفكير، دار حولها عدة

دورات ثم انحنى يواجه عينيها

بجدية:

-عدو عدوي ليس صديقي

بالتأكيد...

اتسعت الابتسامة أكثر مظهرة

بذلك أنيابا لامعة تشتهي الدم

وطغى الصمت على المكان مرة أخرى

قطعته هي بأخذها السلاح من يده

بغتة، أشهرته في وجهه بثقة:

-ان لم يكن صديقك فهو عدوك،

والعدو يستحق...

وأكملت برفعة حاجب مستفزة:

-القتل!!

والسخرية هذه المرة كانت من

نصيبها، لم يرمش بأهدابه حتى بل

اقترب من فوهة السلاح يتحداها

اطلاق النار عليه بهمسة:

-هذا ليس أحمر شفاه يا قطة...

في اللحظة التالية كانت الرصاصة

تمر أمام وجهه لتخترق السقف

بسرعة جعلته يتراجع للخلف

بصدمة، قهقهت عاليا وهي تلوح

بالمسدس كأنه لعبة لا أداة قتل:

-احذر هذه القطة أيها الوسيم...

استعاد رباطة جأشه بسرعة وهو

يوقن أن الفتاة أمامه ليست فتاة دلع

اعتادت اللعب بالدمى، هذه فتاة

التعاون معها سيكسبه الكثير...

مدت يدها أمامه بتقرير:

-اتفقنا؟!

وتمت الصفقة بمصافحة وابتسامة

متحمسة لما هو قادم...

الفصل السابع

غالبا مانسمع عن حوادث غيرت حياة

البشر، بين حب وكره تنمو المشاعر

وتتطور، قد تتغذى وتصبح أقوى

كما قد تتشتت، تتحلل و ... تنعدم!

أيام مضت منذ حادثة قتل الحمامة

امام ناظريها ، أيام مضت عليها

كالجحيم، لم تغادر منزلها الى

العمل، حتى الحديقة التي لطالما

امضت فيها ساعات كثيرة هجرتها ،

لم تعد تشعر بالامان وبالتأكيد طلب

المساعدة حل غير متاح!

قادت سيارتها في طريق المكتب

بعقل شبه غائب حيث لمحت سيارة

زرقاء تسير بطريقة غير مستوية،

بدى وكأن سائقها يعاني من حالة

سكر واضحة افقدته وعيه للحظات

قبل ان يرتطم بامرأة كانت تقف الى

جانب الطريق...

توقفت هي الاخرى بذعر تحاول

استعاب ما حدث قبل قليل، لمحت

السائق يخرج مترنحا فأيقنت ان

شكها في محله... الرجل ثمل حد

الهلوسة!

تطلع حوله بقلق ليتأكد الا احد رأى

فعلته، لم يلاحظ وجودها فاستغل

فرصة خلو الشارع من المارة ليلوذ

بالفرار... استغرقت لحظات قبل ان

تفهم ما يدور حولها فعلا و خرجت من

سيارتها هي الأخرى تتبعه عسى ان

يستجيب لها ويتوقف او تحفظ رقم

سيارته وتقدمها للشرطة لينال جزاء

فعلته...

لم يتوقف او حتى يخفف سرعته، لم

يلق بالا لها وبصراخها الذي ملأ

الشارع باكمله، مطالبتها له بالعودة

وتحمل المسؤولية، حتى شتمها له و

تسميته بالجبان والحيوان لم يحرك

شيئا بداخله، كل مايعمله انه

ارتكب جريمة شنيعة والسجن

سيكون محطته التالية لا محالة!!

انتبهت فجأة للسيدة الملقاة على

الارض فاسرعت اليها تتفحص نبضها

الذي كان ضعيفا بعض الشيء ،

احضرت سيارتها بالقرب منها وحاولت

حملها لكن وزن السيدة فاق قدرتها

حتى على تحريكها، تطلعت حولها

بأمل ايجاد شخص يقدم يد المساعدة

لكن المكان كان اشبه بصحراء

خالية... بعد تفكير لم يدم طويلا

ضربت رقمه بلهفة، اجابها بنبرته

الدافئة لكنها عاجلته القدوم

فامتثل لامرها بسرعة، كان في

طريقه الى مكتبها لذلك لم

يستغرق طويلا قبل أن يصل...

ساعدها في حمل جسد السيدة الى

السيارة وانطلق بسرعة الى اقرب

مستشفى بينما عيناه تتابعان

حركاتها المرتعبة في مرآة السيارة...

سألها بهدوء:

-فاتن، هل انت بخير؟ التقت نظراتهما

على المرآة فابتسمت بحرج:

-اعلم انني أزعجتك في هذا الوقت

المبكر لكنني لم اعرف بمن اتصل

غيرك جاسر.

بابتسامة حانية اجابها دون ان يشيح

بصره بعيدا.. تعلمين انني حاضر

لاجلك في كل وقت...

خيم الصمت على المكان حتى

وصولهم الى المستشفى اين سيتم

معاينة السيدة المصابة...

***

في داخل كل أنثى يقبع حلم وردي

بفستان زفاف وفارس يأتي على حصان

أبيض يحقق لها أمانيها وأحلامها

ويطير بها الى أرض السعادة الأبدية...

لكن قبل فستان الزفاف هناك

أصول يجب اتباعها وتقاليد تتطلب

تطبيقها... الخطوبة ومراسمها!

وهي كأي فتاة في العالم تحمست

للضيوف القادمين من أجلها، حبيبها

اعتذر منها بما يكفي واتخاذ خطوة

جدية لتحديد مصير علاقتهما أمر

في غاية الأهمية لكليهما...

سارت بين أروقة المحلات برفقة

صديقتها ميرنا تشتري كل ما تقع

عيناها عليه، لم تلق بالا للأموال

المنفقة فبالنهاية كل شئ يهون من

أجل زوجها المستقبلي...

دخلت محلا يعرض فساتين راقية

لأشهر المصممين فأخذت ميرنا تختار

على حسب ذوقها وسمر تتبعها بعقل

شارد ، أعطتها فستانا أحمر يصل فوق

الركبتين، ضيق يفصل الجسد

بطريقة مثيرة وفي وسط خصره وضع

شريط أنيق مرصع بأحجار براقة

أضفت على الفستان بريقا رائعا...

ابتسمت ميرنا بانبهار في حين ترددت

سمر في الامساك به:

-لا أعتقد أنه مناسب ميرنا...

لم تفهم سبب امتناع صديقتها عن

فستان رائع كهذا ومع ذلك لم تيأس

من محاولة اقناعها لكنها باءت

بالفشل... استسلمت أخيرا وأعادته

الى مكانه بتأفأف فحاولت سمر

تطييب خاطرها:

-ميرنا تعلمين أن ابراهيم رجل شرقي

يغار من أتفه الأشياء، فستان كهذا

لن يثير اعجابه بل سخطه وغضبه...

لا أريد افساد يوم كهذا بسبب قطعة

قماش بالية، لذلك سأشتري فستانا

محتشما كما يحب هو...

كلامها لم يزد الصديقة اللحوحة

سوى اصرارا وعنادا أن ابراهيم ليس

الرجل المثالي لها، فهو متشدد وحازم

في أمور تبدو تافهة لها، لكنها لا

تستطيع الجهر بأفكارها واخبارها أن

خطيبها ليس سوى رجل شرقي...

متخلف!

قطع تسلسل أفكارها صوت هاتف

سمر برقم ابراهيم يطالب رؤيتها، لم

تتردد سمر ولو للحظة واحدة في

اطلاعه على مكانهما ليوافيهما الى

أمام المجمع التجاري بهدف قضاء

بعض الوقت معا...

اعتذرت ميرنا مباشرة وغادرت

المكان تتمتم بكلمات حانقة

بينما سارعت سمر الخطى لملاقاة

حبيب القلب الذي جاء خصيصا من

أجل مساعدتها في اختيار الفستان...

أمضيا وقتا رائعا مع بعضهما وهما

يتسكعان حول المحلات الكثيرة

بلا كلل أو ملل... بادرها الكلام

بمرح:

-لم يشتكي الرجال دائما من تسوق

النساء في حين أنه أمر ممتع؟

ضحكت بخجل هامسة:

-سأعيد طرح نفس السؤال عليك

بعد عشر سنوات لمعرفة الجواب

حينها...

كاد يجيبها لولا رنين هاتفه الذي

ارتفع فجأة والذي حمل معه خبرا نزل

عليه كالصاعقة... والدته أسعفت

الى المستشفى هذا الصباح!!

****

يقال أن الحظ الجيد يقرع بابك مرة

واحدة في حين أن الحظ السئ يستمر

بقرع بابك حتى تفتح!

وحظه لم يكن بأحسن حال من

نفسيته التي صارت في الحضيض

بمجرد سماعه خبر نقل والدته الى

المشفى، لم يتمالك نفسه وهو

يهرول كالمجانين الى سيارته

وخطيبته المستقبلة تتبعه مطالبة

بتفسير لما يحدث...

جلست في المقعد المجاور له تعيد

طرح سؤالها للمرة الألف عما حدث

فجأة ليتقلب مزاجة من سعيد الى...

مجنون!

تفضل عليها أخيرا بكلمات مرتجفة

عن أم دهستها سيارة ومشفى عليه

الذهاب اليه، استرجعت ذكرياتها

هي الأخرى في ذلك المكان بعد

حادث سير مشابه وألم لازمها لأيام

طوال بعده...

احتضنت كفه التي كانت تنقر على

المقود بتوتر وهي تحاول طمأنته أن

والدته ستكون على خير ما يرام،

كانت تعلم بالمشاكل بينهما

لكنها لم تشك يوما في حبه

واحترامه لأمه، وها هي اليوم تشهد

لونا جديدا من ألوان حبه لها...

الخوف!!

وصل الاثنان الى المشفى في وقت

قياسي فترجل هو أولا تاركا السيارة

في عهدتها لأخذها الى الحظيرة...

دخل يبحث عن أمه الى أن وجدها

نائمة في أحد الغرف، كان الجميع

حولها يهتمون بها كونها طبيبة

بذلك المشفى لذلك لم تجد أي

اهمال من المحيطين بها... سأل

الطبيب المختص عن حالها فطمأنه

أنها نائمة فحسب وستستيقظ بعد

ساعات قليلة، حمد اللّه على سلامتها

وانحنى يقبل كفها بندم:

-استيقظي أمي... لن أسئ اليك مرة

أخرى، فقط استيقظي...

في هذه اللحظة كانت سمر قد

وصلت الى الغرفة لتشهد هذا الموقف

المؤثر، انفلتت دمعة رغما عنها

لكنها لم تحسسه بوجودها حتى لا

تقطع عليهما هذه اللحظة الهامة

لكليهما...

نصف ساعة مرت عليه وهو يحتضن

كفها بين يديه بانتظار استيقاظها

الذي طال بصورة مقلقة، طلب من

سمر الاعتناء بها وخرج يبحث عن

طبيب بعدما اتصل بوالده يعلمه

بالخبر... في طريقه وجد ممرضة

تحمل كيس دم فسألها عن سببه

لتجيبه:

-الفتاة التي أحضرت الدكتورة أسماء

تبرعت لها بدمها بسبب نقص أكياس

الدم لدينا...

انقبضت ملامحه وهو يسألها عن

مكان هذه المتبرعة ثم يتجه

بخطوات سريعة الى غرفتها وهو

يتمتم:

-يقتل القتيل ويسير في جنازته...

دخل الغرفة دون استئذان فوجد فتاة

تجلس على طرف الفراش باعياء، لم

يتبين ملامحها بسبب خصلات شعرها

التي أخفت معظم وجهها لكنه لم

يتردد في الحديث رغم التعب البادي

على جسدها:

-ان كنت تظنين أننا سنعفو عنك

لمجرد تبرعك بالدم فأنت مخطئة،

حتى احضارك لها الى هنا لن يشفع

لك عندي...

وأكمل بصوت مرتفع لم يخلو من

الغضب:

-سأجعلك تدفعين ثمن تهورك في

القيادة باهظا...

رفعت عينيها نحوه باجهاد غير قادرة

على فهم ما يتفوه به لكن دهشتها

كانت أكبر حين تعرفت على هوية



الشخص الواقف أمامها... لم تكن

دهشته بأقل منها وهو يردد:

-أنت؟!

الفصل التاسع

الغضب أوله جنون وآخره ندم والتسرع

أوله تهور وآخره أيضا... ندم!

التسرع هو نطق بالحكم وتنفيذه

دون انتظار رأي المتهم، والكارثة

تتجلى في التمادي أكثر وجلد

ضحية ذنبها الأول والأخير تقديم يد

المساعدة!

والأسوأ من ذلك قد يكون الامادي

أكثر وجلد المتهم بسوط العبارات

المتهمة بلا دليل يذكر...

لكن بعد الاستفاقة من غيبوبة

الغضب المؤقتة واكتشاف الخطأ

الفظيع المقترف تبدأ النفس باللوم

والعتاب وربما جلد الذات حتى!

بالنسبة له الأمر يتعدى مجرد خطأ

ارتكبه في حق انسانة أنقذت حياة

والدته بل وتبرعت بدمها أيضا،

القضية تشمل حرب كبرياء تدور

نشبت بينهما منذ أول لقاء جمعهما...

الاعتذار لن يكون كافيا لتعدل عن

رأيها ورفضها سيضعه في موقف هو في

غنى عنه أصلا، اذا ما العمل وما هو

الحل المناسب لهذه المعضلة؟!

بخطوات بطيئة خرج سار في الممر

يفكر، عليه جلب أكبر قدر من

الهدوء لينهي الموضوع بطريقة

حكيمة تحفظ حق والدته وماء

وجهه...

فتح باب الغرفة ليتفاجأ بوالده

وخاله بالداخل، سمر لم تكن معهم

فأرجح أنها خجلت وخرجت تنتظر

بالأسفل، ألقى التحية وجلس الى

جوار جسدها الساكن يضم كفها

ويداعب خصلاتها النارية المختلطة

ببياض الشيب الواضح... شعر بتململها

الخفيف وهمستها الضعيفة التي لم

يتبين منها شيئا، اقترب أكثر

والهمسة هذه المرة مسموعة واضحة:

-ابراهيم...

انقبض قلبه وهو يسأل نفسه، أتراها

تناديه هو أم أنها تعيش حلما لم يقدر

له التحقق؟!... أتريد ابنها أم

حبيبها؟!

ومع تكرار الهمسة باسمه تسارعت

دقات قلبه وتوالت، يشعر بغصة في

حلقه تمنعه الكلام لكن هذا ليس

وقت التفكير في أمور كهذه، مهما

يكن هذه أمه من أنجبته وأحبته،

صحيح أنها أخطأت حين أطلقت اسم

حبيبها عليه لكن بعده عنها كان

أقسى مما تستحق فعلا وعليه أن

يعوضها بأسرع وقت...

طبع قبلة دافئة على جبينها مطمئنا:

-أنا هنا لا تقلقي...

بتروي شديد فتحت عينيها تطالع

ملامح، ترقرقت العبرات بمقلتيها لدى

رؤيتها قلقه ولهفته عليها، سألها

بخفوت:

-أنت بخير أماه؟

اه كم اشتاقت لسماع هذه الكلمة

منه! مدت كفها تتحسس ذقنه

الخشن والدموع تتسابق على خديها:

-أصبحت بخير لرؤيتك بني...

لم يستطع مقاومة دموعه هو الآخر

فأخذها في حنه يعتصرها بقوة

كأنه يحاول تعويضها أيام الجفاء

التي خاضتها بسبب تهوره وتسرعه

الدائم، شددت قبضتيها على سترته

كأنها تخشى فراقه مجددا... كل

واحد منهما كان يصارع أفكاره

الخاصة لكن اجتماعهما من جديد

جعل السعادة تظللهما ولو أن الظروف

صعبة وغير مريحة...

صوت هاتفه قطع هذه اللحظات

الحميمية فأبعدها عنه برفق

وابتسامة حانية لا تفارق ثغره، ضرب

رأسه بعتاب وهو يتذكر حبيبته التي

تركها تنتظر لمدة طويلة، رفع

بصره نحو والده وخاله المتابعين لهما

بغمزة مشاكسة:

-اهتما بالملكة وسأذهب لاحضار

الأميرة، هي أيضا تريد الاطمئنان

على جلالتها...

تبادل الجميع الضحك وخرج هو

يبحث عن أميرته ليقدمها رسميا

لوالديه وخاله، أجل هو مصمم على

جعل الأمر رسميا رغم أنف تلك

الغبية التي لا تتوانى عن تأجيل

موعد الارتباط أو حتى الخطوبة!

في مقهى المشفى جلست تحتسي

كوب قهوة بملل، أخبرها أنه سيعود

بعد قليل وها هي ساعة تمضي دون أن

يظهر له أثر... تنهدت بنفاذ صبر

مغمغمة:

-أيعقل أنه يغازل الممرضات في مكان

ما؟

وقبل أن تكمل سؤالها عاجلها برد

متحفز لكن النبرة عاشقة:

-وهل أرى غيرك لأغازل؟!

مطت شفتيها بتذمر يستطلفه، جلس

بجانبها واحتسى القهوة من نفس

الموضع الذي شربت منه مرددا:

-لم أكن أعلم أن قهوة المشفى بهذه

الروعة...

أشاحت وجهها بعيدا مبدية عدم

رغبتها في الكلام، لم يكترث لها

وجذب يدها خلفه بينما هي تحاول

الافلات عبثا، جعلت صوتها حازما

وهي تخاطبه:

-أفلت يدي، الى أين تأخذني؟

لم تكن تجهل الاجابة ولم يكلف

نفسه عناء الكلام، فقط واصل

السير باتجاه غرفة أمه متجاهلا

توسلاتها بتركها تذهب...

التفت اليها بجدية:

-أعلم أنك تشعرين بالخجل لكن

أمي تريد رؤية الفتاة التي سرقت...

وأكمل بغطرسة بعدما أشار الى

موضع قلبه:

-تعلمين أنني ابنها الوحيد وسرقة

قلبي جريمة شنعاء بحقها...

كانا قد وصلا الى الغرفة فلم

تستطع الرد، أخذت نفسا وعميقا

ودخلت خلفه تلقي التحية باحترام:

-حمدا للّه على سلامتك يا خالتي...

فتحت أسماء يديها أمامها فاقتربت

منها تحتضنها بتردد، ربتت على

ظهرها بحنو:

-ابراهيم معه حق حين قال أنك

أميرة...

حمرة شديدة هاجمت وجنتيها بينما

انعقد لسانها عن أي اجابة فاكتفت

بابتسامة ممتنة لسيل الاطراءات من

والديه وخاله...

تابع ما يحدث برضى ثم اتكأ على

النافذة محاولا بذلك اتاحة الفرصة

لعائلته بنية التعرف على كنتهم

المستقبلية، جذب انتباهه فتاة في

الأسفل فدقق النظر ليتأكد أنها هي،

صاحبة العيون الخضراء تسير

بتثاقل، لكن من ذلك الشخص الذي

يسير الى جانبها؟!... أيعقل أن يكون

حبيبها!!

نفض الفكرة عن رأسه سريعا وهو

يؤنب نفسه:

-إن كان حبيبها أو حتى زوجها ما

شأنك أنت؟!

شغل نفسه بأسرته مانعا أية فكرة

تخصها بالتجول داخل عقله...

******

خيبة الأمل أحيانا تجعل الانسان

يندم على فعله الخير لأي شخص مهما

كان مظلوما أو مغلوبا على أمره،

تدفعه للتفكير في تقديم يد

المساعدة لأي محتاج يضعه القدر في

طريقه مرة أخرى...

بخطوات غاضبة تحركت من أمامه،

لسانها يطلق كل أنواع الشتائم

المتوفرة في قاموسها وعقلها يأمرها

بعدم مساعدة البشر مرة أخرى

فالبنهاية هم مجرد جاحدون لا

يعترفون بصنيعك ولو دفعت دمك

ثمنا لذلك حتى آخر قطرة!

لم تتخط عتبة باب الخروج حين

لمحته جالسا على مقاعد الانتظار،

ملامحه تظهر حسرة وربما ندم، مهما

يكن لابد أنه أدرك خطأه واستمرار

العتاب لمدة أطول سيكون أمرا مبالغا

به...

واصلت سيرها كأنها لم تره، هي لم

تستعد توازنها بعد وبعض التمثيل لن

يضر... أمسكت رأسها وتابعت طريقها

بهدوء حتى تأكدت من أنه رآها ،

سارع باتجاهها يعيد صياغة اعتذاره:

-فاتن أنا آسف، أعتقد أنني اندفعت

و...

قبل أن يكمل ضغطت عينيها بألم

أجادت اصطناعه، سألها بلهفة:

-أنت بخير؟! لازلت تشعرين

بالدوار؟!!!

حركت رأسها نفيا لكنه لم يشعر

بالارتياح، حالتها تدعو للقلق ويباسة

رأسها حتما لن تساعده على ارجاعها

الى الداخل والخضوع لفحص شامل،

فكر لبرهة ثم طلب منها السير

برفقته الى حديقة المشفى، استغرب

موافقتها السريعة لكنه أيضا شعر

بسعادة بالغة لاستجابتها، طلب منها

الجلوس على مقعد خشبي وأخرج من

جيبه قارورة عصير وعلبة

شيكولاتة، صفقت بحماس متناسية

تمثيليتها وادعاءها المرض فرفع

حاجبا واحدا بمكر:

-يبدو أنك تعافيت بسرعة...

لعنت نفسها مرارا وتكرارا ثم أخذت

العلبة منه بحركة كتف لامبالية:

-أخبرني الطبيب بضرورة تناول بعض

السكريات حتى أسترجع حيويتي...

تابع تلذذها بالشيكولاتة بصمت،

منظرها وهي تأكلها بنهم كان

أجمل ما قد تصادف عيناه يوما ، انها

فعلا فتاة رائعة ونادرة، كأنها عملة

واحدة بوجهين مختلفين، وجه قوي

تستخدمه مع الناس من حولها وآخر

ضعيف لا يظهر الا في مواقف قليلة،

مواقف تدغدغ رجولته لحمايتها

وتوفير الأمان لها...

خلال أكلها أدركت أنه يتأملها

بتفحص، لم تظهر انتباهها لذلك

وواصلت ما تقوم به بنشوة، انه فعلا

يهتم بها، خوفه وقلقه عليها لا

يمكن أن يكونا مجرد شهامة منه،

هل وقع بحبها؟! نفضت الفكرة

سريعا مخاطبة نفسها:

-لا تتسرعي فاتن، هو لم يصل مرحلة

الحب بعد لابد أنه اعجاب فقط

لكنه ليس ببعيد عن حبك، بعض

الصبر عزيزتي وستجعلينه يهيم

عشقا بك...

لم تنتبه للابتسامة المنتصرة التي

علت ثغرها حتى سمعت سؤاله المرح:

-هل أهرب؟!

أجابت سؤاله بسؤال آخر حائر:

-ولم تهرب...

استند على الكرسي ويداه تستقران

على رأسه بتشابك:

ابتسامتك كانت مخيفة بعض

الشئ، وكأنك كنت تحاورين

ابليس...

ضحكت بخفة وقامت تحثه على

ايقاف سيارة أجرة لها، استعادت

نشاطها والعودة الى العمل حتمية لا

مفر منها، تعلم أنه سيوصلها بنفسه

لكن دور صعبة المنال ممتع

وستستمر به حتى النهاية...

نظر اليها بحزن مصطنع، مط شفتيه

وهو يسألها بتأنيب:

-تتركين سائقا كرس نفسه

لخدمتك وتبحثين عن سيارة أجرة

يختطفك سائقها قبل الوصول الى

المكتب؟

ضيقت عينيها بتحقيق فضولي:

-ولم يختطفني السائق؟!

نظرة متفحصة منه جعلتها تتنبأ

بالاجابة التي لم يتردد في لفظها:

-لأنك ببساطة فاتنة!

أرجعت خصلاتها البنية الى الخلف

بغرور:

-أخبرني بشئ جديد لا أعلمه...

انحنى أمامها باستخفاف أثار حنقها:

-كم أنت متواضعة سيادتك!

تركته وغادرت فلحقها يشير في

الاتجاه المعاكس:

-السيارة من هنا...

كادت تعترض لكن نظرة عينيه

الحازمة أخضعتها لرغبته فتبعته

بهدوء لتصيبهما صدمة من نوع آخر...

الاطار مثقوب والواضح أنها عملية

معتمدة وليست بحادث عادي!!

تبادلا نظرات الدهشة التي سرعان ما

تحولت لذعر من طرف فاتن حين وقع

بصرها على نجمة وهرم رأتهما سابقا

على الخنجر والسهم قاتل الحمامة...

تسارعت أنفاسها وهي تتراجع للخلف

بتمتمة:

-لا يمكن... لا يمكن...

حاول تهدئتها لكنها لم تستجب له،

خوفها بلغ ذروته وجسدها يرتجف

بقوة، حتى لونها أصبح شاحبا شاحبا

بطريقة مخيفة... ناداها لكنها لم

تستجب، تجاهلته تماما وعادت الى

مبنى المشفى وهو يتبعها بلا فهم، ما

الذي جعلها تبدو هكذا؟!

انتظر مدة طويلة قبل أن تتمالك

أعصابها وتطلب منه المغادرة لوحده،

هناك خطر يتربص بها واقحامه في

مشكلتها ليس عدلا، هي ستواجه

هذا المجهول لوحدها لكنها

بالتأكيد لن تسمح باصابته بأي

مكروه... لكنه كان أقوى منها

وأصلب، لم يستمع لها واستطاع

اقناعها بايصالها الى المكتب على

الأقل، وافقت على مضض وعادت معه

الى الحظيرة ليحضر بعض الوثائق

التي يحتاجها، وقفت أمام السيارة

تنظر حولها بقلق قبل أن تنتبه

لذلك الذي كان يراقبها من الأعلى،

عضت شفتها السفلى مغمغمة بحنق:

-ابراهيم أيها السافل أهذا أنت!

******

في عرف البعض العقاب فرض لا

مناص منه، المذنب يستحق عقوبة

تجعله يفكر ألف مرة قبل ارتكاب

عمل مماثل، لكن حين الافلات من

العقاب يصبح الأمر محض اعتياد

روتيني حد الملل...

مرة أخرى يجد باب منزله مفتوحا،

تلك الفتاة تظن نفسها مالكة

المنزل فقط لأنه عفا عنها أول مرة

اقتحمت منزله وخصوصياته، لو أنه

أدبها ذلك اليوم لما تجرأت على

فعلها ثانية، لكن لا بأس لم يفت

الأوان بعد لتلقينها آداب الاستئذان

قبل الدخول...

في قاعة الجلوس استلقت تشاهد

التلفاز وأمامها وضعت كوب عصير

وبعض الفواكه، رفعت ذراعها تحييه

ببرود:

-لم تعود متأخرا هكذا؟

رفعة حاجبه التي جاورت لية الشفاه

الساخرة نبأتها أنه لا يمانع وجودها،

ظلت تنتظر الاجابة التي جاءتها بعد

وقت قصير:

-لم أكن أعلم أن هناك زوجة قلقلة

بانتظاري...

اتجه الى المطبخ وتبعته بحشرية،

تعتبر نفسها شريكته بكل شئ

حتى حياته الخاصة ومنزله، سألته ما

اذا كان جائعا وحين لم يجب فتحت

الثلاجة مرددة:

-سأحضر لك طبقا سريعا...

طالت فترة وقوفها هناك دون أن

يأتيها رده، ظننت أنه منشغل بشئ ما

لذلك لم تهتم لكنه باغتها على

حين غرة:

-ان كنت لا تنوين الدخول الى

الثلاجة فأغلقيها، وبالنسبة لهاتفي

بامكانك تصفحه وأنت جالسة على

الكرسي هناك... لا أمانع...

ومع انكشاف أمرها لم تجد بدا من

التصرف بمرح طفولي ساذج:

-حسنا... أنا كنت أريد... اختبار

مهاراتك لا غير...

رمقها بسخرية وصعد الى غرفة

العمليات بعدما أخذ معه فطيرة جبن

وكأس عصير، كان يعلم أنها

ستتبعه لذلك فضل تأجيل العقاب

لما بعد الأكل على الأقل...

جالت بعينيها على الحائط أكثر من

مرة، تلك الصور التي تغطي الطلاء

بأكمله تجعلها تشعر بشئ غريب

يجتاحها بلا رحمة، هي جاءت الى

هنا للانتقام من قاتل أخيها ولن

تتراجع حتى تفعل لكن ماهذا الذي

يراودها الآن؟! أيعقل أن ضميرها بدأ

يستفيق من سباته الطويل!!

-غدا موعد خطوبته...

هتفت بهذه العبارة وهي تضع صورة

لسمر الى جانب صورته، وقف الى

جانبها داسا يديه في جيوب بنطاله

بتساؤل:

-أتريدين مني قتله قبل ذلك من

أجلك؟

واجهته باستنكار:

-بهذه السهولة؟!

هز كتفيه بلا مبالاة ثم انحنى

يواجه عينيها بسؤال صادم:

-أليس أحسن من اشتعال نيران

غيرتك؟

تلعثمت وفقدت القدرة على الكلام،

بل شلت حركة جسدها لتتحول الى

صنم لا يسمع أو يبصر، دار حولها

بهدوء مستفز:

-ألهذه الدرجة تحبينه؟

استفاقت من صدمتها تنفي اتهامه لها،

نعم هي لا تحبه، هي تكرهه حد

الموت، هي ستقتله... انقباضة قلبها

لدى تفكيرها بموته جعلتها تصمت،

هي لا تريد أذيته فلتعترف بذلك،

لا فائدة من الانكار، لقد وقعت

بحبه وهذا جعلها تضعف لذلك

لجأت الى من يحمل نفس الحقد

بداخله لتضمن عدم التراجع، لكن

المهمة تزداد صعوبة يوما بعد يوم،

خافقها يئن شوقا لقربه، وهو لا يرى

غير تلك المدعوة سمر أمامه، وكأن

العالم لا يحتوي غيرها!

عند هذه النقطة ثارت وغضبت

أكثر، أمسكت صورة سمر تمزقها

نصفين:

-فلنقتل هذه الحقيرة، موتها سيجعله

يتعذب وهذا كاف مبدئيا...

القسوة التي ظهرت في عينيه لحظتها

نبأتها أنها خاضت في ما لا يعنيها،

حتى نبرة صوته المزمجرة أخافتها

وهو يحذرها، بل يهددها:

-ان لمست شعرة واحدة منها فلا تلومي

الا نفسك...

لم تشأ اظهار خوفها أمامه، قلبت

الموقف الى مزاح بينما تضع كفها

على صدره:

-يبدو أنني لست العاشقة الوحيدة

هنا...

أعرض عن التعليق واكتفت بالهدنة

المؤقتة بينهما، تنحنحت قليلا ثم

استأذنت الرحيل لكنه أمسك

معصمها بقوة تأوهت لها، ضغط

جسدها بين جسده والحائط بينما

رفع ذقنها لمواجهته:

-ان دخلت مرة أخرى الى المنزل

فسأرسلك في رحلة الى الجحيم

برفقة ابراهيمك...

أبعدته عنها باشمئزاز وغادرت بينما

حقدها يزداد على "الحقيرة سمر"

******

أهناك أسرع من دقات قلب أنثى

خاطبها يجلس برفقة أبيها والعائلة

في غرفة الجلوس؟!

والاجابة قطعا لا، يوم خطبة

الفتيات يجن جنونهن ويفقدن القدرة

على التفكير السليم، يرتبكن

ويتفوهن بأحمق الأشياء...

سألت صديقتها للمرة بعد الألف:

-ميرنا هل أبدو جميلة؟!

ولا اجابة من ميرنا التي انغمست في

الرد على تعليقات صورتها في

الفايسبوك، فقدت أعصابها

فصرخت:

-ميرنااااا...

انتفضت الصديقة تتطلع حولها

بفزع:

-حسنا هيا بنا...

ضربت الأرض بقدمها ودموعها تنذر

بعاصفة قادمة، سارعت اليها تلوح

بيدها أمام عينيها:

-لا تبك... زينتك ستتحول الى

فيلم رعب وقد يفر خاطبك منك...

وقبل أن تجيب كانت والدتها تدعوها

للانضمام اليهم في غرفة الجلوس،

تشكلت حبات العرق على جبينها من

فرط التوتر لكنها استطاعت السير

لحسن الحظ، لم ترفع عينيها من

الأرض لحظة واحدة واكتفت بالقاء

التحية عليهم، جلست الى جانب

حماتها بينما ابراهيم يكاد يبتلعها

بعينيه، لا يصدق أنها أخيرا وافقت،

أتعبته نعم لكن عذابها راحة وكل

شئ بخس مقارنة بها...

استفاق من أفكاره على صوت خاله

يوسف:

-أخفض عينيك يا ولد لقد

فضحتنا...

ضحك بحرج مجيبا:

-أتمنى لو نستطيع أخذها اليوم معنا

خالي...

وضع ذراعه على كتفه بمرح شقي:

-أتريد مني مساعدتك على خطفها...

-ما الذي تتحدثان عنه هكذا؟

انتبه لسؤال حموه فاعتدل في جلسته

لكن يوسف أبى الا أن يحرجه:

-كان يسألني عن امكانية أخذ

العروس معنا الليلة...

التفت ابراهيم نحوه بتذمر:

-خااااااالي...

ارتفعت أصوات ضحك الموجودين

فاستغل ابراهيم الفرصة في استراق

النظر الى حبيبته وخطيبته، لم

يستطع تمالك نفسه أكثر فوقف

يطلب التعجيل بتلبيس الخواتم، وافق

الجميع بلا تردد لكن الضحك

والعبارات المرحة لم تتوقف، وضع

الخاتم ببنصرها ومال على أذنها

بهمسة ارتجف لها بدنها:

-أخيييبيرا....

تساءل يوسف بفضول وهو يوجه

كلامه اليها:

-ما الذي قاله لك...

أخفضت عينيها بخجل وتوعده

ابراهيم في سره، زجره بنظراته

لكنه أصر أكثر على المعرفة

والمشكلة ألا أحد يعترض، وكأنهم

يريدون معرفة ما قاله لها لكن

الحياء منعهم من السؤال فاكتفوا

بالمشاهدة...

فكر للحظات ثم ابتسم بخبث:

-أخبرتها كم أحبها وكم أنا سعيد

بخطوبتنا الليلة، أخبرتها أنني أريد

سرقتها الآن وفي هذه اللحظة بالذات

لأنها تضاهي القمر في جماله، بل

تفوقه جمالا وحسنا...

كاد يغمى عليها ففضل التوقف هنا،

صمت لوهلة قبل أن يسأل:

-اكتفيتم أم تريدون سماع المزيد؟!

همهمات ضاحكة وأخرى مؤنبة

خرجت من الجميع، ابتسم بمكر

مرددا لنفسه:

-من تدخل فيما لا يعنيه، سمع ما لا يرضيه...

انتهت الحفلة وغادر ابراهيم وعائلته تاركين سمر تتمنى لو نفذ ما قاله وأخذها معه، ظلت في مكانها تتأمل الفراغ الذي كان يملأه قبل قليل وصدرها يطلق التنهيدة تلو الأخرى، اه لو أنه يعود ليختطفها كما هددها دائما...

انتبهت للهاتف الملقى على الأرض

فانحنت تحمله لتتيقن أنه يخصه،

اللعنة الآن لن تستطيع محادثته

حتى!

قامت تأخذ حماما منعشا وتغير ثيابها

ثم استلقت على فراشها تلعن حظها،

أخذت الهاتف تتصفح الصور التي

التقطاها سويا من قبل وفجأة وردت

رسالة لم تستطع منع نفسها من

قراءتها، رسالة جعلتها تتمنى الموت

على هذا الشعور الذي يراودها:

-أتمنى أن التمثيلية انطوت على

تلك الغبية، انته منها بسرعة

ففاتنتك تغار حد التفكير في

القتل!

الفصل الحادي عشر

أسمعتم يوما عن الحرب الباردة؟!...

تساءلتم عن معناها ومدلولها؟!...

شهدتم معاركها يوما أو حتى قرأتم

نبذة عن أحداثها!

ماذا عن حرب أوقدها الكبرياء

وغذاها العناد ، أعلنتها العقول لتشن

بها هجوما على القلوب في رغبة

صريحة للفوز والانتصار؟!

بهدوء مستفز وقف أمامها يتأمل

ملامحها الساكنة التي أجادت رسمها ،

يعلم أن بركانا ثائرا يغلي بداخلها

لكنها تتمسك بقناع اللامبالاة

باستماتة، هو يريد شهادتها في

المحكمة ضد من كاد يتسبب

بموت أمه لكن موقفة الأخير جعله

يحرق كل رصيده معها...

صمته الذي طال جعلها تتحرك من

أمامه بنبرة متهكمة لا تخلو من

السخرية:

-هل ستتأملني طويلا هكذا؟

-آسف...

وفي موقف كهذا تصبح الصدمة رد

الفعل الوحيد المتاح، يزورها منذ

الصباح الباكر ليعتذر!!... وعلام

يعتذر بالتحديد؟... أتراه يتعاطى

المخدرات أم أنه يخطط لكارثة ما؟!

سألته بتوجس:

-لم الاعتذار؟!

دس يديه في جيوب بنطاله بينما دار

حولها بتأن تام:

-لأنني اتهمتك قبل سماعك...

القصة بدأت تتضح وغايته أصبحت بينة، هو يريد شهادتها ضد من أذى والدته وهرب، لكن أيعقل أنه تنازل واعتذر ببساطة هكذا!!... لماذا لا تستطيع الوثوق به الى هذه الدرجة؟؟

أدرك ترددها فاقترب منها بعيون واثقة، نظراته مرتكزة حولها وخلف

تلك القوة الظاهرة لمحت رجاء

بالقبول، هو أخطأ نعم لكنه أدرك

فعلته وجاء ندمانا آسفا، فلتسامحه

وتشهد معه في المحكمة عل الصراع

بينهما يتوقف...

أخذت نفسا عميقا ثم جلست على

مكتبها بوقار تطلعه على قرارها:

-اعتذارك مقبول، سأحضر وأدلي

بشهادتي... لكن...

توقفت، ومع توقفها انعقد حاجباه

بترقب، تلك الفتاة لن تضيع فرصة

كهذه للانتقام منه، لكنه لن

يضعف أمامها، سيتحكم بأعصابه

قدر الامكان، على الأقل حتى يلقى

القبض على ذلك المجرم...

انتظرت منه ردا وحين لم يأتها قررت

الاسترسال بحزم، هذه اللعبة

ستتوقف هنا وفي هذه اللحظة:

-أريد منك أن تتوقف عن العبث

معي...

ضحكة ساخرة جاورت لية الشفاه

وهو يرد:

-في الحقيقة أنت من تعبثين وليس

أنا...

ظنت أنه يلمح الى ما فعلته الليلة

السابقة فرفعت كتفيها بلا مبالاة

والنبرة خافتة:

-أرأيت كم الأمر مزعج حين تستقبل

رسائل أنت لا تريدها؟!

ضيق عينيه بعدم فهم، بل هو فعلا لا

يفهم ما الذي تعنيه بكلامها... لم

تهتم به أو بردة فعله وهي تكمل:

-رسالتي البارحة كانت ردا على ما

تقوم به سيد ابراهيم...

-أية رسالة تقصدين؟!

أهو غبي أم يدعي الغباء!!... لم

يواصل هذه المسرحية السخيفة

وكأنه ملاك طاهر لم يقترف ذنبا

واحدا؟!

أعاد سؤاله لكن نبرته هذه المرة لم

تخل من الغضب:

-ما الذي كتبته في الرسالة؟!

بالتأكيد غضبه غير مهم بالنسبة

لها، هي ليست فتاة ضعيفة تجزع

حين تحتد نبرة انسان يخاطبها

بوقاحة

كما يفعل هذا الآن... بابتسامة لم

يرتح لها أجابته:

-رسالة تهنئة على خطوبتك لا

غير، لم أنت مصدوم هكذا؟!

-لأنني نسيت الهاتف في منزل سمر...

أجابها بحنق لم يستطع كتمه

أكثر، كان يحترق لنيل الاجابة

لكنها اكتفت بعض شفتها السفلى

بأسف، أدرك أن محتوى الرسالة ليس

عاديا فسألها بغضب واضح:

-ما الذي كتبته يا مجنونة؟!

كزت أسنانها تبدي هول الورطة التي

قامت بها ثم أردفت بخفوت:

-لم أتوقع أن تنسى هاتفك في بيت

خطيبتك لذلك أرسلت تمنياتي

لكما بالسعادة...

اقترب منها يسألها بحذر:

-وما الذي كتبته بالضبط لتتمني لي

السعادة...

أعطته هاتفها ليقرأ كلماتها فاتسعت

عيناه بدهشة، كاد يتحدث، بل

يصرخ ويعنف لكنها أوقفته بحزم:

-السن بالسن والعين بالعين، أنت من

بدأ بتهديداتك الحقيرة...

وأضافت بانفعال:

-حتى أنك قتلت الحمامة

المسكينة وثقبت اطار السيارة التي

أقلت والدتك الى المشفى...

بعدها هدأت مكملة وكأن شيئا لم

يكن:

-لذلك أردت العبث معك قليلا

لأوضح لك أن مزاحك ثقيل وغير

ممتع على الاطلاق...

تهديدات حقيرة، قتل حمامة وثقب

ايطار عجلة!!... ما هذا الهراء بحق

الجحيم؟!... ملامحه بدت صادقة وهو

يطالبها بتوضيح كلاميها ومعانيها، ما

الذي فعله لتتهمه بهذا الشكل!!

ترددت لثوان مع حيرته ودهشته،

نظراته بها تيه غريب جعلها تدرك

يقينا أنه ليس الفاعل، ارتجفت نبرتها

مع اعتذارها الخافت الذي لم يكد

يتجاوز سمعها ليصل اليه:

-آسفة سيد ابراهيم أعتقد أنني

أخطأت...

الأمر ليس لعبة، ما تحدثت عنه قبل

قليل يشير أنها تتعرض للمضايقات من

طرف شخص ظننته هو، وقد يكون

أخطر من مجرد مضايقات فإراقة دم

حمامة بريئة ليس بالأمر السهل على

الاطلاق... لكنه لن يكون ابراهيم

ان لم يكتشف هوية الفاعل،

بالنهاية هذه هي مهنته... فك

الغموض والالتباسات!

دعاها للجلوس وامداده بالتفاصيل

كاملة، ترددت في البداية لكن

نظرته المطمئنة بعثت الراحة في

نفسها، جاورته على الأريكة وبدأت

بسرد التفاصيل كاملة بينما هو

ينصت بتركيز شديد...

*****

يقال أن فهم الأنثى ضرب من الخيال،

استيعابها من سابع المستحيلات

وارضاءها غاية لا تدرك مهما بذلت

من جهد وطاقة...

الأنثى لغز معقد حير العالم أجمع،

مزيج من التناقضات والمتضادات، في

لحظة تبدو رقيقة هشة وفي أخرى

تتحول لشرسة تنهش بلا رحمة،

عطاؤها لا ينضب وحقدها مخيف حد

الهلع!

وحد اللّه بداخله وهو يشهد تحولها

من فتاة هشة باكية الى أخرى صلبة

ترفع ذقنها عاليا بشموخ لا يقبل

الاهانة، تجنب سؤالها مرة أخرى عما

يبكيها بينما حدسه يخبره أن

خطيبها المبجل على علاقة

بالموضوع، تمنى لو يذهب اليه

ويحطم كفه الوسيم لكنه تراجع

في آخر لحظة...

أسئلتها اللامتناهية عن فاتن جعلته

يشك أن لها يدا في الموضوع أيضا،

بدت فضولية لمعرفة تفاصيل حياتها

خاصة الشخصية منها، سألته ما اذا

كانت على علاقة بشخص ما لكنه

تحفظ عن الردود المباشرة، تابع

تعابير وجهها بتركيز ليدرك في

النهاية أنها غيرة أنثى قاتلة!

تعمدت قضاء وقت طويل معه كأنها

بذلك تعاقب من خانها وذهب

لأخرى، تثبت لنفسها أنها مرغوبة من

طرف رجل شهم ورائع، هي ليست

غبية وبالتأكيد شعرت باعجابه بها

منذ تعدد اللقاء بينهما في المشفى،

اهتمامه لم يكن نابعا من شعوره

بالذنب بل من شئ آخر يفوق ذلك

بكثير... لكنها لم ترد الاعتراف

بذلك حفاظا على عهد قطعته مع

آخر هو الآن مع عشيقته صبيحة

خطبتهما!

عند هذه النقطة بالذات شعرت

بالضعف والاستسلام، ابراهيم آخر

شخص قد تتوقع منه ضربة في

الظهر، أطلت الدموع على عتبة

عينينها لكنها مسحتهم بسرعة، لا

تريد لهذا الجاسر رؤية ضعفها رغم

تيقنها التام أنه يفهم كل ما يحدث

معها، هو لا يتحدث كثيرا وكأنه

يرغب بفتح المجال أمامها لتعبر عما

يختلج صدرها لكن معاناتها أصعب

من أن تترجمها كلمات ولو استعانت

بحروف كل أبجديات العالم...

ارتفع صوت هاتفها بنغمة صديقتها

المرقبة ميرنا فأجابته بلهفة

متناسية ذلك الذي يرافقها بصمت

كظلها:

-ميرنا...

لفظتها بصوت مرتجف يتوسل

المساعدة وربما الاحتواء، أجابتها

الأخرى بقلق وهي تمسح آثار النعاس

من وجهها:

-ماذا هناك سمر؟! لا تبدين على ما

يرام...

وحان موعد الانهيار... جلست على

الرصيف من جديد سامحة لدموعها

بالانحدار على وجهها بحرية تامة

تحكي ما حدث لها بالتفصيل:

-نسي هاتفه في بيتنا ليلة البارحة

فوصلته رسالة منها... وفي الصباح

ذهبت الى مكتبها فوجدت سيارته

هناك، هو حتى لم يحاول الاتصال

بي منذ البارحة... ميرنا ماذا أفعل؟!

جاءها صوتها متلهفا:

-من هي؟ وماذا كتب في الرسالة؟

-المهندسة فاتن، سألته ما اذا كان

قد أنهى المسرحية بنجاح وأخبرته

أنها تغار...

انعقد حاجبا الواقف أمامها بتفكير،

فاتن التي يعرفها يستحيل أن تفعل

شيئا كهذا ولو أعطوها ملأ الأرض

ذهبا! هناك حلقة مفقودة في

القصة وعليه اكتشافها بأسرع

وقت...

أخرجه صوتها المتسائل باستنكار

من غفوته:

-تريدين مني الذهاب اليهما

ومواجهتهما؟!

بدت خائفة، مترددة، مرتعبة من

الفكرة لكن صمتها وهي تستمع

لنصائح ميرنا بانصات شديد مدها

ببعض القوة، هزت رأسها بايجاب وهي

تغلق الخط ثم زمت شفتيها بعزم،

ستدخل، تواجه وتقتل ان لزم الأمر!

تنحنح بخفوت يذكرها بوجوده معها

فالتفتت اليه بوجنتين متوردتين

حرجا، بادرت باعتذار متلعثم والعرق

يتشكل على جبينها من فرط التوتر

على ما هي مقدمة عليه...

-صديقتك معها حق، عليك

بالمواجهة...

نظرت اليه بتيه، قد تدعي القوة

لكنها فعلا خائفة، لقد أحبته

بجنون وعقلها يرفض تقبل فكرة

رؤيته معها ، الهروب ليس حلا لكنه

على الأقل سيجنبها مشهدا هو الأبشع

على الاطلاق...

وكأنما فهم ما يدور في خلدها

بالتفصيل، اقترب منها حتى لم يعد

يفصل بينهما شئ تقريبا، نظر في

عينيها بشراسة والنبرة حادة:

-اذهبي وكلميه، اشتميه ان أردت

لكن لا تهربي... الهروب ليس حلا...

كلماته شجعتها لتتقدم على خطوة

هي ليست ندا لها، لكن المواجهة

باتت أمرا محتوما لا مناص منه،

ابتسمت بوهن وسارت بضع خطوات

عائدة نحو المكتب قبل أن تستدير

اليه بسؤال:

-ألن تأتي معي؟!

حرك رأسه نفيا مجيبا:

-المعركة معركتك سمر، أنت لست

بحاجتي لتواجهي الأمر وتتغلبي

عليه...

نظرت اليه بامتنان وواصلت طريقها

لانهاء ما بدأه غيرها...

*****

الزمن عجلة دوارة لا تتوقف عند

أحد ، تخضع الجميع لامتحانات صعبة

لا يجتازها الا الأقوياء الذين



يتحدونها بصعوباتها وتقلباتها، أما

الضعفاء فيدهسون تحت عجلتها دون

رأفة أو رحمة!

في سريرها الذي لازمته منذ أكثر

من عشرين سنة جلست تتصفح ألبوم

الصور بحنين شجن، تتأمل وجوها

فارقتها ووضعت تحت التراب بلا

رجعة، تسترجع ذكريات ماضية

فتضحك مرة وتبكي عشرة...

فاتن صديقة برتبة أخت وشقيقة،

تلك الزهرة التي لطالما بثت الحياة

فيمن حولها، شقاوتها ومرحها الذي

عرفت بهما طوال حياتها القصيرة،

مغامراتها مع آدم شقيقها ثم مع

أستاذها وزوجها الخليلي الغامض،

ابتسمت لدى تذكر اليوم الذي

لقبته فيه بالسافل وكيف كشفتها

حياة زوجة صديقه، لا تزال كلماتها

الغاضبة تلمع في ذهنها كالبرق... آه

كم تشتاق لها!

قلبت الصور لتجد صورة لها مع جياد

يوم زفافهما، دمعة متمردة نزلت على

خدها رغما عنها وعن ارادتها، بأنامل

مرتجفة تحسست وجهه وهو ينظر

اليها بحب بينما هي ككل عروس

ناكسة وجهها بخجل.... أخرجت

تنهيدة حارة من صدرها تغمغم بنفس

الكلمات مجددا:

-لم فعلت بنا ذلك جياد؟!

-أخبرتك أن تتركي جياد وشأنه

وفاء...

صوت رجولي حازم، غاضب ومشفق في

آن واحد اخترق سمعها فجأة، رفعت

عينيها كطفلة أمسكت بالجرم

المشهود فضمها اليه يمسد شعرها

بحنان:

-انسي ما حدث وفاء، هذا قضاء اللّه

وقدره حبيبتي...

انخرطت في بكاء مرير كما هي

عادتها واكتفى هو بدور المواسي

والمتفهم على الدوام، انتظر مرور

عاصفة الدموع ليبعدها عنه برفق:

-أنت تؤذين نفسك وفاء، هذا لن

يعيدهم للحياة لذلك انسي ما حدث

وعيشي حياتك...

ابتسمت بسخرية وهي تمسح عينيها

وتشير لساقيها العاجزتين عن

الحركة:

-أي حياة تقصد آدم؟!... تلك التي

سلبت مني يوم عرفت حقيقة زوجي

أم تلك التي عشتها على هذا السرير

منذ استيقظت من غيبوبتي

لأكتشف أنني لم أعد سوى معاقة لا

تنفع لشئ...

رجها بعنف علها تستيقظ من جنونها

الذي يتفاقم يوما بعد يوم فالكلام

والحوار لا يجديان نفعا معها، أمسك

ذقنها بين أصابع يده اليمنى بينما

الأخرى تمسك كتفها بقوة بينما

علا صوته مزمجرا:

-أنت معاقة نفسيا لا جسديا وفاء،

دائما ما اخترت الطريق الأسهل

للهروب، لم تواجهي مشاكلك يوما

لذلك لم يتحمل جسدك الصدمة،

اخرجي من هذه الشرنقة التي

تدفنين بها نفسك وابتسمي للحياة،

كوني قوية لمرة واحدة... مرة

واحدة وفاء... لا تستلمي لليأس

وتبكي على الأطلال، كوني

كفاتن لا شئ يقرها غير الموت...

كوني مثلها وفااااء...

أفلتها بعنف وأنفاسه تتلاحق بسرعة

كأنه كان في سباق طويل، تابع

ملامحها المنصدمة بحذر وبداخله

لعن نفسه وقسوتها على شقيقته

الوحيدة، مد يده يجذبها الى صدره

مرة أخرى بينما هي لا تكف عن

البكاء، همس لها برجاء:

-توقفي وفاء... أرجوك توقفي...

لا يعلم كم مر عليهما من الوقت

وهما على هذه الحال، هدأت نسبيا

فأبعدها عنه يمسح آثار الدموع

بمشاكسة:

-وجهك يبدو سمينا حين تبكين...

ضربته في كتفه بغيظ ثم تساءلت

بفضول مرح:

-من قصدت بفاتن تحديدا، الشقراء

أم صاحبة خصلات القهوة؟!

ضحك بخفة وعقله يفكر في

صياغة مناسبة للجواب:

-كلتاهما وجهان لعملة واحدة لكن

أعتقد أن الشقراء أقوى قليلا...

ضيقت عينيها بعدم فهم فواصل:

-فاتن ابنتي تخشى شيئا ما لا أستطيع

الوصول اليه، دائما ما تشرد بعيدا عن

محيطنا وكأن هناك ما يؤرق

مضجعها...

ابتسامة شقية زحفت الى شفتيها

جعلته يفهم تلميحها في لمح البصر:

-لا تقولي أنها عاشقة!!

زاغت بعينيها في الغرفة بتفكير:

-حسنا... أنا لست متأكدة بعد لكن

أعتقد أنها واقعة في الحب...

أجفلها سؤاله ونبرته الحادة المظهرة

ميلاد غضب مستعر:

-أتواعد شابا ما؟!!!

سارعت تنفي اعتقاده بشدة أذن

مؤنبة:

-كيف تظن هذا بابنتك يا غبي؟

أبعد أذنه عنها يعيد الوقار الذي

يحيط به نفسه:

-أنا لست طفلا وفاء لا تعيدي هذا مرة

أخرى والا...

وقبل أن يكمل كلامه تلقى ضربة

على بطنه جعلته يتأوه بألم، نظر

اليها بحنق لكنها عاجلته بتحذير

من سبابتها:

-تأدب وأنت تخاطب أختك الكبرى

يا ولد...

-تكبرينني بسنة واحدة فقط...

أجابته بلامبالاة:

-حتى لو كان شهرا واحدا... الزم

حدودك...

تغاضى عما فعلته وعاد يسأل بالحاح:

-ما بها فاتن؟!

والجواب أتى هادئا مستفزا:

-لم نتحدث كل ما قلته مجرد

تكهنات لا غير...

كاد يفقد أعصابه للحظة لكنه

تمالك نفسه في آخر لحظة ليعيد ما

قاله بنبرة ساخطة، أذعنت لرغبته

أخيرا فقررت اخباره بما تعرفه رغم

أنه لا يتجاوز يضع جمل قصيرة لا

تسمن ولا تغني من جوع...

*****

حالات كثيرة ذكر فيها تحول

الصديق الى عدو لدود لكن أيعقل أن

يحدث العكس؟!... هل من الممكن

أن تتحول علاقة يشوبها التوتر الى

صداقة قائمة على تقديم يد

العون؟!

انتهت من سرد التفاصيل ومعه شعرت

بحمل ثقيل ينزاح من صدرها، أسئلته

المهتمة عن أشياء غفلت هي عن

ذكرها جعلتها تتأكد أكثر أنها لم

تخطئ بمشاركته لسرها...

وعدها بالمساعدة ووقف يستأذن

المغادرة، وقفت هي الأخرى تشكره

بامتنان لصنيعه فمد كفه بحركة

لا ارادية يضعه على كتفها بجدية:

-لا تقلقي من شئ فاتن، سأتكفل

بكل شئ...

أدرك ما أقدم عليه حين انتبه

لنظراتها المرتكزة حول يده فسحبها

بحرج مغمغما باعتذار قبلته على



الفور، استدار مغادرا وفجأة تسمر في

مكانه بصدمة:

-سمر!!

الفصل الثاني عشر

حين تتضارب الظروف مع المخططات

يتدخل العقل مستعينا بالمنطق

لتصحيح الهفوات وربما تسريع

الأحداث واقتناص الفرص... فرص

يضعها القدر في طريقك على شكل

صدف تطالبك الاسراع للظفر بها

والويل لك ان لم تفعل!

القدر أهداه الفرصة على طبق من

ذهب، ليلة الخطبة تصلها رسالة على

هاتف خاطبها من فتاة هي سبب

مشاكل الجميع، العلاقة تدهورت

والشرخ أصبح صعب الالتئام ولو بعد

حين... الخطة أصبحت أسهل والوصول

سيكون أسرع، كل ما عليه فعله هو

تقمص دور الفارس النبيل والوقوف

معها في أشد أزماتها ألما، مع مرور

الوقت ستنسى الغبي خطيبها السابق

وببطئ شديد يستحوذ على عقلها

وقلبها معا ليصبح رجلها الأوحد

والأخير...

ابتسامة انتصار ارتسمت على شفتيه

وهو يضرب أرقام هاتفه ليتصل

بشريكته... رنة، رنتين وأجابت

بصوت ناعس، انها فعلا فتاة كسولة

لن تتغير، لكن ما يهمه الآن أنها

أزاحت ابراهيم من طريقه وهو ممتن

لها حتى لو أظهر لامبالاة بالموضوع...

تطلعت الى الساعة وسألته بملل:

-ما الذي تريده في هذا الوقت جاسر؟

جلس خلف مقود سيارته الأنيقة

ينقر بسبابته وعيناه تلمعان بخبث:

--خطتك سارت على نحو ممتاز...

سأتغاضى عن كونك أخفيتها عني

وأعتبرها مفاجأة صنعت يومي...

بغمغمة واجمة وعيون نصف مفتوحة

سألته:

-أي مفاجأة هذه التي تتحدث عنها؟

كان قد انطلق بسيارته يجوب

الشوارع بلا هدف، هو سعيد وكفى...

-مفاجأتك لصديقتك وخطيبها...

امتعضت ملامحها واحتدت نبرة

صوتها، ليلة البارحة كانت كارثية

بكل معنى الكلمة بالنسبة لها،

تلك المدعوة صديقتها لم تتوقف

ولو للحظة عن ادعاء الخجل بينما

ابراهيم يكاد يأكلها بعنينه!...

نظراته العاشقة حد الوله ينبغي أن

تكون من نصيبها هي، كادت تفقد

أعصابها وتطعن سمر بسكين تقطيع

الفاكهة لكن بقايا عقل سليم

منعها من التهور، أمسكت أعصابها

بشق الأنفس ورسمت ابتسامة تدعي

السعادة على شفتيها بينما خافقها يئن

طلبا لنظرة أو على الأقل التفاتة!...

لكنه لم ينتبه لوجودها حتى

فسمراؤه استحوذت على كامل

تفكيره...

انتشلها صوته المتوجس من دوامة

ذكرياتها المرة:

-ميرنا أين سرحت؟

اعتدلت في فراشها تعبث بخصلات

شعرها المشعث متسائلة بجدية:

-ما الذي حدث؟

نبرتها تدل على جهلها التام

بالموضوع، اذا هي فعلا لا تعلم

شيئا... هناك طرف جديد بالقصة،

طرف لا يعلم كنهه أو هدفه من هذا

التدخل المفاجئ...

-أخبريني كيف كانت الخطوبة...

زفرت بقوة تخرج نفسا حارا أطبق على

فؤادها فحرمها القدرة الطبيعية على

التنفس، لم يصر على الحديث في

الموضوع وهو يوقن أنها لا تريد

التذكر أو حتى مجرد التفكير في

الأمر!!... لكن لا بأس، يقول أن

الخطة سارت على نحو جيد وهذا ان

دل على شئ انما يدل على بداية

فساد علاقة العروسين الجديدين...

وكم هذا مريح!

برباطة جأش بدأت تسرد التفاصيل:

-جاءت عائلة العريس لرؤية العروس،

تحدثوا في كل شئ ممل قد يخطر

على بالك، ضحكوا ببلاهة ثم

ألبسوا الخواتم وغادروا، أنا أيضا

غادرت بعد انتهاء المسرحية الهزلية

مباشرة، خلدت للنوم حالما وصلت

المنزل ولولا حضرتك لكنت غافية

الى حد الساعة...

هل كانت غاضبة لوحدها وهي

تحكي عن الحفلة؟!... الجواب

بالتأكيد لا ، هو أيضا كان بركانه

على وشك الثوران... تخيله لنظرات

سمر الخجولة من رجل غيره يدفعه

للعودة الى مكتب المهندسة وافراغ

محتوى مسدسه في رأس كليهما ،

حينها سيضرب كل العصافير بحجر

واحد ويرتاح، سينتقم لموت والده

وشقيق ميرنا وأيضا سيحظى بسمر

لوحده...

ابستم للفكرة وأدار المقود بالاتجاه

المعاكس مكملا سيل أسئلته كأنه

ضابط يبحث عن طرف خيط القضية:

-هل رأيت هاتف ابراهيم بعد

مغادرته؟

أجابت بالنفي فواصل بهدوء غامض:

-ابراهيم نسي هاتفه في منزل سمر

وقد وصلته رسالة من فاتن تطلب منه

الانتهاء بسرعة لأنها تغار...

شهقة مصدومة اخترقت أذنيه تبعتها

نبرة شرسة:

-هل يخونها فعلا ؟

ضيق عينيه بتفكير وأصابعه تشتد

حول المقود أكثر:

-لا أعلم... هناك قطعة ناقصة في

الأحجية وعلي ايجادها ، عموما أنا في

طريقي الى مكتب فاتن بحثا عن

مزيد من التفاصيل...

شعور بالغيرة ممتزج بحقد بليغ سيطر

عليها ، من أين ظهرت فاتن هذه

الآن!!... لم تظهر مشاعرها وأغلقت

الخط بعدما طلبت منه امدادها بكل

ما هو جديد في حين ضغط هو دواسة

الوقود للوصول اليهما بأسرع وقت

ممكن...

*****

في لحظات ضعف الانسان يستمد

قوته ممن حوله ليواجه ويقف من

جديد ، الأهل والأصدقاء عادة هم من

يتكفلون بهذه المهمة لكن في

حالتها هي الأمر مختلف...

عانقت الغيوم الوردية وبنت لنفسها

أحلاما مع أميرها الوسيم لتسقط في

النهاية وتتحول لحطام اثر خيانته

التي اكتشفتها بعينيها... انهارت

وشعرت بالعجز يلتف بروحها قبل

جسدها حتى ظهر هو، بهيئته الوقور

وصوته العذب الذي انسل الى أعماق

الأنثى المحطمة بداخلها، نظراته

الحازمة ومقلتاه المخيفتان بثت في

نفسها القوة لتواجه، أجل هي لن

تهرب بعد الآن، يكفي ما تغاضت

عنه الى حد الساعة ولتجعل من

كانا السبب في معاناتها يفقدان لذة

الفوز بصمودها ولامبالاتها التي

تحاول الاختباء خلفهما...

أخذت نفسا عميقا وصعدت الدرج

المؤدي الى مكتب غريمتها، ظلت

تردد كلمات ذلك الغريب جاسر

محاولة استمداد القوة منها لمواجهة

ما هو آت... وقفت أمام مساعدتها تسأل

عن المهندسة والاجابة تمثلت في

طلب بالانتظار قليلا لأن لها ضيفا

مهما!

عضت شفتها السفلى تكتم انفعالها

واتجهت ناحية قاعة أنيقة ككل

المكتب تفكر في الخطوة التالية،

أطلت من النافذة تحاول منع دموعها

من الظهور حين رأت سيارة خطيبها

المبجل مرة أخرى خلف سيارة أيقنت

أنها تخص فاتن... لم تستطع

الاحتمال أكثر فعادت الى المساعدة

تطلب كأس ماء لأنها تشعر بتوعك

وانطلى الأمر جيدا على الفتاة خاصة

بوجهها الشاحب كالأموات، انتهزت

فرصة غيابها وسارعت نحو الباب

المغلق والذي كتب عليه اسم "فاتن

العريبي" بخطوط منمقة من ذهب!

فتحت الباب بهدوء فهالها ما رأت،

الاثنان يقفان في وسط الغرفة

الواسعة ينظران نحو بعضهما

والكارثة كان وضعه لكفه على

كتفها!!

حسنا فلتكن واقعية قليلا، ما الذي

توقعته بحضورها الى هنا؟!... هل

ظننت أنهما يفترشان الزرابي ويقيمان

الصلاة مثلا!!... لكن ما هذا

الارتباك الذي ظهر على وجه فاتن

حلما لامس كتفها؟... أتدعي الخجل

بعد تواطئهما لخداعها معا!!!

تساؤلاتها لم تدم طويلا حيث استدار

ابراهيم نحو الباب فجأة ويبدو أن

المفاجأة لم تسره كثيرا، همس

اسمها بتشكيك:

-سمر!!

تذكرت جاسر ونظرته مرة أخرى

ورفعت ذقنها عاليا تلملم كرامتها

الضائعة:

-هل قاطعت حديثكما الخاص المهم

جدا؟

استعاد ابراهيم تركيزه وعقله يحلل

معاني كلامها المبطن:

-حديث خاص!!... ومهم!

أجابته بهزة من كتفيها تدعي

البرود:

-المساعدة أخبرتني بأمر المهندسة

بعدم ادخال أحد...

مع انتهاء كلماتها التفت الاثنان نحو

فاتن التي شرحت الموقف ببساطة

جعلت سمر تبدو كمعتوهة

متسرعة:

-أخبرت مساعدتي ألا تقاطع

اجتماعي بزبون آخر كان هنا

قبلكما ويبدو أنها لم تنتبه لرحيله

فظنت أنه لا يزال هنا...

شعرت سمر باحراج شديد خاصة وأن

نظرات ابراهيم لها أظهرت أنه قد فهم

ما كانت تصبو اليه قبل قليل...

لعنت ضعفها الذي يعتريها أمامه

ولسانها يحاول النطق بأي شئ لكن

فاتن سبقتها بجرأتها وثقتها المطلقة

بنفسها:

-مبارك عليك سمر...

سحقا من تظن نفسها هذه الفاتن،

تلعب بخبث وتدعي النبل والبراءة!!...

لكنها لن تسمح لها بالمراوغة

أكثر، ستفضح لعبتهما الحقيرة

وتغادر وكأن شيئا لم يحدث... أجل

لن تعطيهما فرصة الشماتة بها مهما

حدث!

فتحت حقيبتها تخرج هاتفه

وبخطوات متأنية اقتربت منه تسلمه

اياه:

-تفضل نسيته عندي ليلة أمس...

أحنى رقبته لليمين وصوب نظراته

نحوها بتركيز كأنه يقرأ ويفهم ما

تفكر به حاليا، مد يده بهدوء

متسائلا بنبرة متلاعبة:

-أعجبتك رسالة فاتن صحيح؟

وتغلب الضعف عليها أخيرا، عيناها

فاضتا بالدموع وصوتها تحشرج بفعل

البكاء:

-كلاكما أحقر من بعض...

قاطعتها فاتن باستنكار:

-من تنعتين بالحقيرة يا هذه؟

-وهل هناك غيرك هنا؟!

غلا الدم في عروق فاتن وهمت بالرد

عليها لكن ابراهيم سبقها:

-أتفهم أن الموقف صعب سمر لكن

انتبهي لألفاظك...

بكل تبجح يعترف بفعلته بل

ويأمرها أن تحترمه!!... أي جنون هذا

وكيف غابت وقاحته عنها طوال

هذه المدة؟!

أغمضت عينيها تعتصرهما بقوة

والنبرة يغلفها الألم:

-لم خدعتماني؟... ما الدافع خلف

تمثيلية حبك المزيفة هذه؟

تابعت فاتن ما يحدث بصمت، لطالما

كرهت الفتيات الضعيفات أمام الحب

ورؤيتها لسمر في هذه الحالة تثير

اشمئزازها فعلا... انتبهت فجأة

لنظرات ابراهيم نحو خطيبته، بدا

متألما من أجلها هو الآخر، هناك

أيضا لمعة حزن داخل عينيه، لابد

وأنه خائب الأمل بها لأنها لم تثق

به... انه يحبها حقا، بل يعشقها

ويذوب في هواها والحمقاء تشك في

ذلك وتكتفي بالدموع!

شعرت فاتن بخطوات قادمة خلف

الباب الموارب وكذلك فعل ابراهيم

وسمر، استدار الثلاثة نحو الباب الذي

ظهر منه جاسر... وبيده مسدس!!

الفصل الثالث عشر

هل تساءلتم يوما عن الفرق بين

الصدمة والمفاجأة؟

ببساطة المفاجأة هي شعور يتجلى في

الانسان لدى حدوث شئ لم يتوقع

وقوعه في يوم من الأيام أو في حياته

ككل في حين أن الصدمة هي

فقدان مفاجئ ومؤقت للوعي بسبب

نقص التروية الدموية للدماغ وذلك

نتيجة هبوط حاد في الدورة

الدموية...

والصدمة في موقفهم هذا تسببت

بإدخالهم في حالة شلل مؤقت لم

يستفيقوا منها إلا على صوت فاتن

الهامس ببداية ذعر:

ـ جاسر؟

تبعها سؤال سمر المتوجس:

ـ أهذا مسدس حقيقي؟

وفي اللحظة التالية كان ابراهيم

يتقدم الفتاتين ليقف كحاجز

بينهما وبين جاسر الذي يبعد عنهم

بأمتار قليلة، نظر في عينيه بتحدي

مرددا:

- تحدث رجلا لرجل واتركهما بعيدا

عن هذا كله...

ابتسم جاسر بسخرية وهو يلمح يد

سمر تمتد لتمسك بذراع ابراهيم

والقلق يغطي ملامحها متناسية بذلك

الخيانة التي تعرضت لها والتي جعلتها

تذرف دموع القهر أمامه قبل قليل،

نقل بصره نحو فاتن يستشف ردة فعلها

فلم يجد شيئا مميزا، تقف بهدوء

خلف ابراهيم وعيناها ترتكزان

حوله كأنها تحاول سبر أغواره...

ارتفع صوت ابراهيم مجددا محاول

اثارة غضبه لينصب تركيزه حوله

وحده بعيدا عن الفتاتين، نجحت

خطته بلفت انتباه جاسر الذي أشهر

المسدس في وجهه... وبعد ابتسامة

جانبية ضغط الزناد وانطلقت

الرصاصة بلا رجعة!

عم السكون للحظة وفي التالية

ارتفع صوت صراخ السمراء والمنظر

يغطيه...

دمٌ!

****

يقال أن الأمومة غريزة فطرية أما

الأبوة فهي مكتسبة

وبالنسبة لآدم فالأمر يختلف؛ فاتن

ليست سوى ابنة رزقه الله بها وكفى،

فاتن بالنسبة له تعويض عن أثمن شئ

فقده يوما...

عاد بذاكرته سنوات الى الوراء حين

عاد الى المنزل بعد انتهاء حفل زفاف

صديقته وأخته فاتن، سعادة لا

توصف شعر بها وهو يراها تتعلق

بذراع زوجها ابراهيم الخليلي، ذلك

الرجل الذي لطالما أبهره بذكائه

الحاد وفطنته... ابتسامة حزينة مرت

على شفتيه الشاحبتين لدى تذكره

تلك الحروب التي نشبت بينهما

بسبب الأستاذ المستفز، لم يفكر

يوما أن كتلة مشتعلة كفاتن قد

تقع بحب جبل الجليد ابراهيم

لكنها أحبته وبادلها المشاعر، تقدم

اليها ووافقت، تزوجا ولم يذوقا طعم

السعادة

في صباح اليوم التالي للزفاف
استيقظ متأخرا بسبب الارهاق الذي
لحقه جراء رقصه المتواصل طوال
السهرة، نزل الى المطبخ بحثا عن
حبة لمعالجة صداع الرأس وبدلها
حصل على أبشع خبر تلقاه في حياته
كلها، عروس ليلة البارحة عادت الى
منزل والديها المقابل لمنزل والديه
في...

كفن!

وكرد فعل طبيعي لم يصدق الخبر،

بل تمادى واتهم والديه بالكذب ثم

عاد الى غرفته يبحث عن مفاتيح

سياراته غير آبه لمنظره المضحك

بمنامة زرقاء فاتحة كلون السماء

الصافية في يوم مشمس، تلك

المنامة بالذات كانت هدية من فاتن

لإغاظته لكنها لاحقا أصبحت كنزا

لا يقدر بثمن...

خرج بسيارته كالمجنون وقبل أن

يتخطى الحي رأى جنازتها قادمة في

جو مهيب اقشعر له بدنه، تجمد خلف

المقود وفقد قدرته على النطق بينما

سالت دموعه في صمت...

وما أصعب قهر الرجال!

شعر بربتة خفيفة على يده أخرجته

من حالة الشرود التي تعتريه فرفع

عينيه لتقابله عينا زوجته

الحانيتين، هذه المرأة انتشلته من

مستنقع ضياع حتمي كاد يلحقه

بأخته وزوجها ، التقاها صدفة أو ربما

هو القدر الذي وضعها في طريقه

خلال رحلة له مع أصدقائه ذهب اليها

مرغما بعد الحاحهم عليه، تزوجها

مباشرة ومعها شعر أن حياة ثانية

منحت له بسخاء، أهدته أجمل هدية

تمثلت في فتاة جميلة اقترحت

تسميتها فاتن حتى قبل أن يقول شيئا

لكن القدر لم يكن رحيما به

كفاية فقد تعرضت زوجته لمرض

جعل الأطباء يستأصلون رحمها لتضيع

منه فرصة الحصول على أطفال غير

فاتن؛ ومع ذلك تحمل، أخلص

لزوجته وتفرغ لتربية وحيدته فاتن

الصغيرة والتي أصبحت فيما بعد

نسخة مصغرة عن عمتها الراحلة...

- لم أنت شارد اليوم؟

أخذ نفسا عميقا بينما يغلق كتابا

لم يقرأ منه سطرا واحدا:

- كنت فقط أفكر بفاتن... أشعر أنها

تخفي شيئا ما...

ناولته كوب شاي مرددة بنبرة مرحة:

- تقصد أنك قلق من رجل حان أوانه

ليخطف ابنتك من تحت جناحك؟

ضحكة خافتة لم تخل من القلق

زينت ثغره:

- تعلمين أنني لا أفكر هكذا سعاد...

وقفت تدور خلف الكرسي الذي

يجلس عليه وبأنامل مدربة مسدت

صدغيه لإشعاره ببعض السكينة

والراحة:

ـ وفاء اعترفت بإفشاء سر فاتن حول

ذلك العميل جاسر...

استرخى تحت حركات أناملها قائلا

ببديهية:

ـ وفاء فاشلة في الاحتفاظ بالأسرار...

هذه المرة الضحكة خرجت منها

هي:

ـ أعتقد أنها ليست سوى نزوة عابرة

وستمر، فاتن انبهرت بشخصيته

اللطيفة خلال تعاملها معه في اطار

العمل وبالتأكيد هذه النزوة

ستختفي يوم انتهاء الصفقة...

تنهد بعمق دون أن يعقب بشئ

واعتبرت هي صمته بداية مهمة بحث

حول هذا الذي يحوم حول صغيرته

بعد الصدمة يأتي الرعب بأعراضه

المتنوعة؛ تسارع دقات القلب، ضيق

في التنفس والشعور بفقدان السيطرة

أو... الاحتضار!

وبالنسبة لسمر فالأمر لم يختلف

كثيرا فبعد تسارع دقات قلبها شعرت

أنها تحتضر فعلا، توقف الزمن حولها

لدى خروج الرصاصة من مسدس نفس

الرجل الذي أطلقت عليه قبل قليل

لقب "صديق"

نظرات جاسر أحاطت فاتن أكثر من

غيرها ، رغبته في رؤية الخوف على

وجهها فاقت كل الحدود لذلك لم

يهتم بسمر أو خطيبها الذي يدعي

الشجاعة حتى آخر لحظة ببسالة

اعتبرها سخيفة... لكن الغريب أنها

بدت هادئة متماسكة حد الاستفزاز

وحد الرغبة في اشهار المسدس في

وجهها شخصيا بدل ابراهيم...

حال مغادرة الطلقة لمكانها أغمض

عينيه بانتظار وصولها لجسده، في

ومضة عين كان قميصه الأبيض

يتلون بالأحمر والمكان من حوله

يصبح فوضويا لكن الغريب أنه لا

يشعر بالألم!

فتح عينيه ببطئ يتحسس موضع

الدم بأصابعه وسمر تحيط جسده

بذراعيها تسردان ألف قصة عناوينها

تمثلت في كلمة واحدة "الهلع"

اتجه بنظراته نحو جاسر الذي

يحتفظ بملامحه المستمتعة قبل أن

يقول بامتعاض:

- هل تجد الأمر ممتعا؟

انفجر جاسر ضاحكا وهزت فاتن

رأسها بملل في حين تساءلت سمر

بقلق:

ـ ابراهيم أنت تنزف...

أجابها بحنق:

ـ أنزف طماطم...

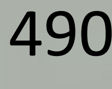
لم تفهم ما يعنيه فأشار للبقعة

الحمراء على سترته:

ـ هذا ليس دما... انها مجرد صلصة

طماطم...

قاطعه جاسر بنبرة مرحة:



- اليوم هو أول أيام شهر أفريل

والمعروف بسمكة أفريل لذلك

أردت العبث قليلا مع المهندسة...

ثم غمز سمر بمشاكسة:

- كما أن هناك دينا كان يجب أن

يقضى و...

قبل أن يكمل كلامه ارتطم جسده

أرضا اثر لكمة قوية من ابراهيم

أفقدته توازنه، تحسس ذقنه بألم

واضح مغمغما:

- قبضتك قوية يا أخي

أشار إبراهيم بسبابته في وجهه

محذرا:

- اياك أن تنظر اليها بتلك الطريقة

مجددا...

اللعنة... ألم يضربه من أجل المقلب

الذي تعرض إليه؟!... دافعه خلف

ضربه هو غيرة؟؟

جذب ابراهيم ذراع سمر بقوة خلفه

بعدما خاطب فاتن بنبرة مختنقة

رغم محاولته الواضحة في الحفاظ

على هدوئه وخرج من المكتب كأن

شياطين الجن والإنس اجتمعت

لمطاردته، تبعته سمر بخضوع بينما

عقلها لم يستوعب ما حدث بعد...

فتح لها باب السيارة لتصعد لكنها

رفضت وعاندت وأثارت جنونه أكثر

وبما أنه ليس في مزاج للدلال فقد

جعلها تركب السيارة عنوة!

في الأعلى كان جاسر لا يزال في

مكانه حتى مدت فاتن يدها نحوه

تساعده على الوقوف فاستجاب لها

بسلالة:

- ألن تضربيني أنت أيضا؟

تأملته للحظات ثم أخرجت علبة

الاسعافات الأولية من درج المكتب:

- لا تقلق لن أفعلها مع أنك تستحق

ذلك...

ابتسامة امتنان امتزجت بسخرية مرت

على شفتيه قبل أن تختفي ببداية

معالجتها للجرح على شفته السفلى،

سألها بجدية هذه المرة:

ـ كنت هادئة حين واجهتكم

بالمسدس... هل لي أن أعرف السبب؟

واصلت تطهير الجرح بنفس الهدوء:

ـ كنت أمتلك مسدسا كهذا اشتراه

لي والدي بغرض المزاح...

اصطنع الحسرة مجيبا:

ـكنت أريد الحصول على بعض المرح

معك...

ـ ثم استدرك بمرح:

- على الأقل استطعت خداع

ضيفيك...

واصل الحديث في كل شئ ولا شئ

لكن عقل فاتن كان في مكان آخر،

نظرات ابراهيم نحو خطيبته داعبت

أنوثتها وجعلتها لوهلة تتمنى لو

تحصل على شخص مثله، شخص

يعشقها ويحطم فك كل من يجرب

النظر اليها...

ـ فاتن؟

صوت جاسر أجفلها فنفضت الأفكار

عن رأسها وواصلت عملها مصطنعة

المرح بينما عقلها مشغول بالتفكير

في آخر... رغما عنها!

الفصل الرابع عشر

يقال كل شئ مباح في الحب والحرب

وهو دخل حربا سرية أحد أطرافها هو

بينما الطرف الآخر يجهل تماما بداية

حرب انتقام تستهدفه على وجه

الخصوص... لكن ما حدث لم يكن

في الحسبان؛ طرف ثالث تدخل وحشر

أنفه لنفس الهدف ثم توالت

المفاجآت ليفقد قبل أن يكسب أو

حتى يبدأ والخسارة...

قلب!

ولو أن معشوقته تبادله نفس المشاعر

لكان الأمر أهون لكنها متيمة بآخر

هو هدفه، آخر يحلم بلحظة اقتناص

روحه من جسده وحبه من قلب فتاته

وحبيبته لكن وكما يقول المثل

"في التأني السلامة وفي العجلة

الندامة" وهو تأنى وتريث وصبر ليمر

عام كامل بأشهره الاثنتا عشر

وعدوه لا يزال حيا يرزق بل ويشارك

سمراءه هواء هو أحق به منه!

بهدوء شديد أخرج نفسا عميقا يحرق

صدره وعيناه شاردتان في نقطة أعلى

زاوية الغرفة، يداه تتلاعبان بخنجر

صغير رأسه حادة بينما عقله يرسم

آلاف الخطط ويعود لمسحها وتعديلها.

حركة أناملها الرقيقة على كتفه

أجفلته فرفع نفس العينين الشاردتين

يطالعها بقسوة بدأت تلتمع داخل

مقلتيه، ابتسمت له واتخذت من

صندوق خشبي مجاور مقعدا لها ،

للحظات طويلة عم الصمت بينهما

غير أن حوارا طويلا دار بين نظراتهما

مخرجا التوتر الذي بات يغلف

روحيهما...

قطع الصمت بزفير غاضب:

-ما الذي جاء بك الى هنا؟

وضعت ساقا فوق الأخرى مربعة يديها

أمام صدرها بينما النظرة والنبرة

عابثة:

-جئت لأدعوك لحفلة الليلة على

شرف أميرتك...

اللعنة... هذا ما كان ينقصه، وكأن

الاجتماعات الماضية طوال السنة لم

ترهق أعصابه بما فيه الكفاية

لتظهر حفلة جديدة ستلزمه برسم

ابتسامة بلهاء على وجهه طوال

الوقت...

-هل تفكر فيما ستترتديه؟

سؤاله قطع سيل أفكاره الناقمة،

نظر اليها بحدة قبل أن يزمجر من بين

أسنانه:

-أخبريها أنني مسافر ولتستمتع برفقة

خطيبها...

ضحكة مستمتعة داعبت سمعه قبل

أن تقف لتدور حول كرسيه بتأني

مدروس:

-أرى أنك بدأت في رسم طريق الهروب

بعد عام واحد من المحاولة...

من قال أنه يفكر بالهروب؟!

هو فقط سئم تمثيل دور الصديق في

تلك اللعبة التي بدأت بعد ذلك

اليوم حين تلقى لكمة قوية بسبب

مزحة صلصة الطماطم، توالت

الصدف بتدبير منه وأخرى من القدر

ليدخل الجميع في اطار علاقة

جديدة والاسم "صداقة"

علاقته بفاتن التي أصبحت قريبة من

ابراهيم ساعدته على كسب وده في

البداية ثم ثقته لاحقا، أصبحا

صديقين وبدأت اللقاءات بينهما

بحضور الفتاتين سمر وفاتن اضافة

الى ميرنا التي لم تواجه أي صعوبات

في التأقلم مع المجموعة الجديدة...

جمعتهم احتفالات بالنجاح ومواساة

أثناء الأزمات ما صقل العلاقات بينهم

ليتتحول فيما بعد الى ثقة عمياء من

طرف الكل... أو على الأقل هذا ما

يبدو عليه الأمر!

للمرة الثالثة على التوالي تخرجه من

شروده بصوتها، تأفأفت بملل وهي

تدس يديها في جيوب بنطالها من

خامة الجينز الأسود وتواجه النافذة

بعينين تلمعان لؤما:

-هل بدأت تتخيل ما ستترتديه

أميرتك في حفل عيد ميلادها

اليوم؟

والاجابة تمثلت في هزة رأس نافية

تبعها رد ساخر:

-مثل هذه الأمور تشغل النساء فقط...

عاجلته بسؤال أشد سخرية:

-وماذا يشغل الرجال اذا؟!... عرض

صلصة طماطم جديد يقدم في

الهواء الطلق مثلا!

ابتعد عن كرسيه وجانب شفتيه

يرتفع بمكر بث في روحها الساخطة

بعض الحماس، حماس لمغامرة شيقة

قد تخوضها الليلة... اقتربت منه

برجاء:

-هل سننفذ خطتنا اليوم؟

هل كل النساء قليلات صبر أم أنه

ابتلي بامرأة تثير بداخله الرغبة في

القتل!

دون جواب واضح تركها وهم

بالابتعاد لكنها قطعت المسافة

بينهما بقفزة وهمسة دلال تشي

باعتذار:

-حسنا لن أسأل لكن على الأقل

أخبرني بما يدور بذهنك...

حك ذقنه بتفكير مطول وانتظرت

بصبر كاد ينفذ ويسبب كارثة هي

في غنى عنها، تفننت في رسم

ابتسامة رضى على شفتيها الى أن

حانت منه كلمة واحدة تشي

بالكثير:

-حضري نفسك لحفلة لن تكون

كغيرها من الحفلات...

هل توجست، ارتبكت أم أنها

خافت؟!... لا بالتأكيد هي لم ولن

تخاف شيئا لكن هناك شئ ما يقلقها

ولا تستطيع معرفة ماهيته، انه

يتصرف من تلقاء نفسه ودون الرجوع

اليها وهذا ما يجعلها تخشى أفعاله

ومفاجآته، دائما ما يصدمها بجنونه

كغيرها من أفراد مجموعتهم

الجديدة وكأنها منهم لا شريكته!!

سألته بتصميم هذه المرة لمعرفة ما

ينوي فعله لكنه اكتفى بغمزة

مشاكسة قبل أن يغادر وهو يدندن

أغنية شعبية بصوته الخشن وللغرابة

لم يكن بشعا!

تابعته الى أن أغلق باب غرفته خلفه

لترتمي على أقرب كرسي محاولة

التنبأ بحركته التالية في حين

ظهرت على وجهه نظرة جدية تتسم

بالخطورة مما هو قادم، اللعبة طالت

أكثر مما يجب وتحريك المياه

الراكدة لابد منه وحالا...

استرخى على فراشه واضعا ذراعه على

عينيه المغمضتين سامحا لعقله

بالشرود في أفكاره بعيدا عن ازعاج

تلك المسماة ميرنا...

****

الى أي مدى يمكن أن تصل الثقة في

العلاقات؟... حد التسليم والعمى!...

وما هي التبعات التي يمكن أن ترتب

جراء هذا الفعل الذي ينهى عنه

الفلاسفة والمفكرون؟... وهل يفكر

الانسان مرتين قبل الاقدام على

خطوة كهذه أم أنه يفعلها بلا وعي

منه؟...!

أسئلة كثيرة لم تطرأ على باله ولو

للحظة، جاسر أصبح صديقه الصدوق

ومن يحاول الاساءة اليه فهو بالتأكيد

يلعب بعداد عمره... بعد سنة من

تلك المزحة السخيفة تقربا من

بعضهما وأصبحا كالسمنة على

العسل لا شئ يفرقهما سوى العمل

والنوم...

وبما أنه يولي عمله اهتماما خاصا

ومميزا تبقى قضية الخليلي لغزا

محيرا يسعى لفكه في أسرع وقت،

حتى صداقته بفاتن لم تنفعه كونها

لا تعلم أشياء أكثر من التي يعرفها

لكن أبدا لن ييأس، سيكتشف

القصة وعلاقة أمه بهم، فعلى الرغم

من تصالحه معها الا أن فضوله يحثه

على معرفة الأسرار التي طمسها

الزمن...

كيس فواكه هو أقدم هدية تقدم

لدى زيارة الأقارب ومع ذلك

فالفكرة ليست بالسيئة، اشترى رطل

تفاح هو الأحب لخاله وقصد منزله

مساء بهدف معرفة المزيد، دق الباب

وانتظر للحظات قبل أن تفتح زوجة

خاله الباب ومن خلفها ظهرت فتاة في

الخامسة عشر من العمر بمنامتها

القطنية وشعرها المشعث، عانقته

بحرارة وهمست في أذنه ببضع كلمات

نالت بسببهم زعقة من أمها لكنها لم

تبال ما دام أخذت طلبها والمتمثل في

علبة شيكولاتة يخصها بها في كل

زيارة، شكرته بغمزة مشاكسة

وانسحبت الى غرفتها بينما هزت الأم

رأسها يأسا من هذه المراهقة التي لا

تكف عن هذه التصرفات الصبيانية،

ضحك ابراهيم باستمتاع ثم طلب

منها اعلام زوجها بحضوره بعدما

سلمها كيس الفواكه، أخبرته أنه

في مكتبه ودخلت مطبخها تحضر له

وجبة الغذاء كعادتها...

أطل برأسه من غرفة المكتب والمرح

يغلف تصرفاته:

-أما آن لك أن تتقاعد أيها العجوز؟

تناول يوسف أقرب تمثال طالته يده

وقذفه ناحيته لكن ابراهيم تفاداه

ببساطة، ادعى خيبة الأمل وهو

يجلس بمقابلته:

-أهكذا ترحب بضيفك أيها الخال

المحترم؟

انعقد حاجبا يوسف بمكر وهو

يتأمله مطولا قبل أن يتكلم بهدوء:

-هل تنوي قتلي والاستلاء على

ثروتي؟

ببساطة شديدة أومأ ابراهيم رأسه

ايجابا فاستطرد:

-اترك عمل الصحافة وانضم للعمل

معي قبل أن ترهقك طلبات زوجتك

القادمة...

فتح الباب وأطلت منه رانيا حاملة

صينية عليها شاي وبعض الحلوى

بينما نظراتها عاتبة:

-متى أرهقتك طلباتي سيد يوسف؟

تبادل الرجلان النظر وكلاهما يحضر

نفسه للأسوأ لكنها وضعت محتوى

الصينية بهدوء وربتت على كتف

ابراهيم بنبرة ذات مغزى:

-لا تدفن نفسك بالعمل وتنسى

عائلتك في خضم بحثك عن المال

والثروة...

طأطأ رأسه بانتظار مرور العاصفة

لكنها وما ان خرجت حتى رن هاتف

يوسف فخرج وتركه وحده في

المكتب، وقف يدور في الغرفة الى

أن استقر بصره على كتاب قديم

لكنه أنيق موضوع على حافة

المكتب وكأن خاله نسيه هناك

من غير قصد، فضوله دفعه لفتحه

ومعرفة ما يحمله بين سطوره،

الصفحة الأولى فارغة والثانية لم

تختلف عنها وبالثالثة كلمة واحدة

لا غير...

ألم!

تخطى الرابعة والخامسة وما تلاها

الى أن وصل الى الوسط ومعها أدرك ما

يحمله بين يديه... مذكرات ابراهيم

الخليلي!!

شعر باقتراب خطوات من باب

المكتب فلم يتردد لحظة بدس

المفكرة بين ثنايا ملابسه والتحجج

باتصال طارئ ليغادر المكان قبل أن

يكتشف خاله فعلته، ركب سيارته

وابتعد قدر الامكان عن المنزل الى

أن وصل أمام شاطئ البحر فتوقف

وبدأ يلتهم الحروف والكلمات بنهم...

الصفحة الأولى بها ألم والثانية

كتب " لا أستطيع نسيان منظر

الشاحنة فوق السيارة، أحمل نفسي

المسؤولية وأعلم أنني السبب المباشر

في موت أسرتي" ثم انتقل للثالثة

"وجدت شقة مناسبة بعيدا عن هذه

المدينة اضافة الى منصب أستاذ

بجامعة معروفة... آسف أمي، آسف

أبي، آسف أخي وأختي لكنني لا

أستطيع البقاء هنا أكثر" أخذ نفسا

عميقا قبل أن يقلب الورقة "الشقة

جيدة والجامعة قريبة، يبدو أنني لن

أواجه أية مشاكل هنا"

توقف للحظة يفكر في هذه السطور

القليلة، يبدو أنه كان يعاني كثيرا

لكنه لا يكتب الكثير، بضع

كلمات تختصر يومه وحياته على

حد السواء، هل كان قليل الكلام

أم أن الكتابة لا تستهويه كثيرا

لذلك اكتفى بالايجاز؟!... واصل

القراءة وهذه المرة ابتسامة مستمتعة

ارتسمت على شفتيه " اليوم أول يوم

لي في الجامعة لكنني أمضيته في

قسم الشرطة بسبب فتاة سخيفة

تمسكت بعنادها وتسببت بخدش



سيارتي اضافة الى اثارة مشكلة

والمطالبة باعتذار!... لكن الغريب

في الأمر أنني اعتذرت بعدما أسرني

لون الكرز البادي على شفتيها...

اللعنة يبدو أنني أصبت بالجنون

فتلك الفتاة لن أراها بعد الآن"

ارتفاع صوت هاتفه قاطع بداية

استمتاعه بالقصة فأجاب بملل دون

رؤية اسم المتصل:

-أين أنت؟

صوت مستاء بشدة اخترق طبلة أذنه

فكاد يفقده حاسة السمع، أبعد

الهاتف عنه للحظة ثم استدرك

الموقف بمراضاة:

-أحضر مفاجأة مميزة لأميرة اليوم...

وكما توقع تماما صمتت لوهلة قبل

أن تسأل بدلال يغلفه الخجل:

-ما الذي تحضره؟

أجابها وهو يقلب المفكرة بين

أصابعه:

-ستعرفين حالما نلتقي...

حاولت الكلام لكنه زمجر بخفوت:

-سمر...

استسلمت له وأغلقت الخط بعدما

أصرت عليه أن يأتي باكرا فوافق وهو

يدعو اللّه أن يمضي الوقت بسرعة

ليكمل قراءة اكتشافه...

المشاعر ليست دائما واضحة للعيان،

المشاعر أحيانا قد تكون متضاربة

فلا هي تتفق ولا أنت ترتاح، تجعلك

تتنقل بين حب واعجاب غير مدرك

لما تريده فعلا...

وهي ملت هذا الوضع منذ زمن، أحيانا

تشعر أنها تهيم حبا بجاسر وأحيانا

أخرى يلوح اعجاب خجل بابراهيم

الذي لا يرى غير خطيبته لكن

المشكلة أنها تشعر بهما أحيانا

يبادلانها نفس المشاعر ومع ذلك

تستمر بتجاهل تلك الأحاسيس

خاصة ناحية ابراهيم...

أنهت آخر لمساتها وخرجت من غرفتها

الى قاعة الجلوس أين ينتظرها

والدها ليقلها لحفل عيد ميلاد

صديقتها الجديدة، لم يكن يريد

السماح لها بالذهاب لكن رؤية

صغيرته تكون صداقة بمثل هذه

القوة مع سمر وميرنا جعله يوافق على

مضض...

شهقت والدتها بانبهار وطأطأت فاتن

رأسها بخجل، اقتربت منها ترفع ذقنها

بأناملها والفخر يشع من عينيها بابنتها

المهندسة الناجحة، تلت المعوذتين

وسمت اللّه قبل أن يجذبها والدها

خلفه متمتما بعبارات تدل على

امتعاضه من المشهد الدرامي والذي لا

ينقصه سوى الدموع!

حين وصلت الحفل المقام في منزل

سمر كان الظلام قد غلف السماء

التي تزينت بنجمات تشع على

استحياء، شكرت والدها واتفقا على

العودة الى المنزل بعد ثلاث ساعات لا

أكثر، حملت هديتها الضخمة

ودخلت المنزل لتجد ابراهيم واقفا

بالقرب من بوابة الخروج، تسارعت

دقات قلبها لكنها حافظت على

ابتسامة دافئة لا تعكس ما يعتريها

من مشاعر... سارع يحمل الهدية عنها

متسائلا بمرح:

-هل وضعت سلاحا بداخل العلبة

لتصبح ثقيلة هكذا؟

لمحت عنينه اللتين تأملتا مظهرها

بانبهار واضح ومرة أخرى أرغمت عقلها

أن الأمر عادي، مجرد اعجاب بمظهرها

الأنيق... تنحنحت بحرج تفيقه من

شروده بها وأكملت السؤال بتعثر:

-سمر... أقصد أين هي؟

استعاد رباطة جأشه بسرعة مشيرا

الى الممر المؤدي الى غرفتها بملل:

-ذهبت لاصلاح زينتها للمرة ما بعد

الألف...

كتمت ضحكتها بصعوبة وسارعت

الخطى نحو الغرفة متجاهلة ناقوس

الخطر الذي أعلنه قلبها...

في ركن الغرفة جلس يتابع ما

يحدث بنظرات راضية، ذلك

الاحتكاك بين الاثنين جعله

يشك في مشاعر ابراهيم مرارا وهذا

ما شجعه على التقرب من سمر التي لم

تلحظ شيئا حتى الآن...

-لم أنت جالس لوحدك

كالأغراب؟!

السؤال وازاه ضربة خفيفة على فخده

المستريحة على أريكة فخمة، رفع

عينيه نحو ابراهيم بابتسامة:

-تعلم أنني لا أعرف أحدا هنا ولولا

اصرارك علي لما حضرت...

ضحك بخفوت مجيبا:

-أنا أيضا لا أعرف الجميع لذلك لم

أجد أفضل من صديقي جاسر

للمشاركتي الحضور...

رفع جاسر حاجبيه بتهكم:

-يا لفرحتي بهذا المنصب...

دخول الفتيات قاطع كلامهما فوقف

ابراهيم يحيط خصر سمر بذراعيه

بينما تراجعت كل من ميرنا وسمر

الى الخلف وبداخلهما ولد احباط

اضافة الى غيرة أزعجتهما ، جاسر

كان الوحيد المستمتع بالمشهد رغم

غيظه من احتكاك ابراهيم

بسمر... تخطى شعوره وبخفة الفهد

جاور فاتن في وقفتها ، تأمل عينيها

قبل أن يميل على أذنها بهمس أجش:

-تبدين فاتنة...

تخضبت وجنتاها حمرة والتوت شفتاه

بشبه ابتسامة ماكرة، عاد يتطلع

أمامه ثم طلب منها الجلوس على

الأريكة أين كان يجلس من قبل،

أذعنت لطلبه واستغل هو الفرصة لما

هو أكثر، أحضر صحنا يحتوي على

بعض الكعك وشوكتين ناولها

احداها واحتفظ بالأخرى لنفسه،

اندمجا مع بعضهما ونسيا أمر الحفلة

بمن فيها ليفتتحا مواضيع تافهة

وأخرى جادة بينما راح ابراهيم

يتابعهما بطرف عينه وبداخله شعور

غريب بالاستياء!

حان موعد تقطيع الكعك فوقف

الجميع حول الطاولة المستديرة

وفوقها وضع قالب حلوى على شكل

نجمة خماسية بيضاء رشت

بالشيكولاتة كما كتب عليها

"عيد ميلاد سعيد سمر"

بعد أغنية الميلاد من طرف الحضور

قامت سمر بنفخ الشموع دفعة واحدة

بعدما تمنت أمنية احتفظت بها

لنفسها، أقبل عليها الحاضرون يقبلون

ويعانقون ثم يعطونها هديتها

ويتراجعون للخلف حتى يستطيع

البقية تقديم هديتهم، تلقت جميع

الهدايا بسعادة بالغة الى أن وصل دور

ابراهيم، صمت الجميع بترقب حتى

أخرج من جيبه مفتاحا أنيقا لم تفهم

ماهيته، تأملها للحظة، لحظتين،

ثلاث وفقدت صبرها، هتفت بحنق

تسأله عن المفتاح فأجاب بسعادة:

-مفتاح شقة اشتريتها لنعيش بها...

صرخت بحماس وعانقته متناسية

الحضور:

-أخيرا... لا أصدق...

لم تبدو ميرنا سعيدة وفاتن لم تكن

بأحسن حال منها لكن جاسر قرر أن

الوقت قد حان لتحريك المياه

الراكدة، انتظر حتى هدأت الأمور

وانشغل الجميع بالحديث ليقف وسط

القاعة:

-هلا أعرتموني انتباهكم لو

سمحتم...

بعد حصوله على مبتغاه مد يده نحو

فاتن التي شعرت بالاحراج لكن

ميرنا دفعتها باتجاهه فلم تجد بدا من

الانصياع، وضعت أصابعها المرتجفة

داخل فكه بينما ركز جاسر على رد

فعل ابراهيم الذي بدأت علامات

الحنق تشق طريقها نحو ملامحه،

ابتسم بانتصار وركع على ركبة

واحدة بشاعرية:

-أيا امرأة تغني عن رائحة النساء

كحمامة بيضاء في نهاية المساء

اقتحمت عالمي لأرفع راية الاستسلام

فاقبلي سيدتي حب هذا العاشق

الولهان

ثم أخرج من جيبه علبة مخملية

تحتوي على خاتم ماسي مكملا:

-تزوجيني فاتن



الفصل الخامس العشر

لكل أنثى أحلام ترغب بتحقيقها

وطموحات تسعى لنيلها؛ شهادة

جامعية مرموقة، سيارة فارهة،

منصب عملي يعود عليها بالربح

الوفير أو سفر بين بلدان العالم

الكثيرة... لكن خلف هذا كله

تقبع رغبة فطرية منذ نعومة

الأظافر ومشاهدة أفلام الباربي حد

الاعتياد والادمان... تلك الرغبة في

الحصول على قبلة الأمير الوسيم

لازالة مفعول التفاحة السامة أو

تقبيل الوحش ليتحول كذلك

لأمير وسيم والنتيجة واحدة...

الحصول على رضا الأميرة!

ويبقى الواقع شيئا مختلفا عن

الأساطير والحكايات، ببساطة

شديدة يطلب الشاب من والدته اختيار

زوجة مناسبة ويتم الأمر بسلاسة.. أو

ربما يقابل فتاة يقع بحبها وبعد ثالث

لقاء يطلب يدها بهدوء شديد لينتهي

الأمر بنفس بساطة الأسلوب الأول...

لكن هناك أقلية من الفتيات

يحالفهن الحظ ويحصلن على طلب

زواج يشبه ذلك الذي تحصل عليه

الأميرات في الحكايا الخرافية وهي

كانت من بين تلك الأقلية... في

حفل عيد ميلاد صديقتها الجديدة

يركع أحدهم لها على ركبته

بخاطرة رومانسية وطلب زواج حسدته

عليها الكثيرات!

لكن هل كانت سعيدة أو حتى

راضية!!

مع آخر كلماته أخرج علبة مخملية

تحتوي على خاتم ماسي مكملا

بنفس الثقة:

-تزوجيني فاتن...

ابتلعت ريقها بصعوبة وسط الهدوء

المخيم على المكان، كل الأعين

مشخصة نحوهما وكأنهما محور

الكرة الأرضية، الجميع ينتظرون

اجابتها بترقب بينما هي... هي

ببساطة عاجزة عن الكلام!

أمام حيرتها وذهولها استغل جاسر

الفرصة لاستشفاف ردة فعل ابراهيم

الذي اتخذ وضعية المتفرج بامتعاض

بينما التمعت عينا سمر فرحا وسعادة

من أجلهما...

هي سعيدة وهو يسعى لاثارة غيرتها...

ويا لها من مهزلة!

انتبهت سمر لجمود ابراهيم بجانبها

فلكزته في كتفه بتساؤل عن سبب

استيائه الواضح لكنه تحجج

بمشاكل في العمل، لم تصدق

الحجة ومع ذلك أقنعت نفسها على

مضض حتى لا تفوت على نفسها رد

فاتن التي على ما يبدو لم تستوعب ما

حدث حتى الآن...

تأمل ملامح وجهها بتركيز كأنما

يتمنى أن ترفض أو على الأقل تطالب

بمهلة لتفكر لكن لم يريد هذا

وخطيبته تجلس على يمينه؟!... هل

بدأ يفقد عقله!!

نفض الأفكار عن رأسه بعنف قبل أن

يهتف بمرح حاول جعله عفويا:

-هل سننتظر الليل بطوله فاتن؟...

قيسك ينتظر الجواب على أحر من

الجمر...

وبداخله ردد:

-ليس جاسر وحده من ينتظر، أجيبي

فاتن...

استدارت ناحيته بهدوء تنظر

لأصابعه المتشابكة بأنامل سمر،

دبلات الخطوبة تزين بنصريهما وهي

مهما حلمت وتمنت فلن تجد مكانا

بينهما ، ابراهيم يحب سمراءه بجنون

بل يعشقها والآن لديها فرصة

الحصول على نفس الاهتمام لكن من

صديقها جاسر...

صوت هاتفها أجفل حركة أفكارها

فالتقطته لتجيب بتوتر ثم اعتذرت

من الحضور بحجة أن والدها ينتظرها

في الأسفل، التقطت حقيبتها وعند

الباب صدح صوت جاسر في الجو:

-هل أعتبره رفضا؟

نظرت اليه ثم لابراهيم الذي لمحت

شيئا بين مقلتيه يرجوها الرفض...

هل بدأت تتوهم أيضا!

بأنفاس متلاحقة وعقل مضطرب

أجابت:

-اعتبره مهلة قصيرة للتفكير...

وخرجت تتعثر في فستانها كفتاة

صغيرة ارتدت ملابس أمها التي لا

تناسب جسدها، نزلت الدرج بنفس

التوتر ولم تشعر بالراحة الى وهي

تجاور والدها في السيارة، ابتسامته

الحانية وسؤاله المرح عن الحفلة

أشعراها بالطمأنينة والأمان، استندت

على المقعد خلفها حين لمحته خلف

النافذة بالأعلى... أجل لقد كان هو

بنفس النظرة الغريبة التي رمقها بها

قبل قليل!

في الحفل عاد الحاضرون الى

أحاديثهم في حين فضل جاسر

المغادرة وتبعته سمر الى الباب تخفف

عنه وطأة الحادثة:

-فاتن تحبك وهذا واضح من نظراتها

نحوك لكنك فاجأتها وهذا كل ما

في الأمر...

نظر داخل عينيها مطولا بحثا عن

ميلاد غيرة أو استياء بسيط لكنه لم

يجد، انها تواسيه حقا!... ويا ليتها

تدرك نظرات خطيبها المبجل

لموكلتها التي عينت نفسها محامية

لها...

ارتبكت من نظرته العميقة التي

شعرت بها تتغلل داخل روحها ومع

ذلك حافظت على ابتسامتها

الداعمة لها والتي بات يمقتها بشدة،

أموأ رأسه بتحية وخرج يلعن قلبه

الخائن الذي ورطه بما لم يفكر به

يوما!

عادت الى مكانها بجوار ابراهيم

الذي بدا في عالم آخر، احتضنت

كفه والابتسامة لا تفارق شفتيها:

-لم أنت شارد اليوم؟

وقبل أن يجيب قاطعتهما ميرنا بقولها:

-سمر علي المغادرة الآن...

قطبت حاجبيها ببادرة غضب لكن

الصديقة عاجلتها بقبلة على خدها:

-تأخر الوقت ولدي عمل منذ الصباح

الباكر...

ميرنا تستيقظ باكرا!... ما الذي

يحدث للعالم؟!

ضحكت ميرنا بخفة لدى فهمها لما

يدور بعقلها ثم مالت على أذنها

هامسة:

-لا تستغربي فقد وجدت عملا في

أحد الوكالات السياحية...

وبسعادة غامرة للصديقة الكسولة

قامت تعانقها بحرارة والأخرى تبادلها

العناق قبل أن تغادر وبعقلها ذكرى

نظرات ابراهيم لفاتن التي لم

تفوتها... اللعنة، خططت لابعاد

السمراء عنه لتظهر فاتن بالصورة!

بعد مغادرة ميرنا كانت القاعة شبه

فارغة الا من بعض المقربين من

والدي سمر فاغتنم ابراهيم الفرصة

ليستفرد بكتاب المذكرات الذي

سرقه من خاله، عارضت سمر ذهابه

في البداية لكنها رضخت لرغبته

أمام اصراره الذي لا ينوي التراجع...

***

المفاجآت ليست دائما حدثا سارا،

أحيانا قد تتحول لطوق يكبل

حركتنا وفكرنا عن الخطوة التالية

التي يجب اتخاذها...

بعد عودتها من الحفل وشرودها في

السيارة برفقة والدها آدم اتجهت فاتن

الى غرفتها مباشرة، جلست على حافة

فراشها تطالع صورتها المنعكسة في

المرآة أمامها بصمت، لو أن نفس

العرض قدم لها قبل سنة واحدة

لكانت الآن تحلق عاليا برفقة

النجوم في السماء لكنها الآن لا

تشعر سوى بالحيرة والضياع، لا تعلم

ما تريده بالضبط... بل تعلم وترفض

الاعتراف به حتى لنفسها...

تخللت خصلات شعرها بأناملها تعيد

حسابتها للمرة الألف، سمر صديقتها

المقربة ولن تستطيع طعنها ولو بادلها

ابراهيم بدل الحب عشقا!... زفرت

بحرارة ونزعت حليها تلقيهم على

الأرض باهمال، أتبعتهم بخلع فستانها

والوقوف تحت صنبور المياه الدافئة

بلا حراك، أغمضت عينيها ومنعت

عقلها عن التفكير في أي شئ

يخصه....

وكأنه يطيع أو يمتثل!

حتى عقلها خائن كقلبها، كلاهما

تآمرا عليها من أجل رجل كرهته في

البداية لتدرك لاحقا كم هو رائع

و...

عند هذه النقطة هزت رأسها بعنف،

عليها التوقف عن الخوض في مستنقع

لا فكرة لديها عن مدى عمقه،

ستغرق ان لم تفعل والغرق في هذه

الحالة لا نجاة منه مهما عاندت

وحاولت...

لفت جسدها المبلل بمنشفة ضخمة

وخرجت من الحمام الملحق بغرفتها

باحثة عن فستان نوم خفيف يؤنسها

في ليلتها التي لن تنتهي على خير،

وجدت ضالتها أخيرا فارتدته وجلست

أمام مرآتها تجفف شعرها بمنشفة

أخرى أقل حجما من الأولى... فكرت

في جاسر وعرضه، تخيلت قبولها

للعرض وما سيترتب عنه ثم رفضها

والذي سيكلفها صداقته.. معنى

نظرات ابراهيم لها والنتائج

الكارثية لأفكارها المريضة...

وبعد كل هذا أطلقت شهقة

مكتومة وقامت تفتح الباب بخطوات

هادئة حتى لا توقظ أهل المنزل

النيام، وصلت أمام باب عمتها وفاء

ودخلت بنفس الهدوء، وجدتها

مستلقية على فراشها كما هي عادتها

فسألتها بخفوت:

-عمتي أنت نائمة؟

أضاءت وفاء المصباح الجانبي وأزاحت

بعض الغطاء عن جسدها في دعوة

للانضمام اليها، لبت فاتن الدعوة

برحابة صدر وجاورتها في الفراش

علها تحصل على بعض الراحة...

عم السكون للحظة، لحظتين ثم

قطعته العمة بصوتها الحنون:

-كيف كانت الحفلة صغيرتي؟

نفس حار أخرجته فاتن قبل أن

تستدير ناحية عمتها، ابتلعت ريقها

هامسة:

-عمتي أنا في ورطة!

وكعمة تهتم بمصلحة ابنة أخيها

شعرت بالقلق، اضطراب عينيها لوهلة

ورغبتها الواضحة في تقديم يد

المساعدة جعلت فاتن تندم

لتصريحها الغبي المتسرع لكن ندمها

لم يدم طويلا، قاطعت وفاء أفكارها

بحزم يغلفه الاهتمام:

-ما الذي حدث بالضبط...

عضت شفتها السفلى كطفلة أذنبت

وتنتظر العقاب من ولي أمرها، حثتها

وفاء بعينيها أن تتكلم فتلعثمت

أكثر:

-في الحفلة... أنا... أقصد أن...

-فاتن...

بصوت جدي نادت باسمها فتحدثت

بتلقائية:

-جاسر عرض علي الزواج في الحفل...

ضيقت العمة عينيها بعدم فهم،

أليس جاسر هو نفسه صديقها منذ

عام، لقد اعترفت لها أنها معجبة به

فما المشكلة الآن؟!

سألتها بهدوء:

-ألا تكنين له الاعجاب؟

ترددت لبرهية لكنها حسمت أمرها

باخبارها كل شئ فربما تصلان معا

لحل يرضي الجميع... أخذت نفسا

عميقا قائلة:

-لا أعلم عمتي... جاسر رجل رائع

لكنني لا أشعر أنه يناسبني

كزوج...

-بسبب ابراهيم؟

تبا... هذا سؤال لم تتوقعه على

الاطلاق!

أنبتها بصوت مكتوم:

-عمتي!!...

ضحكت وفاء بمرح وأخذت تملس

خصلات شعرها الكستنائية:

-حين كنت تحدثينني عن

عصابتك الجديدة شعرت بالسعادة

من أجلك فلطالما كنت فتاة

انطوائية همها الوحيد تحقيق

النجاحات المتتالية، في البداية

اهتمامك بأكمله كان منصبا حول

جاسر وشخصيته المرحة... جاسر

فعل كذا، جاسر قال كذا... لكن

شيئا فشيئا حديثك بدأ يأخذ مجرى

آخر، أصبح اسم ابراهيم يتطفل بين

الفينة والأخرى على الحوار حتى

أصبح يحتله كاملا... طريقة

اهتمامه بخطيبته، غيرته عليها

وحتى عصبيته الواضحة حين يتعلق

الأمر بها، كل ذلك جعلك تتمنين

أخذ مكانها والحصول على ما

تستحوذ عليه..

ثم وضعت يدها على صدرها مكملة:

-أصبحت تريدين الحصول على قلبه

دون أن تدركي ذلك حتى...

تابعت فاتن كلامها بصدمة، لم

تتوقع أن تكتشف عمتها خبايا

روحها بهذه الدقة ومع ذلك فقد

شعرت بالارتياح لمشاركة أحاسيسها

مع شخص محل ثقة كعمتها... لم

تقل شيئا لكن وفاء تابعت بثقة

بعدما ضمتها الى صدرها:

-ان كان قلبك مع ابراهيم فلا

ترتبطي بجاسر فقط لنسيان شخص لا

يبادلك الشعور... جاسر لا ذنب له

في هذا كله...

كلامها قاس تعلم، وصغيرتها تتألم

وأيضا تعلم لكن بعض الألم الآن

خير من ندم وشعور بالذنب ستضطر

لعيشهما ما بقي لها من عمر...

***

وكما يمكن لأنثى ألا تعجب

بمفاجأة تتعلق بالحب يمكن للرجل

أيضا الشعور بنفس الشئ وربما أسوأ!

والأسوأ هنا لا يتعلق بغيرة رجل بل

بما يريده هذا الرجل...

وهو شخصيا لم يعد يدرك ما يريده

ويرغبه، لطالما ظن أنه وجد ضالته

في الحب؛ أعجب وأحب وعشق وثار

غيرة وفي الأخير عاود الكرة من

جديد... صاحبة العيون الخضراء

التي لم ترق له يوم عرفها وكرهها

يوم أثارت مشكلة وبين خطيبته...

مهلا لحظة ، لم يفكر فيها باسم

خطيبته وكفى؟... ألم تكن سمراءه

وحبيبته دوما!!... ما الذي تغير؟!

أوقف سيارته بجانب الطريق محاولا

التفكير في مكان مناسب لقضاء

الليلة فهو حتما لن يعود الى منزله

ليجد خاله بانتظاره وربما بحوزته

مسدس ينوي افراغ رصاصاته داخل

رأسه... نظر الى الكرسي المجاور

يتأكد أن كنزه بخير وأدار مقود

سيارته بحثا عن فندق مناسب يؤمن

له قراءة هادئة وحين وصل طلب من

موظف الاستقبال اعارته هاتفه

ليرسل رسالتين احداهما لأمه

والأخرى لخطيبته أو بالأحرى

حبيبته يخبرهما فيها أن هاتفه انتهى

شحنه وألا يقلقا عليه، وهذه

بالتأكيد ليست سوى خدعة للافلات

من خاله المترصد له...

صعد الى غرفته لهذه الليلة وجلس

على حافة الفراش بنفس ملابس

الحفل يحتضن المذكرات بين يديه

لكن تفكيره بفاتن أنساه فضوله

الملح لمعرفة ما حدث في الماضي،

استلقى على ظهره وظل يتأمل السقف

بوجوم... هل ستوافق أم ترفض؟...

ولم قد ترفض عريسا كجاسر!!...

لكن لم توافق أيضا؟... ببساطة لأن

جاسر يمثل حلم كل فتاة؛ وسيم

بجسد رياضي، طبيب بيطري، وضعه

الاجتماعي جيد وشخصيته مرحة

ومريحة... عاود الجلوس بحدة ثم

وقف يتحسس ذقنه أمام المرآة:

-أنا أيضا وسيم، صحفي ناجح ووضعي

الاجتماعي جيد جدا... حتى أن

سيارتي أفضل من سيارته بكثير...

ثم رفع ذراعه يتأكد من بروز

عضلتها مرددا بخفوت:

-ربما لياقته البدنية أفضل من لياقتي

بقليل...

لكنه تدارك نفسه بشئ من

الحماس:

-حسنا بامكاني الذهاب الى قاعة

الرياضة للحصول على جسد رياضي

ممتاز...

وفتح أزرار قميصه يتلمس بطنه

وصدره بامتعاض:

-يبدو أنني أهملت نفسي كثيرا

مؤخرا...

وعند هذه النقطة توقف، خلع

قميصه ورماه على المرآة ليسقط أرضا

ثم دخل الى الحمام محاولا تغيير

مجرى أفكاره عن فاتن وذلك الغبي

جاسر، وقف تحت المرش وأخذ

يدعك الجزء العلوي من جسده

بخشونة:

-أعتقد يجب علي تعجيل موعد

الزفاف لتتحمل فاتن مسؤولية

تحميمي...

هل قال فاتن؟!!

حسنا هذه ليست سوى زلة لسان،

عقله وقلبه يقصدان فات... سمر،

سمر، سمرررررر

ظل يردد اسم سمر عدة مرات وكأنه

يخشى نسيانه، اللعنة ما به الآن؟!!!

الحل الأمثل هو نسيان جماعة

الحمقى الذين يحيطون به والتركيز

قليلا مع المذكرات التي تنتظره فوق

الفراش، ابتسم برضا وخرج من

الحمام بسروال قطني يحتفظ به في

السيارة دائما، أطفأ جميع الأنوار

وترك ضوء خافتا بجانب رأسه

يمكنه من رؤية الحروف المكتوبة

بوضوح، فتح المذكرة على آخر

صفحة قرأها وكان أول ما وقعت

عليه عيناه اسم فاتن، أعاد غلق

الكتاب كمن لدغته أفعى ثم رفعه

أمام عينيه مرددا بحدة:

-ابراهيم الخليلي ألم يكن

بامكانك أن تحب سعدية، مسعودة،

فوزية؟!... هل كان من الضروري أن

تحب فاتن يا أخي؟!!

ثم زفر بضيق وعاود القراءة:

"اليوم بدأت العمل والمثير للعجب أن

تلك الفتاة دخلت القاعة متأخرة،

سألتها عما تريده فأجابت بأنها

ستكون طالبة في صفي، شعور

غريب سرى في جسدي في تلك

اللحظة.. علمت فيما بعد أن اسمها

فاتن ويا له من اسم!... هذا الاسم

يليق بها فعلا فهي فاتنة بطريقة

مهلكة"

ومع آخر سطر سرح خياله بعيدا نحو

فاتنة أخرى أطاحت بعقله، دفن

وجهه في وسادته مغمغما:

-هل سيعيد التاريخ نفسه أم ماذا؟

وبعدها واصل القراءة مستمتعا بلعبة

القط والفأر بينهما، تلك الفاتن

لسانها طويل أكثر من اللازم وقد

أوقعها في مواقف محرجة مع أستاذها

وعلى الرغم من ذلك تواصل تحديه

بوقاحة!

توقف عند صفحة بدت خالية من

المسماة فاتن لكنها احتوت على شئ

غريب جذب انتباهه:

"في طريق عودتي الى المنزل لمحت

حركة غير اعتيادية الى جانب

الطريق وحين توقفت وجدت رجلا

يحتضر!... حاولت اسعافه لكن

حالته كانت أخطر من أن يتم انقاذه

وقبل أن يموت أخبرني باسم قاتله "

توفيق بيطر"

وعند هذا الاسم أغلق الكتاب وأخذ

يعتصر ذاكرته لمعرفة أين رأى هذا

الاسم من قبل:

-بيطر، بيطر، بيطر... متأكد أنني

سمعت به من قبل لكن أين، أين؟

ثم فجأة لمع اسمها في رأسه، أجل انها

هي... ميرنا بيطر!

***

"لا يمكنك وضع حد لأي شيئ..

كلما حلمت أكثر .. كلما وصلت

أبعد"

مايكل فيلبس

بتريث مرر عينيه على أسطر المقولة

كأنها كتبت خصيصا من أجله؛

الكاتب معه حق فعلا فكلما حلمت

أكثر، كلما وصلت أبعد وهو حلم

بانتقام وحصل على ما هو أكثر...

وقع بالحب، نال ثقة ضحيته أو

بالأحرى ضحاياه والأجمل كون

صداقات أدخلت السرور الى قلبه ولو

أنه ممثل فحسب... ممثل أجاد دوره

حد الاتقان!

بعد العرض السحري الذي قدمه في

حفلة سمر عاد الى عرينه يرسم

خططه الجديدة، قرأ بضع صفحات

من كتب مختلفة ثم شغل موسيقى

هادئة مصحوبة بكأس شاي ساخن

وكرسي هزاز يوفر أجمل مكان

للاسترخاء... وكم كانت جلسة

رومانسية مع ذاته لولا قدوم مفسدة

اللحظات الحميمية في الوقت

المناسب!

لم يفتح عينيه المغمضتين حتى وهو

يسألها بخفوت:

-أليس لديك منزل يأويك بدل

التطفل على الآخرين...

جلست على أريكة مقابلة واضعة

ساقها فوق الأخرى والنبرة مستفزة:

-ما الذي تريده بالضبط جاسر، فاتن

أم سمر؟

فتح عينا واحدا وابتسامة لعوب تزين

ثغره:

-أوليس التعدد حقا مشروعا؟

هزت رأسها بيأس وواصل هو باستفزاز:

-خسرت ابراهيم للمرة الثانية ميرنا...

رمقته بحدة فواصل غير مبال

لنظراتها المشتعلة:

-أنا متيقن أنك رأيت غيرته هذه

الليلة حين طلبت يد فاتن أمام

الجميع... ابراهيم لم يعد يهتم بسمر

قدر ما يهتم بفاتن وهي تبادله نفس

الشعور لكن تمسكهما بمبادئهما

التافهة يمنعهما من رؤية ذلك...

سألته بعدم فهم:

-ان كانت تبادله الشعور كما تقول

فلم تقدمت لطلب يدها وما أدراك

أنها ستوافق؟

ارتشف قليلا من الشاي متابعا بثقة:

-في البداية سترفض متعللة أنني

انسان جيد ولن ترغب بجرحي

لكنني سأواصل الضغط عليها حتى

تستسلم وتوافق، حينها سأتزوجها

بسرعة قبل أن يتصرف ابراهيم بأي

شئ وأقتلها ليلة الزفاف وطبعا في

نفس الوقت سأجعل سمر تكرهه

وتتركه حينها كوني ذكية

واحصلي عليه بنفسك...

بدا أنها لم تستوعب كلامه جيدا

لذلك واصلت سؤاله ببلاهة:

-لكنك ستسجن بعد قتلها...

رفع حاجبه الأيمن بمكر قائلا

بحقد دفين:

-ليس ان جعلتها تنتحر بنفسها...

وانتهى الحوار بانسحاب ابليس من

بينهما بعدما تعلم منهما دروسا

جديدة قيمة!

الفصل السادس عشر

تعتبر الثقة في علاقة البشر حجر

الأساس ويتبعها الاحترام، أما باقي

المشاعر فتأتي تلقائيا ولذلك تجد

أن كل انسان يسعى لكسب ثقة من

حوله قبل سعيه لنيل الحب والعشق...

وهي وثقت واحترمت وأحبت حد

العشق والوله، سلمت أمرها لآسر قلبها

ورضخت لغيرته وحب التحكم الذي

يسيطر عليه لكنه وعلى ما يبدو لا

يهتم؛ أو على الأقل لم يعد كذلك!

في حفلة عيد ميلادها تعمدت ارتداء

فستان ضيق يفصل خصرها النحيل،

تمادت في وضع زينة وجهها ومع ذلك

لم يعلق، بل لم يلاحظ حتى... حين

وصوله قدم هديته مع قبلة باردة

على ظهر يدها وتجاوزها نحو الضيوف

يدعي انشغاله معهم لكن شروده

الواضح فضحه...

هل يمكن أن يكون حدس ميرنا

صحيحا؟

تنهدت بعمق وهي تسترجع كلمات

ميرنا العفوية قبالة بداية الحفلة

بقليل، كانت تنهي آخر لمساتها حين

سألتها:

-ألا تجدين اهتمام ابراهيم بفاتن

زائدا عن اللزوم؟

توقفت عن تلميع شفتيها والتقت

العيون في المرآة، واحدة واثقة

متأكدة والأخرى حائرة مترددة

والحيرة انبثقت عنها ابتسامة مرحة:

-ابراهيم يهتم بها كما يهتم بك

تماما...

هل عنت ذلك فعلا؟... أم أنها فقط

أرادت ابعاد التهم عن خطيبها وزوجها

المستقبلي؟... هل بدأت هي الأخرى

تشك بهما كما تفعل ميرنا؟...

لكن فاتن صديقتها منذ سنة ولم تر

منها ما يؤذيها...

فتحت صنبور المياه وأخذت تغسل

وجهها لتمسح عنه آثار النوم ثم

اعتدلت في وقفتها تطالع المرآة

أمامها، تساءلت بداخلها عن سبب هذا

الشك الذي يراودها منذ فترة لكنها

لم تستطع ازاحته عن تفكيرها...

ابراهيم قل اهتمامه بها في الآونة

الأخيرة وأصبح حديثه يبدأ بفاتن

وينتهي بها أما وسطه فلا يخلو منها

وهذا في عرف كل أنثى... خطر!

جففت وجهها وعادت الى غرفتها

تبحث عن هاتفها لتتصل بخطيبها

المبجل، طلبت الرقم فسمعت صوت

موظفة الخدمات تبلغها أن الرقم

مغلق، تنهدت بيأس وجلست على

حافة سريرها تفكر بحل ينهي

هواجسها ويذهب خوفها من فكرة قد

تكون ظالمة لغيرها قبل نفسها...

هزت رأسها بعنف وقامت ترتدي

ملابسها استعدادا للخروج، أخذت

هاتفها ومفاتيحها وخرجت من المنزل

لتتفاجأ بوجود ميرنا بالأسفل، سألتها

عن سبب قدومها المبكر والجواب

كان بسيطا لا مباليا:

-استقلت من العمل فلم أشأ العودة الى

المنزل...

ضيقت سمر عينيها بتشكيك واضح

لكن ميرنا أصرت على موقفها لفترة

طويلة قبل أن تستسلم:

-حسنا لقد طردت بسبب عدم التزامي

بالوقت...

انفجرت الأخرى ضحكا وجذبتها من

يدها نحو محل لصنع الحلويات التي

تعشقانها...

****

وأحيانا أخرى يتمادى الانسان في

رغباته وطموحاته حد نسيان حدوده،

لا يكتفي بالثقة الممنوحة له ويعى

للحصول على المزيد حد الاصابة

بالعمى!

والعمى في هذه الحالة ليس فقدان

البصر بل الادراك، حيث يتحول

لشخص لا يلاحظ ما يفعله من أشياء

خاطئة تتعارض ومبادئه...

لكنها ولحسن الحظ لم تصل الى

تلك الدرجة بعد، صحيح أنها

أخطأت وأحبت من ليس لها لكنها

بالتأكيد لن تخون العهد والصداقة

أو تحول نفسها لمجرد فتاة تثير

الشفقة...

زادت من سرعة سيارتها علها تصل الى

مكتبها وتنغمس في عملها فتنسى

ابراهيم وجاسر وليلتها السوداء برفقة

عمتها التي تفهمت حالتها ولم تكثر

من الأسئلة حين استيقظت محطمة

الجسد صباحا، فتحت باب المكتب

وخلفه ظهر جاسر بجلسته المتبخترة

على أريكته المفضلة، ألقت السلام

بابتسامة وجلست قبالته تسأله عما

يريد شربه، طلبت قهوة له ولنفسها

كأس عصير بارد قد يرخي أعصابها

المتوترة لكن جاسر أصر على

ارباكها أكثر بنظراته المتفحصة

لذلك قررت الانتهاء من الموضوع

بسرعة ولو كان الثمن صداقته...

بادرت الحديث بهدوء:

-جاسر بالنسبة لعرضك...

-ترفضين...

بثقة كبيرة قاطعها ولم تجد ما ترد

به فآثرت الصمت، أما هو فقد قرب

فنجان القهوة من شفتيه يرتشفها

بتلذذ قبل أن يكمل:

-هناك هالات سوداء تحيط بعينيك

الجميلتين، أتمنى ألا أكون سببها...

تحسست أسفل عينيها بأطراف أنامها

مجيبة باحراج:

-كلا... لا تقلق أنا بخير

واصل حديثه بابتسامة لطيفة على

شفتيه:

-حين عرضت عليك الزواج كنت

أعلم أنك سترفضين ومع هذا غامرت

وسألت... حين رأيتك أول مرة في

الحديقة انجذبت الى رقة تعاملك

مع طيور الحمام ووجدت نفسي أبحث

عن طريقة لمحادثتك لكنك

صددتني، بعدها وجدت مكتبك

وقررت تغيير مكتبي كحجة

للتعرف عليك ومنذ ذلك الوقت وأنا

أحاول جاهدا الوصول الى قلبك

والذي على ما يبدو سبقني اليه

غيري...

لم تستطع اخفاء دهشتها من جملته

الأخيرة فأردف بحسرة:

-أعتقد أنني محق أليس كذلك؟

ولا جواب يذكر!

سألها من جديد لكن بطريقة

مباشرة أربكتها:

-تحبين ابراهيم صحيح؟!

وقفت فجأة تحدثه باستنكار:

-كيف تقول كلاما كهذا؟...

ابراهيم سيتزوج سمر ويستحيل أن

أفكر بخيانة صديقتي المقربة...

رفع حاجبا واحدا متسائلا ببرود:

-ولم كل هذا الانفعال؟

تراجعت للخلف محاولة تكوين

جملة مفيدة تدافع بها عن نفسها

لكن جاسر سبقها بضحكة مرحة:

-أمزح فاتن ما بك؟

الآن لم تعد تدرك الجد من المزاح!

عاودت الجلوس أمامه بكل الهدوء

الذي استطاعت جمعه وسألته بخفوت:

-ما الذي تريده جاسر؟

وبنبرة أشبه بالفحيح كانت الاجابة:

-أنت...

لأول مرة منذ عرفته يخيفها، تلك

اللمعة بعينيه ونبرته القاسية جعلتا

بدنها يقشعر.. ضيقت عينيها بعدم

فهم وأكمل الضحك وكأن شيئا لم

يكن:

-أخبرتك أنني أريدك فاتن...

وأضاف بجدية تدعو الى الخطر:

-أريدك زوجتي...

ثم وقف مردفا بمشاكسة:

-لكن وبما أنك ترفضين فليس

باليد حيلة...

وغادر بعدما غمزها بخبث في حين

تسمرت هي بمكانها غير قادرة على

فهم ما يجول بخاطره...

***

الفضول عامل مهم لاكتشاف

الحقائق حيث يقود عملية البحث الى

غاية الامساك بطرف الخيط الذي

يشكف الصورة الحقيقية مبددا

عنها الالتباس الذي ألم بها لمدة

طويلة...

وبفضل فضوله استطاع الامساك

بطرف الخيط في قضيته، حصل على

مذكرات الشخصية الرئيسية ووجد

اسم صديقة خطيبته لكنه جاء

مقرونا باسم قاتل!

قام من فراشه بتكاسل وارتدى

ملابسه على عجل حين انتبه الى

الوقت الذي قارب منتصف النهار،

يبدو أن سهره ليلة أمس جعله ينام

كالأطفال...

فتح هاتفه وطلب رقم سمر، استغرب

عدم وجود رسائل منها كما عودته

لكنه لم يطل التفكير اذ جاءه

صوتها والسعادة تطغو عليه... سعادة

ليس هو سببها بالتأكيد!

-الجميلة سعيدة اليوم... هل لي أن

أعرف السبب؟

أجابته برقتها التي عهدها منها:

-خرجت مع ميرنا الى حديقة التسلية

واستمتعنا كثيرا...

وضع الهاتف بين كتفه وأذنه بينما

يغلق زر أكمامه متسائلا بجدية:

-أين أنتما حاليا؟

أهذه غيرة؟!!

أجابته ببرود:

-أخبرتك أننا في حديقة التسلية...

-حسنا اذا دعينا نلتقي وأحضري ميرنا

معك...

ألقت نظرة على صديقتها المنهمكة

في التصويب على بطن دب خشبي

مرددة:

-سنعود بعد ثلاث ساعات...

وقبل أن يتحدث أو يعترض أغلقت

الخط ونزعت بطارية الهاتف،

ابتسمت بمكرر هامسة لنفسها:

-العين بالعين والسن بالسن سيد

ابراهيم...

على الجهة الأخرى كان ابراهيم

ينظر الى هاتفه بعدم فهم؛ ما الذي

حدث لها فجأة لتحدثه بكل هذا

البرود؟!

هز رأسه بيأس وخرج من الفندق

بعدما دفع ثمن فاتورة اقامته وفطوره

الشهي، استقل سيارته وقاد باتجاه

مكتبه وحين وصل لم يترجل، تأمل

المقود قليلا ثم أداره باتجاه معين

دون محاولة لادراك ما يفعله أو ما

ينتويه حتى...

صف سيارته خلف سيارتها وصعد الى

طابق مكتبها، طلب من مساعدتها

اعلامها بقدومه وجلس ينتظر الاذن

بالدخول...

دقت مساعدتها الباب وأطلت برأسها:

-آنسة فاتن السيد ابراهيم يرغب

برؤيتك...

ارتبكت لوهلة ثم أمرتها بالسماح له

بالدخول، بعد مغادرة مساعدتها هبت

واقفة أمام مرآتها تعدل هندامها

وتتأكد من جمال مظهرها... طرق

الباب بنفس النغمة وسمحت له

بالدخول، جلس أمامها طالبا كأس

شاي بلا سكر ودخل في صلب

الموضوع مباشرة:

-هل وافقت على عرض جاسر؟

أيمكن أن تلك لهفة!.. غيرة؟!

صمتت مطولا تدرس الاجابات

المتاحة أمامها الى أن انتهت بكذبة:

-ليس بعد لكن أعتقد أنني سأفعل...

ردد بصوت عميق استشعرت فيه

الاستياء:

-كنت أعلم أنك تحبينه منذ زمن...

ما بال الاثنين بحق الجحيم!

كلاهما يتهمها بحبها الآخر ويؤكد

فرضيته بكل ثقة!!

سألته بسخرية:

-هل حبي له واضح الى هذه الدرجة؟

ألا تستحي من نفسها لتدعم نظريته

بدل تفنيدها ورفضها؟!!

بدا الامتعاض على وجهه فجأة وهو

يكز على أسنانه بشدة:

-حتى الأعمى يستطيع معرفة

ذلك...

ضحكت باستهزاء ومالت على سطح

المكتب بعينان ثاقبتان:

-اذا هو أسوأ من الأعمى...

كور قبضتيه حتى ابيضت مفاصله

متسائلا:

-ألم يلاحظ ذلك بعد؟

-لم ولن يفعل...

-اذا هو غبي جاهل

-وأسوأ من ذلك بكثير...

وعند هذا الحد توقف، وقف مغادرا

وعلى بعد خطوتين من الباب استدار:

-لا تتزوجيه فاتن؟

وقفت تدور حول مكتبها بسؤال

واحد:

-ولم لا أفعل؟

خطا نحوها بتمهل مجيبا بانفجار لا

يتناسب وخطواته:

-لأنني أريدك لي...

صرخت بجنون هستيري:

-أخرج من مكتبي حالا... كيف

استطعت قولها؟... كيف استطعت

خيانة سمر؟!! أنت ح...

وضاعت الشتيمة بين التحام الشفاه

المباغت دون ادراك للمتفرجتين

بذهول عند الباب!

الفصل السابع عشر

من المعروف أن الصداقة عبارة عن

علاقة بين شخصين جمعهما

احترامهما واخلاصهما لبعضهما

البعض ومن المعروف أيضا أن لكل

قاعدة حالات شاذة تتمرد على

القوانين...

صداقتهما بدأت بصدفة مدبرة من

شقيقة المغدور به حسب اعتقادها،

شهور من البحث قادتها نحو حبيبة

الرجل المراد الانتقام منه وانتهى

الأمر بانشاء صداقة... أو ربما كانت

البداية لا يهم؛ المهم أنها فازت بثقة

الحبيبة وتقربت من العدو خطوات

كبيرة، دخلت حياته من بابها الواسع

واحتل قلبها في خضم صراع

تفكيرها حول الانتقام...

وككل أنثى، حين تحب، ازدادت

نسبة غبائها وأصبحت عواطفها

تتحكم بها، بدأت تغار من الحبيبة

التي تحولت لخطيبة وازداد الأمر

تعقيدا بدخول فاتنة على الخط

لكنها بالتأكيد لن تتراجع، ليس

بعدما أصبحت قاب قوسين أو أدنى

منه، وكما استطاعت الفاتنة اشعال

نيران غيرته بعيدا عن السمراء

الآسرة ستجعله يذوق طعم حب آخر

ولو كانت المرة الثالثة!

خطتها هذه المرة واضحة ولا مجال

للخطأ؛ ستضرب عصفورين بحجر

واحد، بل لا داعي للحجر من الأساس،

ستضرب العصفورة بأختها وهكذا

تتخلص من كليهما وتحتفظ بالحجر

بينما تحصل على الشجرة كاملة!

استيقظت منذ الصباح الباكر

واتجهت نحو صديقتها طالبة منها

الخروج والتنزه، سعدت الأخرى

بالعرض وقبلت الدعوة برحابة صدر،

تناولنا الفطور على ضفة النهر برفقة

طيور النورس ثم قررنا الذهاب الى

مدينة الألعاب أين تحولنا لطفلتين

بريئتين لم تذوقا طعم الحب أو

تختبرا شعور الغيرة الحارق حتى رن

الهاتف.. والمعروف أن اللحظات

السعيدة تنتهي بعد ذلك الاتصال.

بعدما علمت ميرنا أن ابراهيم اتصل

فقدت حماسها للعب وكذلك سمر

لذلك جلستا على مقعد خشبي كل

تسبح في أفكارها الخاصة، ارتفع

صوت الهاتف من جديد لكن هذه

المرة كان هاتف ميرنا الذي أعلم عن

وجود رسالة، فتحتها بملل وفجأة

التمعت عيناها بمكر؛ جاسر يخبرها

أن ابراهيم عند فاتن!

أعادت الهاتف الى حقيبتها ثم هتفت

بتحسر:

-نسينا احضار فاتن معنا، المسكينة

لا تكف عن العمل...

لاإراديا امتعضت سمر من حديثها رغم

أن فاتن لم تخطئ معها بشئ، التزمت

الصمت وأصرت ميرنا على زيارتها

وأخذ بعض الطعام لها فهي أصبحت

هزيلة مؤخرا. أذعنت سمر لرغبتها

ومسحت الظنون عن رأسها، همست

لنفسها بتأنيب:

-فاتن صديقة رائعة، دائما ما وقفت

جانبي رغم قصر عمر صداقتنا

فكفي عن تشويه صورتها بسبب

وساوس تعلمين مسبقا أنها وهمية...

وانقادت خلف ميرنا باتجاه مكتب

فاتن الذي لم يكن بالبعيد جدا،

حين توقفت السيارة أبدت ميرنا

اندهاشها العفوي:

-انظري سيارة ابراهيم هنا..

للمرة الثانية تكتم سمر غيظها

بداخلها، ادعت اللامبالاة وترجلت من

السيارة في حين ابتسمت الأخرى

بنصر. صعدتا السلم واتجهتا نحو

المكتب مباشرة فالمساعدة تعرفهما

ولن تحتاجا الاذن للدخول لكن على

بعد خطوتين تجمدت سمر وهي تسمع

جملة ابراهيم:

-لا توافقي فاتن...

قابله سؤال فاتن المتهكم:

-ولم لا أفعل؟

بعدها انفجر ومعه انفجر قلبها

لملايين القطع الغير قابلة للجمع أو

الترميم:

-لأنني أريدك لي فاتن...

لم تستطع التحمل واقتحمت المكتب

تتبعها صديقتها حين كانت فاتن

تصرخ بهسيريا طالبة منه الخروج

والأدهى أنها نعتته بالخائن لسمر

لكنه لم يبال مثقال ذرة بل أخرس

شتيمتها بشفتيه! وأمام ناظريها

هي!!... خطيبته!!!

***

البعض يؤمن بالصدف والبعض الآخر

لا يؤمن سوى بالقدر وهو شاكر

لكليهما!

بعدما خرج من مكتبها قاد سيارته

بهدوء حين التقط صورة ابراهيم

المنعكسة على مرآة سيارته، توقف

مباشرة وعاد أدراجه حيث توقف في

مكان بعيد بعض الشئ حتى لا يراه

أحد، هاتف ميرنا بسرعة ودعا اللّه

ألا تضيع تلك الغبية هذه الفرصة

كما هي عادتها دائما ثم أخرج

جهازه الالكتروني وجلس يشاهد ما

سيحدث بالداخل.. لحسن حظه فاتن

لم تنتبه لوجود عدسات التجسس في

مكتبها بعد...

تابع ما يحدث بتركيز شديد حتى

وصلت الفتاتان، لم تلحظ سمر وجوده

لكن ميرنا فعلت، تبادلا ابتسامة

نصر وصعدت خلف سمر بينما ظل هو

يراقب ما يحدث عن كثب... وقوف

سمر أمام الباب أزعجه حد اشعال

رغبة القتل بداخله...

لم تصر الفتيات على ملاحقة من لا

يأبه بهن بينما هناك آخرون غيره

مستعدون للتضحية بأنفسهم ان لزم

الأمر؟

تخطى مرحلة جنونه وعاد يتفرج

باهتمام؛ ابراهيم يصرخ وفاتن تبادله

الصراخ، سمر تنهار وميرنا تستمتع أما

هو فيكاد يجن!

بالحديث عن الجنون يبدو أن ابراهيم

قد فقد عقله، تهوره جعله يقبل فاتن

في نفس اللحظة التي دخلت فيها

سمر.. للمرة الثانية تخدمه الصدفة

بالتعاون مع القدر..

ويا لها من خدمة!

ابتسامة واسعة ارتسمت على شفتيه،

توقع أن تغضب سمر بسبب تواجد

ابراهيم في مكتب فاتن لكنه قطعا

لم يتوقع أن يسعفه الحظ الى هذه

الدرجة... انها النهاية... نهاية سمر

وابراهيم معا ، لن يستطيع اللعب

بعقلها هذه المرة، لا مبرر لفعلته

وسيحرص بنفسه على عدم نيله

الصفح أو الغفران منها...

اللعنة... انه سعيد أكثر ممن حصل

على القبلة!

***

منذ الأزل والمرأة تعرف بالعناد في

الحب؛ تكابر، تأبى وتترفع وهذا ما

يجعل الرجل يهيم عشقا بها في

البداية أما النهاية فهي قصة أخرى...

عاندته وأصرت على قبول طلب الزواج

الذي يرفضه بلا سبب، هي لا تفهم...

وكيف تفهم ان كان هو نفسه لا

يفهم!

وبما أن الفهم صار أمرا مستعصيا على

كليهما فليبسط الأمر بطريقة أسهل

وأقرب للاستيعاب، طريقة ستخرس

ثرثرتها واندفاع شتائمها من بين بين

شفتيها الشهيتين.

بحركة خاطفة أسر وجهها بيديه

وكما تخيل تماما، الثرثرة انتهت

لكن مأساته بدأت!

بعنف يتناقض مع رقتها دفعته بعيدا

عنها ولم تتوقف هنا بل تمادت ورفعت

يدها تصفعه ثم أخذت تضرب صدره

بنفس العنف صارخة:

-حيواااااان

أمسك قبضتيها يقيد حركتها

بصعوبة لكنها واصلت الضرب

والشتم دون انقطاع، صمته استفزها

ويديه تقيدان حركتها فما كان

منها الا أن رفعت ركبتها بقوة لتستقر

بين ساقيه. صرخ بألم مبتعدا عنها

حين انتبهت لوجود زائرتين بلا موعد

مسبق...

سمر تتابع ما يحدث بملامح ميتة

وميرنا تكتم ضحكتها بصعوبة

بينما تشاهد ابراهيم يتلوى من

الألم... اقتربت فاتن خطوة مترددة:

-سمر أنا لم أفعل شيئا صدقيني... هو

من...

ولم يكن هناك داع للاكمال فسمر

قد غادرت بعدما رمقت ابراهيم

باشمئزاز، تبعتها ميرنا وهرولت فاتن

خلفها ترجوها التفهم، حتى ابراهيم

استعاد رباطة جأشه وتبعهن ولو أن

مشيته لا تزال تعرج...

وصلت سمر الى الأسفل فوجدت جاسر

على وشك الدخول، تمسكت به

كطفل تائه يريد أمه:

-جاسر خذني من هنا أرجوك...

وببراءة متقنة سألها عن المشكلة

فامتنعت عن الجواب لذلك أذعن

لرغبتها دون مناقشة، أركبها في

سيارته التي رصها بقرب المدخل

تحسبا لموقف كهذا وأغلق الباب

بهدوء.. وصلت فاتن اليهما تعيد

كلامها بهذيان ادعى أنه لم يفهم

منه شيئا ، ثم وصل ابراهيم الذي

حاول محادثتها عبثا... ميرنا الوحيدة

التي فضلت المشاهدة بصمت وانتظار

الفرصة المناسبة؛ جاسر سيأخذ سمر

وفاتن لن تتحمل رؤية أحد أما

ابراهيم فسيحتاج لمرافقة...

وأين سيجد أحسن منها رفيقا!

في اللحظة التالية وقف جاسر بين

ابراهيم والسيارة محاولا تهدئته:

-لا أعلم ما حدث بينكما لكنها

منهارة وحديثكما لن يعود سوى سلبا

عليكما، دعها تبتعد قليلا علها تهدأ

وبعدها قل لها ما شئت...

لم يقتنع ابراهيم تماما لكنه وافق

على مضض، تراجع للخلف متابعا

حركة ابتعاد السيارة عنه والغريب

أنه لا يشعر بالذنب... هو فقط أراد

الاعتذار عن خيانته لكنه حتما لا

ينوي مصالحتها...

**

الأزمات تظهر معادن البشر أو على

الأقل تعري مشاعره الحقيقية.

لكم انخدعت به وبحبه المزيف

الذي أوهمها به، كم كانت ساذجة

لتمنحه كل تلك الثقة وفي الأخير

ماذا؟... خانها بكل خساسة..

الحقير!

في السيارة حاولت الحفاظ على ماء

وجهها، منعت نفسها من البكاء أمامه

وادعت قوة لا تملكها لكنه أذكى

منها، ظل يسأل وهي تجيب باقتضاب

الى أن أمرها بكل حزم:

-ابك يا سمر... أخرجي هذه المشاعر

السلبية من داخلك...

لم تستجب وواصل الضغط الى أن

انفجرت فأوقف السيارة على جنب

وناولها علبة المحارم الورقية،

التقطتها منه وراحت تجفف عينيها

ووجهها الملطخ بزينتها بعدها قصت

عليه ما حدث، أخبرته عن الخيانة

التي رأتها بأم عينها وعن ألمها الذي

يلتف بقلبها وروحها.. وهو استمع

بكل هدوء وتركيز، منحها اهتمامه

الكامل حتى شعرت بالأمان وهدأت،

شكرته برقة والتزمت الصمت بعدما

طلبت ارجاعها الى المنزل وهو

كالعادة لا يرفض لها طلبا، أعادها

الى المنزل وغادر بعدما أخبرها

بالوصايا العشر...

في طريق عودته اتصل بميرنا يتقصى

الأخبار لكنها أغلقت الخط بوجهه

وأرسلت رسالة تخبره عما حدث

بايجاز:

-بعد مغادرتكما عادت فاتن الى

مكتبها وذهبت مع ابراهيم، حاليا هو

صامت كالصنم ولا شئ جديد..

ابتسم بخبث مرددا:

-أتمنى ألا تضيعي فرصتك هذه

المرة...

ثم أدار مقود سيارته نحو المكتب

الشهير، بوقت قصير كان أمام

المدخل وبوقت أقصر كان يقف

أمامها ، بهيئتها المنهارة وعيناها

الشاردتان.. تنحنح قليلا يشعرها

بوجوده فرفعت عينيها الحائرتين

نحوه، حوار صامت دار بين أعينهما

قطعته بسؤال لا حياة فيه:

-عرضك لا يزال قائما؟

وهذا ما لم يحسب حسابه الآن!

درس خياراته بسرعة، ان أجاب بنعم

قد يخسر سمر وان أجاب ب لا سيخسر

انتقامه... ما العمل؟!

لكنه حسم أمره بايماءة توحي بنعم

فعاجلته كأنما تخشى تغيير قرارها

أو قراره:

-وأنا موافقة على الزواج منك

الفصل الثامن عشر

التهور عواقبه وخيمة وغالبا ما

يصاحبه الندم لكنه قطعا لا يشعر

بأي ندم، حتى لوعاد به الزمن للوراء

لأعاد مافعله مرة بعد مرة حتى تفهم

صاحبة الرأس العنيد أنها لن تكون

لغيره...

حركة خفيفة إلى جانبه ذكرته

أن ميرنا برفقته في السيارة، يبدو أنها

أرسلت رسالة إلى سمر ...حسنا لا

يهم سيحل مشكلة سمر لاحقا حين

تهدأ الأوضاع...توقف إلى جانب

الرصيف و إستدار إليها نصف إستدارة:

-سمر بحاجتك أكثر مني ميرنا...

انتبهي إليها

ودت لو تضرب رأسه بأي شيئ تطاله

يداها لكنها رسمت

إبتسامة مؤيدة على وجهها و همت

بالنزول حين أوقفها فجأة:

-مهلا لحظة...

تهللت أساريرها بفرح وظلت على

صمتها بإنتظار ما سيقوله، تأملها

للحظة ثم سألها بهدوء:

-إسمك ميرنا بيتر صحيح؟

هزت رأسها بنعم رغم عدم فهمها

فأكمل بنفس الهدوء:

-ما علاقتك بتوفيق بيتر؟

وكما توقع تماما، ملامحها فشلت في

إخفاء الصدمة ولونها أصبح شاحبا

حتى خيل له أنها ستموت في أية

لحظة.. ضحكت بخفوت في محاولة

يائسة منها لتبدو طبيعية متسائلة:

-و من يكون توفيق هذا؟

ضيق عينيه بريبة فارتبكت اليها

اقترب وتراجعت ثم همس جوار أذنها

بتشكيك:

-رجل يحمل نفس اسمك...

وبين لحظة وأخرى استعادت برودها

وثقتها المزعومة بنفسها، ابتسمت بلا

مبالاة مجيبة:

-لابد أنها محض صدفة...

ثم خرجت من السيارة متحججة

بحاجة سمر اليها، لم يظهر على

وجهه أي تعبير وهو يدير مقوده

بالاتجاه المعاكس، زاد سرعته

وبعقله نية انهاء ما بدأه...

صعد درجات السلم بسرعة وقبل أن

يفتح الباب سمع صوت فاتن المتسائل:

-ألا يزال عرضك قائما؟

عن أي عرض تتحدث؟.. ومن هذا الذي

تحدثه أصلا!!

وقبل أن ينهي أفكاره جاءه صوتها من

جديد:

-وأنا موافقة على الزواج منك...

هل بدأت تبحث عن طريقة لانهاء

حياتها أم ماذا؟

أخذ نفسا عميقا وفتح الباب متسائلا

بسخرية:

-شفتاك لم تجفا بعد من قبلتي

وبهذه السرعة تريدين الزواج من

آخر...

طالعه جاسر بغموض بينما اندفعت

هي نحوه بشراسة، رفعت يدها بنية

صفعه مجددا لكنه أسر كفها في

الهواء ومال على أذنها بزمجرة:

-لا تسلم الجرة في كل مرة فاتنتي...

دفعته في صدره بعنف صارخة:

-أخرج من مكتبي... لا أريد

رؤيتك... أخرج...

وبنفس البرود سألها:

-أهكذا تعاملين من يحبك ويريد

الارتباط بك؟

ويا لها من جملة تشرح الصدر!

كلماته أشعلت فتيل غضبها

فصرخت:

-اخرس... اياك أن تقول أي شئ

آخر... اخرررررررس

في هذه اللحظة تدخل جاسر منهيا

الصراع بحكمته المعتادة:

-توقفا كلاكما...

زجره ابراهيم محذرا:

-لا دخل لك جاسر... ابق خارج الموضوع...

بهدوء مستفز وقف بينهما كحاجز يمنع الرؤية، بادله النظرة بأخرى أشد قسوة قائلا من بين أسنانه:

-عرضت عليها الزواج وهي وافقت

لذلك من الآن فصاعدا أي اقتراب

منها سأعتبره تعديا على شرفي...

بدا الثلاثة مصدومين من الحديث،

حتى جاسر نفسه لم يصدق هذا

الهراء الذي خرج منه للتو أما فاتن

فقد أسكرتها رجولته المدافعة عنها

حد اقتناعها بصواب ما قامت به!

قطع ابراهيم الصمت ببرود:

-عرض جيد، تمنيت لو أن سمر معنا

لترى شهامتك...

والصدمة هذه المرة فاقت كل

حساب...

سأله بتوجس:

-ما الذي تقصده؟

ابتسامة عريضة زينت ثغره لدى

يقينه أنه أصاب الهدف، وضع يديه

في جيوب بنطاله وأخذ يدور بتمهل

شديد حولهما:

-أقصد أن نظراتك العاشقة لها

واضحة وضوح الشمس في كبد

السماء... في البداية انزعجت لكن

مشاعري نحو فاتن جعلت الأمر أهون

بالنسبة لي...

ولأول مرة يفقد جاسر أعصابه ويصرخ

بغضب:

-لم تلاعبت بمشاعرها ان لم تكن

تحبها اذا؟

عاجله الآخر بسؤال:

-أفهم من هذا أنك تعترف بحبك

لسمر بدل فاتن؟!

انتبه لما يفعله فسارع باصلاح ما

أفسده:

-أنا سأتزوج فاتن سواء تركت أنت

سمر أم لا... الأمر لا يهمني...

والجواب كان لكمة!.. لكمة

أفقدته توازنه فسقط على الأرض

يتحسس جانب فمه الذي يقطر دما،

لكن ابراهيم لم يكتفي بل نزل

اليه يمسك بقميصه متوعدا:

-فاتن لن تكون لغيري أتفهم!!

هم بضربه لكن شهقة فاتن

المرتبكة أوقفته، رفع الاثنان

رأسيهما نحوها ثم استدارا الى الباب

حيث يقف رجل والتتمة كلمة...

أبي!!

***

هل يمكن للألم أن يقتل! يعذب!

يفقد الحياة شهيتها!! وهل يمكن

معايشة الأمل؟ أو على الأقل تخطيه!

وما السبيل الى ذلك وهو خلف دمارا

لن تستطيع الأعوام اصلاحه؟!كيف

يمكن لمصدر السعادة أن يتحول بين

ليلة وضحاها الى مضخة للألم!وهل

سيستطيع قلبها العاشق الصمود!!

أسئلة كثيرة راودتها ويا ليتها حصلت

على اجابة واحدة، لكانت على

الأقل هونت الأمر على نفسها... لكن

كيف استطاع قتلها بكل ذلك

البرود؟!

أغلقت باب غرفتها وانهارت على

الأرض تبكي بحرقة؛ بكت حبها

الضائع، قلبها النازف والرجل الذي

نصبت على قلبها ملكا!.. بكت

تضحيات قدمتها بطيب خاطر وأحلام

تخلت عنها باسم الحب... حب انتهى

بقبلة!

مسحت دموعها بأنامل مرتعشة

فانتبهت لتلك الحلقة التي تلتف

ببنصرها كحية تعتصر قلبها،

خلعتها بعنف وألقت بها بعيدا وكأن

مأساتها ستنتهي بتخلصها منها!...

خارت قواها من جديد فأسندت

جسدها المرهق الى الباب ودفنت

وجهها بين ركبتيها المضمومتين الى

صدرها لتنخرط في نوبة بكاء حادة

لم يخرجها منها سوى وصول ميرنا،

ألقت نفسها في حضنها وأكملت

رحلتها مع الدموع عل ألمها يخف أو

ينقص لكن هيهات أن تفعل وفؤادها

منفطر، خلال بكائها المرير كانت

تسأل ميرنا بحرقة:

-لم فعل بي ذلك... وعدني أنه

سيخلص حتى آخر نفس... لماذا...

لماذا؟

ربتت الأخرى على ظهرها برتابة

مهدئة من روعها:

-هوني عليك سمر، بالنهاية هو رجل والرجال خونة!

****

يحكى أن جميع المشاعر اتفقت على لعب لعبة الغميضة واستلم الجنون مسؤولية العد ريثما تختبئ جميع المشاعر التي ذهبت في كل اتجاه، صرخ الكذب بأعلى صوته أنه سيختبئ تحت الحجر ثم دخل في

البحيرة في حين اختفت باقي

المشاعر بصمت.. انتهى الجنون من

العد وراح يبحث عن المشاعر، كان

الكذب أول من انكشف بسبب

اختناقه تحت الماء ثم الحسد

والأمانة وما تلاها حتى انكشفت

جميع المشاعر ولم يتبق سوى الحب،

طالت المدة وغضب الجنون غضبا

شديدا فأخبره الحسد أن الحب

موجود بداخل جذع شجرة، أخذ عصا

وراح يدخله داخل الشجرة حتى خرج

الحب باكيا متألما حيث أن العصا

فقأت عينيه فلم يعد باستطاعته

الرؤيا!.. ندم الجنون لما قام به وشعر

بتأنيب الضمير فقرر اصلاح خطئه

ومنذ ذلك اليوم والجنون يلازم الحب

الأعمى...

وهو أحب وأصيب بالعمى وفي الأخير

جن وفقد عقله ثم أحرج نفسه... ويا

له من احراج!

فقد أعصابه فانهال على منافسه

بلكمة ووالد المنافس عليها شاهد

ومتفرج....وضاعت الفرصة الى الأبد!

وقف يضبط هندامه وجاوره جاسر

كتلميذين ضبطا بالجرم المشهود

من طرف مدير مدرستهما، تقدم آدم

من ابنته بسؤال حازم:

-ما الذي يحدث هنا؟

ارتبكت ولم تجد ما تقوله فاستدار

ناحية الشابين ويداه خلف ظهره:

-هل لي أن أعلم لم تتناطحان

كثورين في مكتب ابنتي؟

ابتلع الاثنان الاهانة بصعوبة لكن

جاسر قرر قلب الموقف لصالحه، نظر

نحو آدم قائلا بثقة:

-أريد طلب يد ابنتك يا عم...

تساءل ابراهيم ما اذا كان يلعب

بعداد عمره ووجه له تهديدا مبطنا:

-أخبرتك أن فاتن لي...

وقبل أن يعترض قاطعهما آدم ببرود:

-وابنتي لن تكون لكليكما...

بامكانكما المغادرة...

حاولا الاعتراض لكنه رفض أي

نقاش بصرامة ما جعل جاسر يتراجع

مؤقتا لكسب وقت اضافي في حين

اختار ابراهيم المواجهة، وقف أمامه

منتصبا وقال بتحدي:

-ان لم تزوجني فاتن برضاك

سأختطفها وآخذها رغما عنك



الفصل التاسع عشر

"أتحدى من الى عينيك، يا سيدتي،

قد سبقوني يحملون الشمس في

راحاتهم وعقود الياسمين... أتحدى

كل من عاشرتهم من مجانين"

نزار قباني

بين الحب والتحدي خلطة أفلام

تمنحك القوة، تمدك بالشجاعة

وتذلل الصعاب أمام وجهك لتشق

طريقك نحو الهدف.. خاصة اذا

كان الهدف امرأة!

والمرأة في عرف الرجال غالبا ما

تعتبر خطا يرسم بالدم وأي تخطي له

يستلزم اراقة دماء حتى آخر قطرة...

وبما أن صديقه سبقه وطلب يدها

والغبية وافقت فما عليه سوى

استعمال القوة ولو كلفه ذلك

مواجهة والدها الذي يناظره ببرود

الآن، فما ان ألقى بتهديد الخطف

حتى عم السكون المكان إلا من

أنفاسه المتلاحقة وكأنه كان

بصدد العدو، فتبلته فاجأت الجميع

بمن فيهم هو نفسه لكن لم يعد

هناك مجال للشك أو التراجع...

قطع الصمت بنبرة هادئة باطنها

رجاء:

-أنا أريد ابنتك سيدي، ما قلته قبل قليل كان اندفاعا شبابيا لابد أنك جربته من قبل لذلك أرجو منك ألا تحكم علي من تصرف واحد...

سأصون ابنتك وهذا وعد شرف لكنني لن أتحمل ارتباطها بآخر ولو كان أخي...

مع آخر كلماته التفت نحو جاسر الصامت، ذلك الرجل الغريب، كيف

يستطيع الحفاظ على برودة أعصابه

بهذا الشكل؟!

تقدم آدم خطوتين نحو الباب الموارب

وفتحه على مصراعيه ثم أشار لهما

بالخروج فلم يجدا بدا من الامتثال،

خرج جاسر أولا وتبعه ابراهيم بعدما

ألقى نظرة أخيرة نحو فاتن المتابعة

بذهول...

أغلق آدم الباب خلفهما واستدار الى

ابنته عاقدا ذراعيه أمام صدره:

-ما هذه المهزلة فاتن؟والسؤال كان

عبارة عن زعقة.. زعقة لم يخاطبها

بها يوما!

تلعثمت وانعقد لسانها فعجزت عن

ايجاد رد مناسب، طأطأت رأسها بخجل

من الموقف ثم همست:

-أنا آسفة...

-وهل الأسف يكفي لمسح تلك

المهزلة؟

ولا رد منها فواصل:

-يهددني باختطاف ابنتي!!... يا له

من وقح...

عضت شفتها السفلى بحرج وقلبها

يلعن غباء رجل لا ينبض سوى

باسمه.. جاءها صوته قويا حازما لا

يقبل النقاش:

-اطلبي من مساعدتك تأجيل جميع

المواعيد وعودي الى المنزل.. لا أريد

أن يتم اختطافك فعلا...

رفعت رأسها في محاولة اعتراض

لكنه أخرسها باشارة من يده:

-ماذا هل تريدين مشاهدة فيلم آخر

تكونين أنت بطلته بدور رهينة

ينقذها والدها من رجل يدعي حبها؟

تخضب وجهها بحمرة قاتنة ففضلت

الانسحاب قبل أن يتعمق والدها

بالكلام أكثر.. جمعت حاجياتها

وغادرت أمامه بينما هو يتبعها

كظلها..

في الخارج وقف ابراهيم الى جانب

جاسر يتأملان حركة الشارع بصمت،

أفكارهما متضاربة لا ترسوا أبدا

كأمواج بحر هائج وخططهما تتطلب

تغيرات كبيرة للتأقلم مع ما يحدث..

وكالعادة بادر ابراهيم الحديث

متخذا من الهجوم وسيلة دفاع:

-جاسر فلتعلم أنه لا شئ شخصي بيننا

لكنه الحب يا صديقي وكل شئ

مباح في الحب والحرب...

ضيق جاسر عينيه بتأمل حتى ظن

الآخر أنه فقد قدرته على الكلام

ثم وجه له لكمة خلفت جرحا في

شفتيه، ترنح للخلف من تلك الضربة

المفاجئة لكنه ما لبث أن استعاد

توازنه، عاود الوقوف ومسح خيط

الدم من شفتيه فابتسم جاسر بتشفي

مرددا:

-من لا يأخذ بثأره حمار...

ثم عانقه بقوة هامسا في أذنه:

-وكما قلت لا شئ شخصي...

صداقتنا مستمرة...

وأكمل بتمهل شديد:

-يا صديقي...

بعدها ركب سيارته وغادر يعيد

حساباته الجديدة بينما انطلق الآخر

لانهاء الأمور العالقة...

***

وبما أن المرأة شرف فالابنة حرمة

والتعدي عليها جريمة لا تقل وزرا عن

الأولى...

وصلت المنزل ووالدها خلفها، ركنت

سيارتها في المرآب وصعدت الى

غرفتها تبتغي هروبا من آدم الذي لم

تره يوما بهذه الحالة، لطالما كان

هادئا حكيما ومرحا أحيانا أخرى

لكنه اليوم غاضب والاسباب

الرئيسية والثانوية هي...

أمام باب غرفتها توقفت لحظة، أدارت

رأسها جهة اليمين ثم غيرت وجهتها

الى غرفة عمتها، ملاذها الآمن..

طرقت الباب ودخلت تعض شفتيها

بتوتر، لمحت العمة المنهمكة في

غزل الصوف ملامح وجهها المرهقة

فوضعت ما بيديها جانبا وأشارت لها

بالجلوس، ألقت بجسدها بين أحضان

وفاء قائلة بصعوبة بعدما غلبتها

غصة الدموع:

-تقاتلا في مكتبي وأبي شهد

عراكهما، الغبي تمادى وهدده

بخطفي بعدما...

ولم تقو على المواصلة.. هل تخبرها

أنه قبلها غصبا عنها أمام أنظار

خطيبته وضرب من تقدم لخطبتها

ثم تحدى والدها بوقاحة!!

احترمت العمة صمتها وأخذت تملس

على شعرها بحنان علها تهدأ وتخبرها

بكل شئ دون ضغط لكن دخول ادم

حال دون ذلك، نظر اليهما بعين

ثاقبة ثم أمر فاتن باللحاق به،

تبادلت نظرة مع وفاء وتبعته بقلة

حيلة الى غرفته، أغلقت الباب

وجلست على طرف الفراش منتظرة

العقاب الذي لم يطل كثيرا حيث

دخل في صلب الموضوع مباشرة:

-لن تذهبي الى العمل بعد الآن حتى

أتصرف مع قليل الأدب الذي وجدته

في مكتبك اضافة الى أنني أريد

معرفة كل شئ عنه...

ثم حك ذقنه بتفكير:

-أشعر أنني رأيته من قبل لكنني لا

أذكر أين تحديدا...

تأملها بانتظار الجواب فهمست:

-انه نفس الصحفي الذي كان يكتب

عن عمتي فاتن وزوجها ابراهيم

رحمهما اللّه

وواصلت سرد بعض التفاصيل عن عمل

لدى مقر الجريدة أين يعمل وبعض

المحسنات الأخرى للقصة بعدها

غادرت بسرعة خشية طرحه أسئلة

أخرى قد لا تجد لها اجابة تناسبه

في حين جلس هو على فراشه واضعا

رأسه بين يديه في محاولة لحل

مشكلة ابنته التي وصلت السن

المناسب لتكوين أسرة...

***

"الرجل الذي يفكر دوماً بالانتقام

هو شخص يبقي جراحه مفتوحة"

فرانسيس بيكون

وهل يمكن لفيلسوف انجليزي تخرج

من أحد أعرق جامعات بريطانيا ك

"كامبريدج" أن يخطئ!

وكلاهما يشتركان في نفس طريقة

التفكير، جراحه لا تزال تئن

والتئامها لن يكون الا بجرح من كان

السبب.. أو على الأقل من له علاقة

بمن كان السبب...

عاد الى منزله مبتسما بنصره

الجديد ، ابراهيم قلب خطته رأسا

على عقب لكن البديل أفضل وأجمل

و...

أقسى!

في الأيام الماضية استطاع استراق

النظر الى مذكرات ابراهيم الخليلي

التي يمتلكها صديقه ابراهيم، لم

يقرأ الكثير لكن القليل أكثر من

كاف... تلك الصفحة احتوت على

حادثة اغتصاب زوجة ابراهيم «فاتن»

من طرف والده وصديق يدعى توفيق

ليلة زفافهما... بالتأكيد هو لم

يصدق الحادثة لكن الفكرة برقت

بذهنه كنصل حاد يلمع وسط غرفة

مظلمة، سيساعدهما على الزواج ثم

يسرق حياتهما في أول ليلة.. أجل

سيعيد التاريخ بنفسه وليحترق

الجميع بقاع الجحيم كما احترق هو

طيلة حياته.

وكما جرت العادة، مرينا مهدمة

اللحظات الحميمية مع النفس جاءت

في الوقت المناسب محدثة ضجة لا

تروق له، جلست بمقابلته وأخذت

تسرد تفاصيل انهيار سمر اثر خيانة

خطيبها المبجل لها... بدأت الغيرة

تنهش قلبه لكنه تحكم بأعصابه

بمهارة يحسد عليها، هناك شئ أهم

الآن...

ميرنا!

تلك المتهورة تعشق ابراهيم

وارتباطه بفاتن قد يجعلها تفقد ما

تبقي من عقلها فتفسد عليه خطته

الجديدة... اللعنة..

هل يتخلص منها أولا؟!... هي لم تعد

تفيده بكل الأحوال بل أصبحت

تشكل عائقا أمام خططه.. أم يتريث

عساها تفيده مع سمرائه الساذجة!!

قطع سيل أفكاره صوتها المتسائل

عما يقلقه فتحجج بصداع في الرأس

تلتها رغبة بالنوم وهروب من نطاق

تواجدها... ثم بداية التفكير في

كيفية التخلص منها!

****

لتكنْ قاتلي..



وحيناً قتيلي

فكلانا في..

الحالتين ضحيّة!

بهدوءٍ..

وطلقتين برأسي

سوف نمضي..

إلى الجحيم ... سويّة!

بعد مغادرة ميرنا بدأت التفكير في

الخطوة التالية وبنفس اللحظة رن

هاتفها باسمه، كفكفت دموعها

وأجابت الاتصال بهدوء:

-ماذا تريد؟

-انزلي أنا أمام الباب...

أغلقت الخط والتقطت خاتمها الملقى

على الخط باهمال ثم عدلت زينة

وجهها ونزلت الدرجات القليلة الى

بوابة المنزل. وجدته ينتظرها في

سيارته كما كان يفعل في الأيام

الخوالي، جاهدت دموعها بصعوبة

وجاورته بصمت.. أراد الانطلاق الى

مكان هادئ لكنها منعته وقبل أن

يتحدث أو يعتذر مدت يدها تعيد

خاتمه اليه والنبرة تقطر ألما رغم

محاولاتها الواهية في الاختباء خلف

رداء القوة:

-كنت أعلم أننا لن ننجح، رأيت

نظراتك نحوها ومع ذلك صمت

لكن ما رأيته اليوم لا يغتفر.. من

أجل تلك الأيام الجميلة التي

قضيتها برفقتك لا تظهر أمامي

مجددا... اسمح لي أن أنساك لو

سمحت...

وهل يجدي الأسف أمام هذا الألم!

هز رأسه باعتذار وانطلق هو بسيارته

الى منزله، سابق الريق للوصول

بسرعة وفي الطريق ألقى بخاتم

خطيبته السابقة منهيا بذلك أي

علاقة تربطه بها...

في المنزل وجد أبويه يتابعان نشرة

الأخبار بشرود فقفز أمامهما يعلمهما

بالمستجدات:

-انفصلت عن سمر وأريد خطبة فتاة

أخرى...

ويا لها من مزحة ثقيلة!

في البداية اعتقدا أنه يمزح لكن

اصراره أخافهما، التزم والده الصمت

وسألت والدته بعدم فهم:

-لم انفصلت عن سمر وأنت من أصر

على خطبتها؟

أمسك يدها يقبلها برجاء:

-حبيبتي هذا ليس وقته...

ثم قبل جبينها بحب:

-أخبرتك أنني أريد خطبة فتاة

أخرى...

رمشت بأهدابها بعدم فهم:

-تريد خطبة فتاة أخرى!... بهذه

السرعة!!.. ومن تكون هذه الفتاة؟

-فاتن العريبي...

اجابة عفوية نزلت عليها

كالصاعقة.. سألته بتوجس:

-فا.. فاتن!! ابنة شقيق وفاء؟!!!

-أجل ابنة آدم العريبي...

جذبت نفسها من حضنه صارخة

بحزم:

-على جثتي

الفصل العشرون

البعض يأخذ الحياة ببساطة تامة

تجعله يستغرب تعقيد الآخرين لها..

هو أراد وقرر وخطب سمر ثم وبكل

بساطة أنهى الخطوبة وقرر خطبة

أخرى...

وما المانع!!

والدته تمانع، بل ترفض الموضوع

جملة وتفصيلا... والسبب مبهم!

نقل بصره بينها وبين والده الصامت

يرجوه تفهما لكن هذا الأخير لم

ينبس ببنت شفة، لطالما كان صامتا

في بيته ومازال.. وقف يواجه أمه

بعدم فهم:

-لم كل هذا التعنت في الرفض؟

تخللت خصلات شعرها الحمراء والتي

فقدت بريقها على مر سنوات طويلة

بتيه، حيرتها بلغت ذروتها وعقلها

يسأل لم تلك الفتاة بذات؟!.. هل

قدر لاسم فاتن أن يرتبط بابراهيم

دائما بينما تبقى هي على الهامش!!

تحركت من أمامه بخطوات رتيبة

وقبل أن تخرج من الغرفة حانت منها

نصف التفاتة والنبرة مريرة:

-ان تزوجت تلك الفتاة سأغضب

عليك الى يوم الدين...

جاور والده الجالس على أريكة

ضخمة يرجوه تفسيرا أو على الأقل

تفهما، وضع يده على كفيه هامسا:

-أبي...

لكنه لم يحصل على شئ.. مجرد

صمت!

أعاد الهمسة مرة وثانية وفي الثالثة

جاءه رد بارد:

-تلك الفتاة سميت على اسم من

وقفت في وجه سعادة أمك.. لا تتعب

نفسك فأنت لن تحصل على موافقتها

مهما حاولت...

وتركه ورحل يهيم في الشوارع،

زوجته التي أحب وعشق وأخلص

خانته.. لم يملك قلبها يوما لأنها

دفنته مع ابراهيم الخليلي ومع ذلك

لم ييأس، تحداها أنه سيمتلك قلبها

يوما ويا ليته لم يفعل فها هي حياته

البائسة تنعكس سلبا على ابنه

الوحيد الذي لم يستطع مناداته

باسمه يوما!

ولو أن الأب على الأقل يعلم سبب

الرفض والغضب فالابن لم يفهم شيئا،

دخل غرفته يلتمس بعض الهدوء

والراحة حين تذكر أمر تلك

المذكرات التي لم يقرأ منها منذ

زمن.. أخرج نسخته الخاصة من

خزانته واستلقى على فراشه يحمد

اللّه أن خاله لم ينتبه لغيابها وهذا ما

مكنه من نسخها وارجاعها الى

مكانها وكأن شيئا لم يكن..

التهم السطور بنهم وبداخله نمت

غيرة من ابراهيم الخليلي الذي

استطاع الوصول الى فاتنته رغم

عنادها ووقاحتها، تمنى لو يستطيع

فعل المثل لكن والدته تغلق كل

الأبواب بوجهه ووالده لا يساعده..

هذا اذا تناسى رفض والد العروس من

الأساس!

أكمل القراءة بابتسامة حالمة على

شفتيه، قرأ عن اليوم الذي ألقى فيه

عليها يمين الطلاق لأنها أحرجته أمام

الملأ ويوم عقد القران اضافة الى

خروجهما الى الشاطئ معا واعترافه

بعشقه لها لأول مرة ثم وصل الى

اليوم الذي مرض فيه وكيف جاءت

الى شقته تطمئن أنه بخير وتعد له

حساء يساعده على الشفاء.. وكما هو

معروف في عرف الرجال، الحساء لا

يساعد لكن القبلة تفعل...!

حينها توقف يسترجع أحداثا مضت،

عن عرض زواج وقبول من طرفها

واعتراض منه ثم اخراسها ب...

قبلة!

ومرة أخرى تفقده صاحبة العينان

الخضراوتان تركيزه فيغمض عينيه

ويندمج في عالم خيالي لا يوجد به

غيرهما.

**

"اذا ضحك لك الزمان فكن على

حذر لأن الزمان لا يضحك طويلا"

ولأنها لم تأخذ حذرها ووثقت بالزمن

وقلب رجل ادعى الحب وتغنى به فقد

دفعت الثمن باهظا للغاية.. ندبة قلب

قد لا تلتئم على مر السنين والعصور

لذلك قررت الهروب والانسحاب،

اتصلت بمديرها السابق في السفارة

تطلب السماح بالعودة وجاءت

الموافقة بسرعة لم تتوقعها، أخلاقها

والتزامها السابق جعلت السفارة تقبل

عودتها بل وتفتح أبوابها ترحيبا بها...

عائلتها أيضا شجعت فكرتها خاصة

بعد انهيارها اثر انفصالها عن خطيبها

السابق في ظروف غامضة لم يفهموا

منها سوى كلمة "مكتوب"

اتصلت بميرنا تطلب لقاءها

والصديقة الوحيدة لم تمانع..

ساعتين كانتا أكثر من كافيتين

للاجتماع في مطعم شعبي على شاطئ

البحر، طلبتا سمكا وعصيرا وجلستا

تتحدثان في كل شئ ولا شئ..

كلتاهما لا تعرفان ما تقولانه

لكنهما على الأقل تحاولان لكن

سمر لم تطل الحديث كثيرا، ألقت ما

بجعبتها بسرعة كأنه حمل تود

افراغه بعدما أرهقها:

-أنا سأسافر من جديد ميرنا...

والصديقة تفاجأت:

-تسافرين!!... الى أين؟

التفتت الى يمينها تتأمل زرقة البحر

الهادئ وطيور النورس التي تحوم

فوقه بحرية تامة، فلا شئ يقلق راحة

بالها وهمها الوحيد ايجاد ما تأكله...

أجابتها بشرود:

-سأعود الى عملي، سأسافر وأنسى

كل ما له علاقة بهذا المكان..

سأعود أقوى وأتخلص من سذاجتي...

ثم أمسكت يدها بمرح مفتعل:

-لكنني بالتأكيد لن أنساك يا

أغلى صديقة...

أغلى صديقة!

تساءلت ميرنا بداخلها.. أغلى صديقة

وأنا التي تحاول سرقة خطيبك

السابق باستماتة؟!!.. يبدو أنك لن

تتخلصي من سذاجتك الى الأبد...

لكن مهلا، لم تشعر بتأنيب الضمير

حاليا؟!!

هزت رأسها بقوة تنفض تلك الأفكار

عنها ثم راحت تحاول ثنيها عن

قرارها لكن القرار قد اتخذ ولا مجال

لتغييره أو الرجوع فيه..

**

القدر لا مناص منه لكن الأخذ

بالأسباب واجب.. وبما أن البطل

تدخل لينقذ الأميرة فليأخذ هو دور

الصديق الناصح ويساعد المتحابين

على الاجتماع حتى يستحوذ على

الاستمتاع بتفريقهما كاملا...

بثقة شديدة أعطى اسمه لمساعد

المدير يطلب مقابلة مستعجلة

والموضوع شخصي!.. بعد ساعة

كاملة من الانتظار دله المساعد على

مكتب المدير الذي ينتظره

بالداخل، أخذ نفسا عميقا ودق الباب

ثم دخل يلقي التحية باحترام.. آدم

بدوره وقف احتراما له وتصافحت

الأيدي بوقار كشخصين تربطهما

علاقة عمل وطيدة، دعاه للجلوس مع

سؤال روتيني عن قهوة وشاي ليتم

اختيار القهوة ويفتح الموضوع من

طرف آدم الحازم:

-أظنني أعلم مسبقا لم جئت وليكن

بعلمك أنني لن أعطي فاتن لأي

منكما...

انتظره حتى فرغ من كلامه وابتسم

بهدوء:

-سيد آدم اسمي هو جاسر.. التقيت

ابنتك كزبون في مكتبها بعدها

طلبت يدها وكنت أنتظر الاجابة

لكن ما لم أنتبه له أن صديقي وأخي

المقرب ابراهيم يحبها وهذا ما أدى

الى الخلاف الذي شهدته بنفسك...

نعتذر ان كنا قد أزعجنا حضرتك

لكن حكمك بهذه الطريقة

اجحاف في حق كليهما...

ضيق آدم عينيه بتوجس وقبل أن

يسأل عاجله بالجواب:

-تتساءل لم أدافع عنه ان كنت فعلا

أنوي الزواج بها؟

ثم ابتسم بحزن:

-صحيح أنني أحببتها لكنني تناسيت

أمر صديقي بدافع الحب.. متأكد أنها

تريده أيضا ولن أستطيع أخذ امرأة

عقلها وقلبها مع آخر...

هم بالكلام لكنه قاطعه برجاء

أكبر:

-سيد آدم.. لابد أنك تعرف جيدا

تهور الشباب خاصة فيما يتعلق

بالحب.. أعطه فرصة جديدة ليثبت

حبه وقدرته على حماية ابنتك..

ضعه قيد التجربة وسترى كيف

سيجتازها بنجاح..

وصلت القهوة فأخذ استراحة قصيرة

استغلها آدم ليطرح سؤاله:

-يبدو أنك متأكد من نجاحه!

-لا مجال لاخاقه..

-وماذا ان فعل؟

-حينها لن يستحقها...

وانتهى الحوار بينهما بنظرة أعين واثقة تتحدى الطرف الآخر.. استأذن جاسر منه وغادر الى المشفى أين تعمل والدة ابراهيم بعدما تأكد من ليونة والد العروس اتجاه العريس المتهور...



الفصل الواحد والعشرون

قيل أن سعادة المرأة يوم زفافها

عظيمة لكنهم غفلوا أن سعادتها

يوم زفاف أولادها أعظم.. كيف لا

وهي من قضت عمرها تربي، تحنو

وتعلم...

وفي حالتها هي الوضع يختلف..

ابنها سيتزوج.. جميل

هو سعيد.. أجل

لكنها غير راضية وهذه معضلة!

استيقظت في وقت متأخر لتجد

الجانب الآخر من الفراش فارغا،

تنهدت بسكون ولفت ثوبا فوق

فستان نومها ثم اتجهت الى المطبخ

بخطى متثاقلة تفكر في اللحظات

القادمة، لا تصدق أنها وافقت على

خطوبة ابنها من ابنة عائلة كانت

السبب في عدم ارتباطها بحبيبها..

كيف سمحت لشاب بعمر ولدها

اقناعها بشئ يتناقض وقناعاتها!!..

لكنه لعب على وتر حساس هو نقطة

ضعفها.

عادت بذاكرتها شهرا الى الوراء، بعد

ذلك اليوم الذي رفضت فيه موضوع

الارتباط جملة وتفصيلا زارها شاب

عرف بنفسه على أنه صديق ابراهيم

المقرب، طلب رؤيتها والتحدث معها

مذكرا اياها بعناد وبباسة رأس ابنها،

أخبرها أنه يحب وقصص الماضي لا

يجب أن تعيق الحاضر الذي سيبني

المستقبل خاصة ان كان الأمر

متعلقا بسعادة أهم انسان في حياتها.

بعدها غادر تاركا لها حرية القرار

والخيار.. أمضت بقية يومها تفكر

وتعيد حساباتها، هي لم تصدق أن

المياه عادت الى مجاريها بينهما

ووقوفها ضد فاتن لن يكون لصالحها

خاصة وهو متيم بها الى هذه

الدرجة...

اتخذت قرارها واتصلت به تعلمه

موافقتها على الزواج ليقابلها صراخه

المتحمس مع قبلاته التي أمطرها بها

عبر أسلاك الهاتف.. ومنذ ذلك

اليوم وهو يعاملها كأميرته المدللة،

كما كان يفعل دوما قبل أن يدخل

ابراهيم الخليلي بينهما.. أصبح يأخذ

رأيها في كل صغيرة وكبيرة ولا

يتوانى عن اسعادها وادخال الفرحة

الى قلبها.. لكنها لا تزال غير

راضية!

على بعد خطوتين من المطبخ دعابت

رائحة زكية أنفها فابتسمت برضى

وواصلت سيرها، وجدته منهمكا

بتقطيع شرائح الدجاج ثم قليها في

زيت الزيتون مع بعض البهارات.. على

طاولة جانية وضع طبق أرز تعلوه

صلصة طماطم وورقتي نعناع تفوح

منهما رائحة تفتح الشهية...

جلست على مقعد مقابل له تستمع

لدندنة ألحانه السعيدة وقلبها

يخبرها أنها فعلت الشئ الصحيح

بموافقتها، فها هو يعود الى طبيعته

المرحة التي لم يبدها حتى مع

خطيبته السابقة...

انتبه لوجودها خلفه بعدما أنهى قلي

شرائح الدجاج فرفع طبقه واتجه

نحوها يطبع قبلة دافئة على جبينها:

-أخيرا استيقظت ملكتنا

الكسولة...

ثم وضع الطبق أمامها وانحنى قليلا

الى الأمام:

-فطورك يا صاحبة الجلالة...

ضحكت بخفوت فأكمل بجدية

مصطنعة:

-أخيرا رضيت عنا مولاتي..

ووضع كفه على موضع قلبه بتأثر:

-لكنني قتيل تلك الضحكة

الرائعة...

ضربته على صدره برقة:

-ستغار خطيبتك ان سمعت

كلامك..

تظاهر بالتفكير للحظات ثم أجابها

بغمزة مشاكسة:

-أولا لن تسمع كلامي لأنك لن

تخبريها وثانيا هي ليست خطيبتي

بعد لكنها ستصبح كذلك هذه

الليلة...

بعدها عم الصمت على الاثنين

وكلاهما يفكران بنفس الليلة

لكن الطريقة وحدها من تختلف!

***

والأم لم تكن المعارضة الوحيدة

لهذه الخطوبة والزيجة ككل، ففي

مكان ما كانت أخرى تحترق بنار

الغيرة وتتمنى لو فجرت رأسيهما

بطلقة واحدة من مسدسها السري،

لكن شريكها أمرها بالصمت مع

تهديد تعلم أنه سينفذه في حالة

عدم الامتثال.. وفي المقابل منحها

وعدا بعدم اكتمال هذا الزواج

متحفظا عن باقي الخطة وكأنها لا

تعنيها لا من قريب ولا من بعيد!

زفرت للمرة ما بعد الألف وهي تتناول

الذرة بينما تشاهد فيلما حربيا معه،

لم يكن يوليها أي اهتمام وهذا أثار

حنقها أكثر..

وقفت تحجب عنه التلفاز وصحن الذرة

لا يزال قابعا بين يديها:

-لم أنت بارد هكذا؟

تحرك الى جهة اليمين ليستطيع

المشاهدة مغمغما بلامبالاة:

-تناولي الذرة واجلسي بهدوء.. دعيني

أشاهد الفيلم..

ضربت الأرض بقدمها كطفلة عنيدة

لا ينقصها سوى الدموع ليكتمل

المشهد.. وربما هي حاضرة بالفعل!

سقطت على ركبتيها بعدما رمت

الصحن أرضا لتتناثر حبات الذرة مع

قطع الزجاج التي غطت المكان

وبدأت البكاء بصوت مرتفع...

واللعنة على يوم اتخذها فيه

شريكة!

أخرج نفسا عميقا يستلهم به الصبر

وأطفأ التلفاز ثم جذبها من يدها

وأبعدها عن كومة الزجاج المحيطة

بها ، أجلسها على أريكة في الجهة

الأخرى من غرفة المعيشة وذهب الى

غرفته يحضر علبة الاسعافات الأولية

ولسانه لا يتوقف عن اطلاق الشتائم

بكل اللغات.. فتح الخزانة وكان

مسدسه أول ما وقعت عليه عيناه،

التمعت الفكرة في ذهنه كالبرق

وعزم على التخلص منها اليوم قبل

الغد، أخرجه من مكانه وأخذ

يتحسسه بأطراف أنامله بينما عقله

يتخيل نظرتها المصدومة حين رؤية

المسدس، دمها الذي سيغرق المكان

وذلك الثقب الذي ستحدثه

الرصاصة بين عينيها اضافة الى

هدوء عارم سيحصل عليه ويهديها

اياه..

حسنا هذا عرض مغري فليحصل عليه

قبل أن تهرب الفريسة..

وقبل أن يخرج من الغرفة غير رأيه،

أعاد المسدس الى مكانه وأخذ علبة

الدواء عائدا اليها والنظرة بها بريق..

وجدها جالسة على نفس الأريكة

تضم ساقيها اليها وأنينها خافت لا

يكاد يسمع، جلس أمامها يفتح عدة

التمريض هامسا:

-سأعيده لك لا تقلقي..

أشاحت وجهها بعيدا كأنها لم تعد

تصدق كلامه أو تثق به، ابتسم

بهدوء وأمسك ذقنها يديرها

لمواجهته:

-هل تبتسمين ان أخبرتك بالخطة؟

والايماءة متحمسة تظهر لهفة

للمعرفة، مط شفتيه بتفكير وبدأ

يقطب جروح ركبتيها مرددا:

-ابراهيم الخليلي يدعي أن شقيقك

اغتصب زوجته بمساعدة والدي ولهذا

السبب قتلهما...

عقدت حاجبيها باستياء:

-لكن توفيق لم يفعل..

-ولا والدي فعل

ثم جاورها على الأريكة يقلب

المطهر بين يديه بشرود مكملا:

-سأجعل تلك العائلة تذوق ما اتهمت

به الآخرين زورا...

حينها ابتسم شيطانها بمكر، وضعت

يدها على ساعده والنبرة بها رجاء:

-هذا العرض لا يجب أن

يفوتني...والسكوت ليس سوى علامة

رضى!

****

الأب رجل مختلف في حياة كل فتاة

ولو سألت فتاة ماذا تتمنى!...

لقالت رجلا كأبي

والأب بدوره يعتبر ابنته جوهرة نادرة

لا يستحقها الا من هو أهل لها.. رجل

يقدرها ويحترمها.. يصونها ويحميها

ويكون خير السند لها من بعده..

رجل يسلمها له وهو مطمئن البال أنها

لن تضيع أو تشقى...

جلس بمكتبه يقلب بين صوره

القديمة.. صور جمعته بأخت لم

تلدها أمه لكن الرضاعة جمعتهما..

عاشا طفولتهما وشبابهما معا وحلما

بشيخوختهما وأحفادهما.. لطالما

ناوشها مخبرا اياها أنها ستصبح عجوزا

قبيحة واجابتها لطالما كانت أنها

ستموت جميلة.. وفعلا ماتت جميلة

وشابة!

وهذه الذكرى بالذات تقلقه.. يخشى

لو تتكرر المأساة ويفقد فاتن

الصغيرة.. هذه المرة لن يتحمل، لن

يستطيع المضي قدما ولو أمضى بقية

حياته يحاول..

فتح الباب وأطلت منه زوجته

بابتسامتها الحانية، اقتربت منه

تمسد كتفيه وعيناها تتأملان صورة

الفاتنة صاحب مذاق الكرز..

سبحان من خلق فأبدع!

همست بجوار أذنه:

-فاتنة كاسمها...

لم يرد فواصلت بمرح:

-صحيح أن ابنتنا جميلة لكن عمتها

أجمل..

ابتسامة جانبية ظهرت على شفتيه

مجيبا:

-عمتها كانت الأصلية

ضربت أعلى كتفه بخفة ممازحة:

-سأخبر المقلدة وسترى كيف

ستكون نهايتك على يديها..

وبحركة هادئة أغلق حاسوبه

وخطى خارج الغرفة فسألته بوجوم:

-الى أين؟

استدار نصف التفاتة اليها مجيبا

بغمزة والنبرة متلاعبة:

-لرؤية المقلدة...

ضحكت بيأس من تغير طباعه

وتبعته الى غرفة وفاء أين توجد

فاتن، قرعا الباب ودلفا الى الداخل

ليتفاجآ بمنظر فاتن الجالسة على الأرض بشفتين مزمومتين دليل الحنق والغضب.. تبادلا نظرة مع وفاء ثم بادر آدم بالسؤال:

-أهذا منظر عروس يوم خطوبتها؟

نظرت نحوه لمدة قبل أن تجيب ببرود:

-أخبروه أنني غيرت رأيي.. لا أريد هذه الخطوبة.

الفصل الثاني والعشرون

منذ القدم والرجل معروف بكلمته؛

ان كان يحترم وعوده فهو فعلا رجل،

وان لم يفعل فهو مجرد ذكر لا يؤخذ

بعين الاعتبار!

وهو أعطى كلمته ووعد بالموافقة،

حضر نفسه وأسرته لاستقبال الضيوف

ثم وفي رمشة عين غيرت ابنته

رأيها!!

تبادل نظرة حائرة مع زوجته يطالبها

بتفسير وحين لم يجد سأل أخته

بعينيه وهي كتمت ضحكة شقية

لم يرها على ثغرها لسنوات طويلة،

اقترب من ابنته الجالسة على الأرض

كالأطفال وجثا على ركبته رافعا

ذقنها بأنامله، تأمل عينيها مطولا

وقابلت تأمله بالصمت.. تعلم أنه

يتذكر شقيقته الراحلة حين ينظر

الى عمق عينيها ولحظة كهذه لا

يجب أن تقاطع ولو كان الموضوع

قصة حياة أو موت!

سألها بصوت هادئ رزين لا يملكه

غيره:

-أهذه لعبة فاتن؟

زمت شفتيها بتذمر طفولي محبب

وحركت رأسها يمينا وشمالا دليل

الاعتراض:

-الأمر ليس لعبة أعلم..

ثم تهدل كتفاها في يأس وأكملت:

-لكن عمتي نبهتني الى شئ مهم..

حين صمتت حثها على المواصلة

برفق:

-وما هو هذا الشئ؟

ترددت لبرهة ثم استدارت نحو العمة

التي تجاهد ضحكتها لتخرج

بمشقة، أنبتها بعينيها وألقت نفسها

في حضن والدها تبتغي الأمان:

-لا أريد أن أبتعد عنكم أبي..

انفجرت الأم ضاحكة تبعتها العمة

لكن الأب ضم ابنته لصدره كأنما

يخشى نفس ما تخشاه، زاد من ضمه

لها وقلبه يعلن حالة طوارئ بلا سبب..

بل هناك سبب.. سبب أقوى من أي

شئ آخر، أقوى من مجرد ابنة ستزف

عروسا لتعيش حياة سعيدة مع من

اختارته واختارها.. وأقوى من أب لا

يريد فراق صغيرته.. السبب هاجس

الماضي المخيف الذي يطل عليه منذ

أول يوم وافق على هذه الزيجة..

هاجس تكرار ما حدث!

ضغطها على صدره مقبلا مقدمة رأسها

بهمس:

-وهل يمكن لنا أن نبتعد عن القمر

الذي ينير حياتنا؟

ابتسمت بغرور متسائلة:

-أحقا؟!

وانفجر الثلاثة ضحكا على ما آل

اليه المشهد ثم اختتمه آدم بقبلة

أخيرة مع وعد صامت بالحماية ولو

كلفه الأمر حياته..

فالبنهاية الرجل كلمة!

****

الفرج بعد الكرب نعمة والصبر عند

الشدة راحة.. وهو صبر وتحمل ونال،

والد حبيبته وضع شرطا ألا يراها ولا

يحادثها لمدة لا تقل عن شهر بأيامه

ولياليه الثلاثين الطويلة.. قاوم

الرغبة والشوق والحنين ليظفر بعقد

أبدي يقترن تحته اسميهما حتى

الممات..

زخات عطر على بدلته السوداء

الأنيقة كانت آخر اللمسات، فتح

علبة مخملية كانت موضوعة أمامه

وتحسس الخاتم الألماسي بداخلها..

ابتسم بحالمية وهو يتخيل الحلقة

تحيط ببنصرها لتعلنها ملكه وحده

دون غيره، حمرة وجنتيها حين

يبارك لها وابتسامتها الخجول التي لا

تفارق مخيلته.. أغلق العلبة ووضعها

في جيب سترته الداخلي جوار قلبه،

تحسس ذقنه المشذبة بعناية

وضحك بحماس ثم خرج من غرفته

بحثا عن أسرته الصغيرة..

في غرفة الجلوس كانت والدته

تعيد التفكير في هذا القرار الذي

اتخذته في لحظة تضحية غبية،

تساءلت عما اذا كان سيواصل دربه

معها أم لا وأقنعت نفسها أنها مجرد

نزوة وستمر كما فعل مع سمر.. لكن

سمر كانت فتاة رائعة أما فاتن!!...

اسم فاتن وحده كفيل بجلطها!

مسدت صدغيها بارهاق وأفكارها

تتلاطم كأمواج بحر هائج، ضغطت

عينيها قليلا فتفاجأت بابنها يحطها

بذراعيه من الخلف مع قبلة على

الخد وسؤال مشاكس:

-لم كل هذا التكشير جلالتك؟

أرخت رأسها للخلف مستندة على صدره

وابتسامة حنون تزين ثغرها:

-أنا سعيدة من أجل ابني حبيبي..

اليوم سيتخذ خطوة آمل أنها لن

تتراجع للخلف لاحقا..

شعرت بعبوسه فاستدركت بمزاح:

-عروسك محظوظة بك بني..

-ألن تنتهي هذه الدراما؟!

بصوت خشن يتخلله السأم ألقى

ملاحظته وسبقهما الى السيارة..

همست في أذنه بخبث:

-والدك يغار منك...

ضرب كفه بكفها وبخفة الفهد

جاور والده في السيارة، تساءل الأب

بفضول:

-ماذا عن خالك يوسف؟

أجابه وهو يعدل خصلاته في مرآة

السيارة:

-خالي مسافر مع أسرته لن يستطيع

القدوم..

هز رأسه بموافقة وعاد الى شرنقة

صمته التي أحاط به نفسه داعيا اللّه

أن يسعد ولده..

***

الحماس والتوتر مزيج غريب من

المشاعر، حين يصيب الانسان لا يعلم

أيفرح أم يتوجس أم فقط يتجاهل

وبين كل هذه المشاعر يبقى هو

حائرا لا ينوي على شئ!

عدل ياقة قميصه للمرة الأخيرة ثم

قرع جرس الباب الأمامي وابتسم

لوالديه محاولا التخلص من الأجواء

المشحونة بين نظراتهم.. لحظات

قصيرة وفتح الباب أمامهم ليطل آدم

بهيبته الوقور مرحبا، صافح خاطب

ابنته ووالده واكتفى بايماءة لوالدته

بعدها دلف الجميع الى الداخل في

صمت مريب لم تقطعه سوى والدة

العروس الواقفة بباب غرفة الجلوس..

هتفت بسعادة واضحة:

-أهلا أهلا.. نورتم المنزل

بوجودكم..

بادلوها التحية وجلسوا ينظرون الى

بعضهم البعض وكأنهم في جلسة

تقييم ولا حفل خطوبة!

افتتح آدم الكلام بالسؤال عن الحال

والأحوال وشيئا فشيئا تحولت

الأحاديث الى مواضيع سياسية وأخرى

اقتصادية عن حال البلاد والشعب

والحكام، استغلت أسماء فرصة

انشغال الرجال بمواضيعهم التي لا

تتغير وهمست في أذن أم العروس:

-أين وفاء؟

اختفت الابتسامة بشئ من الريبة

لكنها استطاعت استدراك الموقف

بضحكة مشرقة ووقوف مع طلب

باتباعها خارج القاعة، تبعتها بهدوء

حتى باب غرفة مغلق ووقفت تفرك

يديها من فرط التوتر.. قرعت الباب

بهدوء ودخلت حين جاءها الاذن في

حين انسحبت الأخرى متعللة بأشغال

المطبخ التي لا تنتهي...

أخذت نفسا عميقا وأطلت برأسها من

الباب كأنما تخشى ردة فعل القابعة

بالداخل، تفاجأت بوجود العروس

برفقتها أيضا لكنها لم تهتم كثيرا

فصديقتها التي لم ترها لأكثر من

عشرين سنة موجودة أمامها وهذا

أكثر من كاف.. تأملت ملامحها التي

كانت يوما أغلى ما تملك وبداخلها

ارتفع صوت ضميرها مؤنبا، اكتفت

بالصمت فتنحنحت فاتن بحرج وقامت

تسلم على حماتها المستقبلية ثم

غادرت الغرفة سانحة للاثنين فرصة

الكلام بحرية..

حين انغلق الباب بادرت أسماء

الكلام:

-مر وقت طويل..

والنبرة تحمل من الشجن والحسرة

الكثير:

-أكثر من عشرين سنة..

حينها ابتسمت وطأطأت رأسها قليلا

هامسة:

-لازلت جميلة..

والأخرى لا تهتم، بم يفيد الجمال

في حالتها هي!!

أشارت الى كرسيها المتحرك

بسخرية:

-ومقعدة..

والصمت في مثل هذه الموقف لازم!

عادت بذاكرتها سنوات الى الوراء،

بعد تلك المجزرة التي وقعت على

مرأى من عينيها.. مجزرة حصدت أرواح

ثلاث رجال أحدهم كان الأغلى على

قلبها والآخر على قلب صديقتها. لا

تزال تذكر حين فاضت روحه الى

بارئها بين يديها هي، ذلك الألم

القاتل الذي لا يزال قابعا في قلبها

الى يومها هذا.. في تلك اللحظة

التفتت حولها وكل ما رأته كان

أجسادا ملقاة على الأرض وسط دماء

كثيرة، لا تعلم كيف استجمعت

شجاعتها لكنها تحاملت على نفسها

وأسرعت لانقاذ صديقتها، اتصلت

بالاسعاف ورافقتها الى المشفى أين

سهرت على راحتها حتى استعادت

وعيها لتصاب بصدمة من نوع آخر..

المريضة فقدت قدرتها على المشي!

والمريضة بعدها قررت انهاء الصداقة

وأي علاقة تربطها بآخرين، حبست

نفسها بالمنزل ورفضت مقابلة أحد

باستثناء أفراد أسرتها حتى بعد مرور

أكثر عشرين سنة...

صوت والدة العروس أخرجها من

ذكرياتها فأخذت نفسا عميقا

وابتسمت بوجه وفاء ثم ذهبن جميعا

الى قاعة الجلوس لتلبيس الخواتم

للعروسين...

****

وادراك السعادة شعور لا يعرفه الا من

جربه وعايشه.. ذلك الشعور الذي

يرفعك عاليا في السماء لتحلق بين

نجومها متناسيا عناء رحلة الوصول

اليها..

مثلهما تماما!

بعد حديث مطول حد الملل عن

السياسة قام آدم أخيرا ينادي ابنته،

كور آدم قبضته بتوتر وراح يعد

الثواني لوصولها وهي لم تتأخر، فما

هي الا لحظات حتى أطلت كالبدر

في باب الغرفة.. ترتدي فستانا أسود

أنيق وخصلات شعرها مرفوعة للأعلى

برقي، تمسك بذراع والدها وتسير

كأميرة لم يخلق مثلها في الوجود..

وقف يستقبلها بنظرة معجبة لم

يحاول اخفاءها ثم طلب اذن أبيها

للجلوس الى جانبها وهو لم يمانع،

أخذ الجميع يتطلعون اليهما بمشاعر

متضاربة بين سعادة وقلق وسخط!

هتفت وفاء بمرح:

-وقت الخواتم يا سادة..

ابتسمت العروس بخجل وأخرج

العريس علبة صغيرة من جيب سترته

ثم دعاها للوقوف وكذلك فعل

البقية، فتح العلبة وألبسها الخاتم

وسط زغاريد النساء ودموعهن

وهمهمات الرجال الخشنة.. اقتربت

وفاء من فاتن تناولها الخاتم الذي

ستزين به اصبع خطيبها ورمقت أسماء

برجاء:

-فاتن أمانة لديكم أسماء.. اهتموا

بها..

وكأن ما بداخلها من ألم لا يكفي!

هزت رأسها دليل موافقة وتقدمت من

العروسين تقبل جبينهما وتبارك

خطوبتهما ثم جاء دور زوجها وبقية

الحضور.. استغل ابراهيم فرصة

انشغالهم عنهما ومال على أذنهما

هامسا:

-تبدين كالقمر...

نظرت في عينيه لبرهة قبل أن تجيب

بهدوء:

-أعلم..

لية الشفاه الساخرة وازت رفعة

حاجبه مرددا:

-مغرورة..

والاجابة صاعقة:

-ولهذا تحبني..

بعدها تكفلت الأعين بايصال باقي

رسائل العشق التي تعجز أي لغة عن

ترجمتها!



السعادة أنثى والفرحة أنثى والحياة

أنثى وعالمه ككل بات يدور حول

أنثى!

والأنثى هنا عروس ستدخل بيته بعد

ساعات قليلة، عروس لن يسمح

بخروجها من حياته الا بكفن أبيض..

وقف الى جوار خاله يوسف بانتظار

تشريف السيدات وفمه لا يتوقف عن

الصفير بانزعاج شديد ، رفع معصمه

يطالع ساعته للمرة ما بعد الألف

مرردا:

-لم تأخذ النساء كل هذا الوقت؟!

ثم كور قبضته بغضب وراح يدور

حول نفسه كتائه:

-لابد أن الجماعة تنتظر..

وتنهد بقلة حيلة مستندا جسده على

مقدمة السيارة:

-أخبرهم أن يسرعوا قليلا..

اقترب يوسف منه يربت على كتفه

كأنه يواسيه:

-لا تقلق فالنساء كلهن متشابهات..

وبغمزة مشاكسة واصل:

-أراهنك أن عروسك تدعو اللّه أن تتأخر أكثر حتى تستطيع تجهيز نفسها بمثالية..

شبح ابتسامة باهت لاح على شفتيه لوهلة قبل أن يتحول لجدية مجددا:

-فاتن تحترم مواعيدها جدا.. أنا متأكد أنها تنتظر..

ثم أخرج نفسا عميقا:

-أتمنى ألا تمل كثيرا..

والخال لا يزال متمسكا برأيه، بل

يصر أنه الأصح والآخر على خطأ،

فالعروس أنثى والأنثى تأخذ وقتا!

هم بالكلام لكن زغاريد النساء

قاطعته، تراجع للخلف مفسحا لهن

الطريق للمرور وهمس للعريس

المتحمس في أذنه:

-ها قد جاء الفرج يا عريس..

زم الآخر شفتيه دليل الغيظ وسار نحو

سيارته المزينة بورود على شكل

قلوب حمراء كتب عليها "زواج

مبارك" وانطلق يسابق الريح للوصول

الى منزل حبيبته وزوجته...

**

والأنثى حين السعادة تزهر وتشرق،

تلمع عيونها وترفرف كفراشة ملونة

في فصل الربيع والسر استقرار وبيت

ستنشئه برفقه من اختار قلبها وارتاح

كيانها...

والعروس يوم زفافها فوضى وتوتر

وقلق غالبا ما ينتهي بدموع تفسد

زينتها لتحولها من أميرة أنيقة الى

طفلة باكية بوجه يشبه الى حد

بعيد وجه الباندا!

بهدوء فتح باب الغرفة يتأكد أن

صغيرته لم ترتكب حماقات جديدة

لكن حدسه لم يخنه، منظرها كان

أقرب الى ساحرة مارست طقوس السحر

فتشعث شعرها وتحول وجهها للون

الأسود بفعل الكحل السائل من

عينيها..

سألها بصدمة:

-ما الذي حدث فاتن؟

ألقت فردة حذائها أرضا وجلست على

كرسي الزينة بتذمر:

-أمي تخبرني أن أرفع شعري وعمتي

تطلب مني تركه حرا..

وانهمرت الدموع من عينيها مكملة

اللوحة السوداء على وجهها:

-الموكب سيصل في أية لحظة وأنا

لست جاهزة بعد...

ابتسم بحب وضمها الى صدره

مسترجعا ذكريات مضت عن شقيقة

في يوم زفافها ومثلجات كاد يفسد

بها فستانها وصراخها المتوعد بقتله

في حالة فعل.. تنهد بحسرة

وهواجسه حول تكرار ما حدث

تهاجمه من جديد ، أفكاره تحذره من

تركها والمنطق لا يجد ما يفسر به

رغباته وان رآها صحيحة!.. لكنه لن

يقف بوجه سعادتها ولو كان الثمن

راحته..

رفع وجهها بين أنامله يمسح آثار

الزينة برقة ثم دعا والدتها

لمساعدتها على ترتيب وتجميل

شعرها وخرج داعيا اللّه أن يحفظ قرة

عينه الوحيدة..

**

للهدف حين الوصول لذة لا تضاهيها

لذة في الكون، خاصة اذا كان

الهدف رغبة ولدت في الصغر وكبرت

مع الأيام مشعلة بذلك نارا لا

يطفئها غير...

الانتقام!

والليلة ليلته ولو ظن البقية أنها ليلة

صديقه.. اليوم سيشفي غليله

وكفى..

زخات عطر فرنسي فاخر كان آخر

اللمسات قبل أن يخرج من غرفته

ليلقي نظرة أخيرة على ضيفته

صاحبة الحضور الثقيل، ككل مرة

تجلس أمام التلفاز محدثة فوضى في

مكان يعتبر نظافته أمرا مقدسا

تدنيسه محرم.. تأفأف بنزق وانحنى

يجمع المناديل الورقية المبعثرة هنا

وهناك ووضعها في كيس

بلاستيكي ود لو وضعها فيه بدلهم،

رتب الصحون المتسخة فوق بعضها

وأخذها الى المطبخ ثم عاد بقطعة

قماش مبللة يمسح بقايا الطعام

العالقة فوق المائدة...

تنهدت بملل وهي تطلب منه الابتعاد

عن شاشة التلفاز:

-أنت تحجب الرؤية اضافة الى أنك

ستتسبب باتساخ بذلتك الأنيقة..

وواصلت بنبرة عابثة فهم معناها على

الفور:

-والعروس قد لا تحب رائحتك

القذرة..

والابتسامة منه خبيثة متحمسة لما

هو آت.. ترك قطعة القماش من يده

ووقف يعيد ترتيب هيئته بذقن

مرفوعة ولمعة أعين مخيفة بعثت

نشوة بكامل جسدها، غمزته بدلال

وقامت تفتح له الباب عله يتركها

لخوتها وشيطانها، استجاب بسهولة

وخطا بهدوء الى الخارج لكنه توقف

فجأة مرددا بجدية:

-ان عدت ووجدت المكان قذرا...

ومال على أذنها بهمس أقرب الى فحيح

أفعى:

-اعتبري نفسك التالية..

ابتلعت ريقها بصعوبة وأومأت رأسها

دليل الموافقة في حين خرج هو

يصفر بسعادة لم يشعر بها منذ مدة

طويلة..

**

"اذا كان الزواج مغامرة فالعزوبة

انتحار"

فرانس كافكا

وانتحاره لن يدوم طويلا فالمغامرة

على وشك البداية!

ترجل من سيارته يتأكد من وصول

جميع الموكب ثم سلم على والد

زوجته الذي استقبلهم بحرارة ودعاهم

للدخول وانتظار العروس ريثما تجهز

نفسها ، اقترب يوسف من ابراهيم

هامسا بسخرية:

-ألم تقل أنها تحترم المواعيد!!

ومط شفتيه بأسف مصطنع:

-العريس المسكين خابت آماله من

البداية..

حدجه بنظرة مستنكرة فآثر الصمت

ودخل معهم الى فناء المنزل بينما

احتلت النسوة غرفة الجلوس..

ارتفعت الهمهمات هنا وهناك وراح هو

يدور حول نفسه بتيه، يتطلع بساعته

تارة ويتصل بها تارة أخرى ولا رد!

بعد ساعة كاملة جاءه الفرج أخيرا

بدعوة من حماته للصعود وأخذ

عروسه، تهللت أساريره وسارع الى

غرفتها كأنه يخشى سرقتها منه،

فتح الباب دون طرقه ودلف الى

الداخل يتأمل حسنها وجمالها.. مد

يده نحوها متسائلا بحنو:

-كنت تبكين؟!

والاجابة هروب عينين خجولتين

وصمت مطلق أصر على كسره:

-سأكون عائلتك.. لا تقلقي..

-أترك يد ابنتي..

صوت آدم الحازم أجفله للحظة

لكنه لم يترك يدها، طالعه بعدم

فهم والحمو لم يبخسه الاجابة:

-تحاول افساد عقل ابنتي منذ الآن

حتى تنسى عائلتها!!

انفجر الجميع ضحكا واستغل هو

الفرصة لاحاطة خصرها بذراعه

والخروج بها لولا ايقاف آدم لهما،

نظرا اليه بعدم فهم فابتسم وقبل

جبينها ثم وضع يده على عتبة الباب

آمرا اياها أن تمر من تحت ذراعه..

ابتسمت بدورها وامتثلت لأمره بطيب

خاطر بعدها تعلقت بذراع زوجها

وسارت معه وسط زغاريد النساء وهتاف

الأطفال السعداء.. وصلا الى السيارة

فوجدا جاسر بانتظارهما والسعادة لا

تفارق محياه، تصافح الصديقان

بحرارة وبارك جاسر لفاتن بسرور:

-أخيرا اجتمعتما بعد عام كامل من

الانتظار..

تمتمت عبارة شكر بخجل واستلم

ابراهيم دفة الحوار من جديد:

-الفضل في اجتماعنا يعود اليك

جاسر.. لن أنسى معروفك مهما

حييت..

بعدها ركب السيارة جوار فاتن

وانطلق بها الى منزل والديه أين

سيقام الزفاف في حين ردد جاسر

بخبث:

-لن تنساني بعد اليوم..

وكور قبضته بغل حتى ابيضت

مفاصله:

-أعدك..

***

أمس إنتوا اثنين

واليوم صرتوا واحد

و بكرة بتزيدوا واحد ورا واحد

بعد انتهاء مراسم الزفاف الطويلة

سرق فاتنته وقاد سيارته باتجاه

المفاجأة التي أعدها من أجلها مسبقا،

حاولت معرفة ما يخبئه لها لكن دون

جدوى فهو مصر على عدم البوح بأي

شئ لذلك سلمت أمرها والتزمت

الصمت حتى توقف أمام منزل

يتكون من طابقين وطلب منها

اتباعه...

أخذ حقيبتها من المقاعد الخلفية

وفتح الباب مفسحا لها المجال

لتدخل، سألته بعينيها قبل لسانها

فأجاب بكرم:

-هذا المنزل كان لعمتك وزوجها

رحمهما اللّه.. ابراهيم الخليلي اشتراه

لفاتن ولم يطلعها عنه الا ليلة

الزفاف..

اقترب منها يضمها اليه بحنان:

-سنعيش الحياة التي حلما بها..

سنعوضهما السعادة التي حرما منها..

رأى التأثر في عينيها فواصل:

-الخليلي سجل المنزل باسم خالي

يوسف وهو أهداني اياه بمناسبة

زواجي من فاتنة مثلك...

ابتسمت بحبور مقاطعة:

-اذا أنت تعترف أنني تخطيت الجمال

بمراحل..

قهقه عاليا ثم أحاط وجهها بكفيه

هامسا:

-الجمال والفتنة والبراءة.. كل شئ

اجتمع فيك..

اقترب أكثر من شفتيها مكملا:

-وكل شئ أصبح ملكي أنا وحدي..

وعلى بعد شعرة توقف!

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يبتعد عنها

مغلقا الباب بعدما نسيه مواربا ، جذبها

من يدها وراح يريها المنزل الفارغ من

سواهما:

-أمنية الخليلي كانت أن تقوم

عمتك بتجهيز المنزل لذلك أعدت

الطلاء فقط.. ستقومين باختيار كل

شئ حسب ذوقك..

كانت لا تزال تحت تأثير قرب

أنفاسه منها فلم تبد أي حركة على

عكسه هو، اذ كان يتجول بها من

غرفة الى أخرى شارحا لها برنامجه

وخططه؛ هذه غرفة مكتب وتلك

للأطفال أما هذه فستكون مكتبة

حتى وصل الى غرفتهما ، التزم

الصمت وأشعت عيناه لؤما قبل أن

يغمض عينيها بأصابعه ويدفعها الى

الداخل برفق.. انبهرت من جمال

وأناقة الغرفة ومع هذا تمسكت

بعنادها وهي تخبره أن ذوقها أجمل

بكثير، بل لم تترك شيئا الا

وانتقدته حتى شعر أنه سيدفنها حية

في أرضية الغرفة..

حين لاحظت استياءه منها وضعت

كفها على صدره بدلال:

-تعلم أنك الأصل والباقي تقليد

صحيح؟

ومع ضمة شفاها ونظرة عينيها

البريئة اضافة الى قربها صرخ

مبتعدا للخلف ما أثار فزعها:

-اسمعي أنا بشر وقدرة تحملي لها

حدود..

لمح الذعر على وجهها فاعتذر

بكلمات غير مترابطة وخرج الى

الشرفة يستنشق الهواء عله يهدأ

بينما جلست هي على طرف الفراش

تفكر في الخطأ الذي ارتكبته،

لكن تفكيرها لم يدم طويلا اذا

عاد اليها وانحنى على ركبة واحدة

يواجهها بهدوء:

-حضري نفسك للصلاة فصبري بدأ

ينفذ وأخشى أن أتهور قبلها..

وقبل أن تجيب كان خارج حيزها،

ضحكت بخفوت وقامت تغير ملابسها

لولا سماعها لصوت انكسار الزجاج

بالأسفل، توقف قلبها عن النبض

للحظة وفي التالية خرجت تبحث

عنه لكنه أعادها وتأكد من اغلاق

الباب بالمفتاح تجنبا لكارثة وقعت

منذ زمن ونزل يستكشف المكان

الذي تحول فجأة الى ظلام دامس..

بحث عن هاتفه لكنه لم يجده

وفجأة لمع قضيب أمام عينيه ليدرك

أن التاريخ يعيد نفسه بأبشع الطرق؛

قضيب وضربة تلاها فقدان وعي

مؤقت!



الفصل الرابع والعشرون

من منا لم يسمع بقصة السلحفاة التي

سابقت الأرنب وكسبت السباق!

قصة خيالية أثرت بنفسية كل

طفل حد التسليم والتصديق أن

السلحفاة باستطاعتها كسب سباق

جري ضد الأرنب!

لكنه ليس كأي طفل نشأ وسط

عائلة تهتم وترعى وتقلق.. هو ليس

ابنا مدللا حصل على قصص ما قبل

النوم وقبلة حانية على الجبين ومع

ذلك اقتنع بقصة سلحفاة تسبق أرنبا

بسرعة الزمن!

الأرنب في قصته لم يكن حيوانا

سريعا يصعب اللحاق به بل كان وقتا

بساعات وأيام وسنوات مضت كالبرق

رغم طولها.. سنوات جاهد فيها نفسه

ليتعلم ويتثقف والأدهى كان تدريب

نفسه على الانتقام ممن كانوا السبب

في شقائه..

بعد ساعات طويلة من الابتسام

للحضور والرقص مع العريس اضافة

لبعض التقاليد البالية بدأ المدعوون

بالمغادرة واقترح هو ايصال العروسين

الى الفندق أين سيقضيان ليلة

زفافهما لكن ابراهيم عارض بحجة

أنه يحضر مفاجأة لزوجته، كتم

غيظه لفساد خطته الرئيسية لكنه

قرر الانتقال للخطة البديلة

بسرعة.. ادعى التعب مستأذنا من

صديقه وغادر الحفل قبل انتهائه

بلحظات. ركن سيارته في مكان

قريب يتيح له رؤية الخارجين من

القاعة دون أن يروه فعليا وجلس

ينتظر سيارة ابراهيم بفارغ الصبر..

شعر بحركة خافته بالخارج فحضر

مسدسه ونزل يتحسس المكان بحذر،

اقترب الصوت أكثر وبالمقابل رفع

سلاحه في الظلام بنية اطلاق النار

لولا صوتها الأنثوي المزعج حد

رغبته بقتلها حالا..

زفر بنفاذ صبر وعاد الى سيارته وهي

لم تتردد في مجاورته وطرح أسئلتها

بكل أريحية:

-خطتك اقتضت بايصالهما الى

الفندق واختطافهما في الطريق

لكنني سمعت أن سمو العريس يحضر

مفاجأة لتلك الغبية..

ثم أخرجت نفسا حارا والشرر يتطاير

من عينيها رغم الظلام المحيط بهما:

-ماذا أنت فاعل الآن؟

ورغم فساد الخطة هو لا يهتم.. يبدو

هادئا وكأن الأمر لا يعنيه بقدر ما

يعنيها..وهذا بالنسبة لها مستفز!

حركت ذراعه المستريحة الى جانبه

والنبرة ساخطة:

-لم أنت بارد هكذا؟!.. افعل شيئا..

وقبل أن تكمل كلامها كان يدير

المقود وجل تركيزه منصب على

سيارة تسبقهم بقليل، استعادت

تركيزها وسألته باستنكار:

-سنتبعهما!

وصرخت بغضب:

-هذه هي خطتك الرائعة..

ثم أضافت بسخرية:

-نتبعهما!

وهو كالعادة لوح ثلج بارد لا

يتحرك.. فقط يتبع سيارة ابراهيم

كصقر وجد فريسة لا ينوي التخلي

عنها ولو مزاحا!

استمرت بالكلام واستمر بالتجاهل

حتى وصلا الى حي بدا أنه بعيد بعض

الشيء عن المدينة، راقبا العروسين

وهما يدخلان الى منزل مكون من

طابقي وبادرت هي بالسؤال كالعادة:

-ما الذي سنفعله الآن؟

ألقى نظرة باردة عليها وترجل يفتح

صندوق سيارته الخلفي ومنه أخرج

كيسا يحتوي على ملابس سوداء،

ناولها طقما وشرع يغير قميصه

وحذاءه بصمت..

عادت لأسئلتها بنفس النبرة الحادة:

-تريدني أن أغير ثيابي أمامك؟!

ابتسامة ساخرة ظهرت على جانبي

فمه وهو يعقد خيوط حذائه:

-ادخلي الى السيارة ان شئت..

ووقف ينفض غبارا وهميا عن ثيابه

ونظرة مستهزئة تلمع بين عينيه:

-وحتى لو خلعت ثيابك أمامي..

بعدها مال على أذنها بهمس ماكر:

-لن تتحرك شعرة واحدة بداخلي..

اتسشاطت غيظا لاهانته لكنها وقبل

أن تصرخ وضع سبابته على شفتيها

بنفس الهمس المخيف:

-لم أحضرك الى هنا لاغوائي.. أنت

هنا لتنفيذ مهمة.. نفذيها أو..

ثم أشار الى مسدسه بخبث:

-أقتلك وأدفنك بفناء منزلهم..

بعدها تركها وابتعد بانتظار تغيير

ثيابها..

**

لحظة القنص تستدعي تخطيطا ،

تركيزا ، شجاعة ، وبرودة قلب!

ولحظتهما جاءت بعد طول انتظار..

دقائق وكانا داخل المنزل بعدما

كسرا زجاج نافذة وتسللا عبرها

بحثا عن قاطع التيار الكهربائي

ليظلم المكان على أهله في أقل من

الثانية.

همست بهدوء مستفسر:

-أكنت تعرف المنزل من قبل؟

أشعل قداحة كانت بيده مضيئا

وجهيهما وابتسامة نصر تزين محياه:

-كنت أنا من ساعده على اعادة

طلائه وتحضيره للسكن..

وقبل أن تجيب سمعا صوت خطوات

يقترب منهما فصمتا واتخذ كل منهما

موقعه بانتظار اللحظة المناسبة..

لحظة القنص!

والأمر لم يدم طويلا فالسيناريو

كتب منذ زمن والصدفة أو ربما هو

القدر من شاء أن يعاد الأمر ويحاك

بنفس الطريقة التي حدثت قبل

جيل كامل.. زجاج نافذة محطم

وقضيب حديدي مع ضربة على الرأس

تفقد الوعي لتنتهي لحظة القنص

وتبدأ رحلة الانتقام..

**

كل أنثى مهما بلغت قوة شخصيتها

ورباطة جأشها تضعف ليلة زفافها

وتشعر بالقلق والتوتر.. وليلتها لم

تختلف كثيرا عن باقي بنات جنسها

فبعد اكتشافها مفاجأة زوجها أخذها

الى غرفتهما آمرا اياها أن تستعد

للصلاة وخرج ينتظر أمام الباب.

ابتسمت بخجل وفتحت حقيبة أعدتها

لها أمها بحثا عن حجابها وقبل أن

تجده سمعت صوت انكسار زجاج

بالخارج، أعادت غلق الحقيبة

وخرجت تستطلع الأمر ظنا منها أن

ابراهيم قد أوقع شيئا ما.. أطلت من

الباب بنفس الابتسامة:

-ما الذي فعلته؟

لكن ملامحه لا تبشر بالخير وهذا

مقلق!

وقبل أن تعيد طرح سؤالها كان

يعيدها الى الداخل ويحكم غلق

الباب بالمفتاح، نادته بقلق وأجابها

بهدوء أنه سيلقي نظرة على المكان

ويعود لكن الخوف عليه تمكن من

كل خلية في جسدها فبات

الاطمئنان شبه مستحيل خاصة وأنها

في شبه سجن لا تستطيع الفكاك

منه وتقديم يد المساعدة في حالة

احتاجها..

طافت في أرجاء الغرفة بحيرة وعقلها

يفكر بطريقة مناسبة تتصرف من

خلالها، فكرت مليا ولم تهتد لأي

شيء، ازداد قلقها وتسارعت دقات

قلبها وبدأت تفقد صبرها فعليا،

اقتربت من الباب تحاول سماع أي

صوت أو حركة دون فائدة.. زفرت

بحنق وأخذت هاتفها تتصل بوالدها

وقبل أن يرن سمعت صوت المفتاح

يدور، تهللت أساريرها وكادت تغلق

الاتصال لكن ظهور ملثمين أمامها

جعلها تسقط الهاتف من يدها

وتتراجع خطوتين للوراء. أحدهما

يشهر مسدسا في وجهها ويشير اليها

بالتزام الصمت في حين يحمل الآخر

جسد زوجها على كتفه وبيده

مسدس هو الآخر..

خرج صوتها متقطعا اثر الصدمة:

-اب.. را.. هيم

ولا اجابة من ابراهيم الفاقد للوعي!

***

الغيبوبة رحلة عبر اللاوعي.. قد

تستيقظ منها كما قد لا تفعل..

وحين تفعل تجد نفسك محاطا بأهل

ومعارف قلقين عليك ويخشون

مفارقتك.. وهو استيقظ ويا ليته ما

فعل!.. عاد الى وعيه ليجد عروسته

وكل عالمه مقيدة الى سريرهما

بفستانها الأبيض ووجهها مغطى

بدموعها الممتزجة بزينتها التي

تحولت الى كارثة، لكن ليس هذا

هو المهم الآن.. المهم أنه أيضا مقيد

على كرسي وبغرفته يوجد مجهولان

بأقنعة مخيفة!

تجاهل ألم رأسه وزمجر بتوعد:

-من أنتما وماذا تريدان؟

وسؤاله قوبل بضحكة خافتة من

أحد الملثمين الواقفين بأقصى

الغرفة، اقترب منه أحدهما وربت على

وجهه بخفة ثم تخطاه نحو فاتن

المقيدة على السرير.. مرر اصبعه على

طول وجهها بهدوء مستفز وصرخ

ابراهيم بغضب:

-ابتعد عنها يا حيوان.. لا تلمسها..

وكأن جملته كانت الدافع ليتمادى

أكثر ويحرر خصلات شعرها البنية

رغم رفضها ومقاومتها، استمر ابراهيم

بالصراخ والآخر لا يهتم، فقط

يستمتع بامتناع فاتن وأنينها

المكتوم بفعل شريط لاصق وضعه

على فمهت ليمنع صراخها..

وقف يدور في الغرفة وابراهيم يحاول

الفكاك من قيده دون جدوى، طال

الصمت وتسارعت دقات قلب العروسين

خاصة العريس الذي اطلع على قصة

الخليلي من قبل، أيقن أنه قد يعيش

أسوأ كوابيس حياته فأخذ يفكر

بحل سريع ينقذها به..

قطع سيل أفكاره اقتراب جاسر من

وجه فاتن بنية أخذ قبلة من جبينها ،

عاد يتحرك بعشوائية كأسد

حبيس في قفص لا يقدر على الفرار

منه.. صراخه لا ينخفض ومحاولاته لا

تكل ولا تمل، رغم الجروح التي

خلفتها الأصفاد على معصميه استمر

بالجذب وجاسر يطالعه بابتسامة

مستمتعة ثم اعتدل في وقفته

واقترب منه واضعا يديه على جانبي

الكرسي. تأمله بسكون ثم همس:

-أخيرا..

وأكمل بعد ثانيتين:

-قضيت عمري أحلم بهذه اللحظة..

وكز أسنانه بغل حاول كبته قدر

استطاعته:

-ابتعد عنها جاسر.. مشكلتك معي

لا تقحمها في الأمر..

والجواب ضحكة.. بل قهقهة عمت

أرجاء الغرفة.. وقف بينهما قائلا

بجدية:

-أنتما نلتما حياة رغيدة.. عائلة

محبة اهتمت بكل منكما منذ

ولادتكما وحتى يوم زفافكما..

وأخذ يدور حول نفسه كأستاذ يشرح

مسألة صعب حلها:

-سيارات فارهة.. دراسة بأفضل

الجامعات والأدهى من ذلك أب

حنون..

ثم تحولت عيناه للون قاتم مخيف

وهو يتوقف أمام فاتن، جذب شعرها

بقوة تأوهت لها وزمجر ابراهيم

متوعدا لكنه لم يهتم، رفع وجهها

أمامه يتأمل عينيها المذعورتين

بنشوة مكملا:

-بسبب عمتك وزوجها فقدت والدي

ومعه فقدت فرصتي في الحصول على

حياة طبيعية..

ترجته بعينيها أن يرحمها لكنه

صفعها بقوة أدمت جانب شفتيها، كاد

ابراهيم يسقط بكرسيه نتيجة

تحركه العنيف وجنونه اثر الصفعة

التي نالتها فاتن أمامه فأشار جاسر

لمساعده بتثبيت الكرسي:

-أريده أن يشاهد العرض من البداية

الى النهاية..

ومرر سبابته على شفتي فاتن بشهوة:

-سأحرص أن أجعل الأمر بطيئا و..

صمت للحظة قبل أن يكمل بغمزة

ماكرة:

-ممتعا..

وبلغ السيل الزبى!

فقد ابراهيم عقله وراح يصرخ بكل

طاقته:

-اتركها يا حيوان.. حسابك معي يا

سافل..

وحين لم يجد استجابة منه قرر

استفزازه:

-ابراهيم الخليلي قتل والدك وأنا

سأحرص على جعلك تلحق به لأن

النذالة تسري في عروقكم بدل

الدم..

ونال لكمة!

لكمة أفقدته ضرسين لكن لا يهم،

على الأقل جعله يبتعد عنها.. رفع

رأسه بسخرية:

-أهذا كل ما لديك؟!

ظل جاسر على صمته وواصل هو

بنفس النبرة:

-أتعلم أن والدك قتل ابراهيم

الخليلي.. والدك كان مدمن خمر

قتل عائلة الخليلي..

ولكمة أخرى جعلته يتوقف لمهلة

ثم يكمل بسؤال:

-ألا تقدر على سماع حقيقة والدك؟

هذه المرة كان جاسر من صرخ:

-والدي لم يقتلهم.. لقد كانت

حادثة لا أكثر وأبي برئ..

-أنت مقتنع فعلا!

-أجل فهذا ما حدث

-بل هذا ما تريد ايهام نفسك به!

ولكمة ثالثة أشد ألما خالطها صوت

بكاء فاتن المكتوم، نظراتها

الخائفة أدمت قلبه وهو عاجز لكن

جاسر لا ينوِ التراجع أبدا فها هو

يمسكه من ياقة قميصه بانفعال:

-غلطة أبي لن تتكرر.. سأستمتع

بفاتنتك ما بقي من الليل بعدها

سأنتحر..

وضحك بجنون:

-أجل سأقتل نفسي قبل أن تتيح لك

فرصة الانتقام..

ثم وقف من جديد مكملا:

-سأفسد حياتكما وأختفي بحيث لا

تستطيعان ايجادي مهما حاولتما..

بعدها أخرج نفسا عميقا باطمئنان:

-سأجعلكما تعانيان ما تجرعته طوال

السنوات الفائتة.. ستتعرفان على

معنى الموت وأنتما على قيد الحياة..

وختم كلامه بالتطبيق.. اتجه نحو

فاتن بخطى رتيبة وابراهيم يصرخ

ويحاول الفكاك بينما ميرنا

تمسكه الى الخلف حتى لا يفقد

توازنه ويسقط..

فاتن قاومته بساقيها لكنه كان

أقوى منها وقبل أن يستطيع تقبيلها

جحظت عيناه بذعر وسقط عليها

كلوح خشبي لا يتحرك!

الفصل الأخير

"History tends to repeat itself!"

جملة وقعت عيناه عليها وهو يقلب

كتابه بين يديه دون أن يقرأه فعليا،

فكره منشغل بصغيرته التي غادرت

منزله برفقة زوجها لتصبح ملك

رجل غيره ويصبح هو مجرد رجل

عجوز زف ابنته وجلس يبكي

فراقها!.. والأسوأ كان عبارة عن

جملة أعادته سنوات طويلة الى

الوراء، رواية انجليزية تتحدث عن

تاريخ أعاد نفسه وقلبه دق ناقوس

الخطر.. تلك الكارثة وقعت منذ

زمن بعيد لكنها لا تزال حاضرة

أمامه بكل ذكرياتها الأليمة..

والآن بات يخشى تكرارها!

أغلق كتابه وهو يخرج نفسا عميقا

عل نفسه القلقة تهدأ وترتاح، قام

الى الحمام يتوضأ ليصلي ركعتين

لله يزيح بهما تلك الغصة المحيطة

بفؤاده ولسانه لا يكف عن الدعاء

لابنته.. فتح الحنفية ووضع رأسه

تحت مائها البارد لدقائق طويلة لم

يعرف لها عدا، فقط ظل على وضعه

يناجي سكينة هو في أمس الحاجة

اليها وبينما هو على هذه الحال ارتفع

رنين هاتفه فقطب جبينه بقلق وخرج

من الحمام الملحق بغرفته، ألقى نظرة

خاطفة على زوجته النائمة

كالأطفال وواصل تقدمه نحو هاتفه،

التقطه بسرعة وهاله رؤية رقم ابنته

العروس في ليلة زفافها!.. تسارعت

دقات قلبه وهو يرد بلا تفكير بينما

قادته قدماه الى خارج الغرفة لا

اراديا ، وضع السماعة على أذنه مرددا

بصوت حاول جعله مطمئنا:

-نعم فاتن..

وصوت ارتطام الهاتف بالأرض كان

جوابه وتبعه صراخ فاتن المذعور

باسم ابراهيم لكن صوتها انقطع

فجأة هي الأخرى وكأن هناك من

جعلها تخرس، ناداها مرة ومرتين وفي

الثالثة كان يجلس خلف مقود

سيارته ويخرج من منزله كالمجنون،

لم يفكر حتى بتغيير منامته الزرقاء

وخفيه المشابهين للون منامته.. ضرب

لوحة أرقام هاتفه بعنف وانتظر

لبرهة قبل أن يأتيه صوت محدثه

اليقظ من الجهة الأخرى:

-نعم سيد آدم..

وجوابه صرخة مذعورة لأب يكاد يفارق ابنته كما فارق شقيقته قبلها بسنوات.. صرخة رجل يعجز عن حماية أهل بيته ولو كانوا في ذمة آخرين غيره.. صرخة رجل مقهور على صغيرته..

وما أقسى قهر الرجال!

لم يفهم الرجل كلامه فاضطر ليعيد

ما قاله، استدعى هدوءه متسائلا من

جديد:

-الى أين ذهبا؟

والحارس أدرك أن هناك خطبا ما،

فرجل معروف برباطة جأشه كآدم لا

يمكن أن تتخلل نبرته تلك الرجفة

الا اذا كان الأمر جلل..

وكم كان محقا!

أعطاه عنوان المنزل فأيقن آدم أن

القدر يعبث به من جديد وأنه سيشرب

من نفس الكأس لا محالة، فقد

أعصابه وهو يلقي أوامره التي لا تقبل

النقاش:

-عودوا الى مواقعكم.. هناك من

اقتحم منزلهما.. أريد الكل هناك..

وأضاف بزعيق امتزج بالخوف والغضب

والندم:

-حالا..

والحارس أذعن للأوامر وبدأ التنفيذ

فورا بعدما أغلق الخط مع رئيسه في

حين ضغط آدم دواسة البنزين ليصل

الى سرعة جنونية لم يصلها حتى

أيام سباقه مع فاتن الشقراء..

***

هل شعرت يوما بروحك تنساب من

بين أصابعك! بقلبك يقطر دما

بينما أنت عاجز! وبلسانك يدعو أن

تقبض روحك في التو واللحظة!!

وهل جربت يوما أن تقتل وأنت على

قيد الحياة!

ان لم تعش تجربته فبالتأكيد أنت

لم تفهم نصف الكلام، وربما فهمته

لكنك حتما لم تشعر بمعانيه،

لأنك وببساطة بعيد عن قلب

الحدث.. لست معنيا بتلك المرأة التي

تتعرض للاغتصاب أمام عيني زوجها!

أما هو فقد كان يموت في اللحظة

مائة مرة، كلما اقترب منها ذلك

الشخص الذي اعتبره صديقه تمنى لو

قتله يوم رآه، لكان على الأقل ينعم

بحضن زوجته الآن..

واصل الصراخ ومحاولة الفكاك من

قيده بينما جاسر يواصل ما يفعله

بدم بارد ، فاتن تقاوم وترفض لكنها

أضعف منه وقد كاد ينال منها لولا

لحظة الصمت التي خيمت فجأة على

الغرفة دون أن يدرك أحد سببها..

جحظت عينا جاسر بصدمة لوهلة

قبل أن يسقط ثقل جسده على فاتن

التي لم تكن أقل صدمة منه، انتشار

الدماء حولها زاد من ذعرها فأخذت

تتخبط تحت جثته التي لا تتحرك

قيد أنملة.. شعر ابراهيم بطوق نجاة

يمد اليه من العدم وبدأ يطلب منها أن

تهدأ فالمساعدة بالتأكيد قادمة..

اقتربت ميرنا من جاسر تناديه بقلق

ولأول مرة يسمع ابراهيم صوتها ويسأل

باستنكار:

-ميرنا!!

انتبهت أنها خالفت أوامر جاسر بالتزام

الصمت مهما حدث وذلك حفاظا على

مكانتها لدى ابراهيم لكن وبما أنها

دمرت كل شيء فلتكمل ما بدأه

جاسر وتحرمهما السعادة التي يحلمان

بها..

وقفت تواجههما بانتصاب بعدما خلعت

القناع الحاجب لملامح وجهها مرددة

بتهكم:

-أجل ميرنا..

وأكملت بضحكة ساخرة تشوبها

المرارة:

-على الأقل تذكر صوتي!

سألها بعدم فهم:

-لماذا؟!

والاجابة باردة حد اللامبالاة:

-لأنني أحبك..

فقد أعصابه فصرخ بغضب:

-تقتحمين منزلي وتدعين أنك

تحبينني!!

بادلته الصراخ بحقد:

-أجل أحبك ولهذا غفرت لك

قتلك أخي.. كنت أريد ابعاد سمر

عنك لتعوضني حنان أخي الذي

فقدته بسببك..

ثم استدارت نحو فاتن والشرر يتطاير

من عينيها:

-بعد سمر ظهرت هذه الحقيرة لتهدم

كل ما بنيته في لحظة.. سرقتلك

مني كما سرقت عمتها وزوجها أخي..

وأشهرت مسدسها في وجه فاتن التي

اتسعت عيناها رعبا ظنا منها أنها

النهاية، حاول ابراهيم الكلام معها

وتشتيت انتباهها لكنها صممت على

قتل غريمتها ولو كلفها الأمر

حريتها..

ابتسمت بغل هامسة:

-هل من أمنية أخيرة؟!

التمعت عيناها بانتصار وما هي الا

لحظة حتى اخترقت الرصاصة

جسدها ، أغمضت فاتن عينيها بقوة

وصرخ ابراهيم برعب لكن كانت

ميرنا من سقط أرضا وذراعها تنزف..

شكر ابراهيم ربه أن أنقذ زوجته

للمرة الثانية وطلب من فاتن أن تفك

ما بقي من قيده بسرعة، لم تستطع

الامتثال لما قاله بسبب الصدمات

المتتالية التي تعرضت لها فصرخ

بصوت مبحوح جعلها تنتفض وتخلص

نفسها من القيد.. كادت تذهب اليه

لكنه طلب منها أن تنبطح أرضا حتى

لا تبطش بها رصاصة ثالثة هي

الأخرى، استجمعت شجاعتها ونزلت

أرضا على الجهة الأخرى من السرير

تجنبا لجاسر وميرنا الملقيان هناك

حتى وصلت الى زوجها وفكت وثاقه..

ضمها الى صدره يخفف عنها بهمس

مطمئن:

-نحن بخير لا تقلقي..

انهمرت الدموع من عينيها كشلال

متدفق وهو يهدهد ويربت على

كتفيها تارة ويلمس شعرها تارة أخرى

حتى هدأت وتيرة تنفسها وبدأت تعود

الى طبيعتها..

أجلسها أرضا وجاورها يلثم باطن

كفها بقبلة عميقة كأنه يعبر عن

امتنانه كونها بخير، انتبهت فجأة

لخيط الدم خلف عنقه فهتفت بقلق:

-ابراهيم أنت مصاب..

أحاط وجهها بكفيه بينما ينظر في

عمق عينيها بحب:

-يكفي أن تكوني بخير لأكون كذلك..

عادت الدموع تنهمر من عينيها فضمها الى صدره بحنان:

-ششششش اهدئي.. أنا بخير، لا تقلقي..

ثم ساعدها على النهوض للخروج من هذه الغرفة التي كانت نهاية لأرواح كثيرة منذ وطأها ابراهيم الخليلي وزوجته، نزلا الدرج ببطء شديد

وقبل وصولهما لباب الخروج رن

الجرس معلنا عن وجود زوار.. تبادلا

نظرة خائفة وكاد ابراهيم يفتح

لولا أن منعته والدموع تغشي عينيها:

-أرجوك لا تفتح.. قد يقتلونك اذا

فتحت..

عاد جرس الباب يرن وحاول تهدئتها

دون جدوى، فالخوف قد بلغ منهما

مبلغه..

ظلا على تلك الحال لمدة قبل أن

يتحول الرنين الى ضرب عنيف على

الباب صاحبه صوت آدم المذعور:

-فاااااتن..

وما ان سمعت صوت والدها حتى

تخلصت من حضن زوجها وسارعت

تفتح الباب وتلقي بنفسها بين

ذراعيه:

-أبي أنا خائفة..

تبادل نظرة مع ابراهيم الذي لم

يستطع مواجهته وعاد يطمئن ابنته

أنها بخير ولا أحد سيتعرض لها أبدا ما

دام هو على قيد الحياة..

مهما طال زمن العاصفة تظهر الشمس

بالنهاية مبددة كل غيوم الألم..

أشعتنا تنشر خيوطا من أمل أن الفرج

قريب وقادم لا محالة..

وعاصفتهما اشتدت في ساعة من

الوقت كادا ييأسان فيها من نجاتهما

لكن الغيوم تبددت في الوقت

المناسب لتظهر شمس تنير حياتهما

وتعطيهما فرصة جديدة يعيشانها

معا..

في اليوم التالي كانت الشرطة

تحقق بالمكان والاسعاف تعالج

المصابين وتنقل جثة جاسر الى

المشرحة في حين تم أخذ ميرنا

كحالة مستعجلة الى المشفى.. آدم

كان أول مشتبه به كون رجاله قتلوا

جاسر

سأله الضابط بحزم:

-كيف علمت بأمرهما؟

كلمة واحدة لا تفي بالغرض كانت

اجابته:

-احساس..

والقانون لا يتعامل بالعاطفة، القانون

يعتمد على الأدلة والحقائق

الملموسة وهو لا يملكها.. أكمل

أسئلته بنفس الجدية:

-وكيف راودك هذا الاحساس؟

أخذ نفسا عميقا وقرر التجاوب مع

التحقيق لينتهي بأسرع وقت ممكن:

-هناك حادثة مشابهة وقعت منذ

زمن في عائلتنا..

وقص عليه ما حدث بالتفصيل

والضابط يستمع اليه بتركيز شديد

حتى انتهى، ملامحه لم تتغير لذلك

لم يستطع آدم معرفة ما اذا كان

اقتنع أم أن الأمر سيطول أكثر

لكنه لم يهتم واستأذن منه ليعود

الى ابنته ويطمئن عليها..

عاد الى قاعة الجلوس حيث تتلقى

فاتن وزوجها الاسعافات الأولية وجلس

الى جانبها يحتضن كفها بين يديه

كأنه يشكرها على بقائها حية،

رفعت عينيها اليه لتلتقي نظراتهما

ويبتسما رغم الصدمة التي ألمت بهما

ثم استدار نحو ابراهيم الذي كان

يتابعهما بابتسامة مرتبكة..

افتتح آدم الحديث بمرح:

-ما حدث يشبه الأفلام الى حد

كبير..

ضحك ابراهيم بخفوت وتبعته فاتن

لكن آدم سرعان ما استعاد جديته:

-لا أريد لأحد أن يعرف بما حدث

هنا..

وأكمل بتحذير:

-خاصة والديكما..

قاطعه ابراهيم بفضول:

-كيف علمت بشأننا واستطعت

التدخل في الوقت المناسب..

اعتدل في جلسته وهو يجيب بهدوء:

-أرسلت خلفكما طاقم حراسة

لكنني طلبت منهم الانسحاب حين

شعرت أنني بالغت في القلق بشأن

الماضي واتصال فاتن الغامض جعلني

أعيدهم الى مواقعهم ليتصرفوا.. حل

الصمت على المكان حتى قطعته

فاتن بجدية:

-أبي..

وأكملت بعدما شدت انتباه الرجلين

لها:

-كيف تريد اخفاء الأمر عن أمي

وأنت لا تملك تبرير خروجك من

المنزل بهذه المنامة؟

كتم ابراهيم ضحكته بصعوبة

وهب آدم على قدميه كمن لدغته

أفعى ثم تدارك نفسه محاولا مداراة

حرجه من ثيابه:

-معك حق سأذهب الى المخفر الآن

لأدلي بأقوالي ثم أعود الى المنزل

لأقدم شهادتي كاملة..

وخرج قبل أن يقولا كلمة واحدة في

حين ضحكا بشدة على موقفه..

انتبهت أنه يتأملها بهيام فأشاحت

وجهها بعيدا، رفع ذقنه لمواجهة

عينيها وقبل أن يتكلم قاطعهما

الضابط:

-عليكما بمرافقتنا الى قسم

الشرطة

انفجرا ضاحكين ثم قاما يرافقانه

وفي الطريق همس في أذنها:

-عروسين صبيحة زفافهما في قسم

الشرطة!

الخاتمة

عجلة الزمن تدور ولا تتوقف عند

أحد.. ان أنت سايرتها وتكيفت مع

تقلباتها سلمت وان عجزت عن فهمها

سحقتك تحتها كحبة قمح بين

شقي رحى..

وأسطورة ابراهيم وفاتن بدأت بين

أستاذ بارد وطالبته العنيدة لكنها

دفنت تحت التراب قبل أن تزهر.. ومن

رحمة القدر أن أحيا هذه القصة بعد

جيل كامل.. ابراهيم الصحفي يتزوج

فاتن المهندسة ليعوضا قصة قدر لها

أن تدفن في المهد!

بعد يوم شاق من العمل عاد الى منزله

ليجد زوجته ببطنها الكروي تعد

وجبة طعامه، ابتسم بخبث ثم قرر

مشاكستها قليلا بمقلب يعلم مسبقا

أنه سخيف.. تصلبت ملامحه وهو

يجلس على طاولة المطبخ ممثلا دور

الغاضب من شيء ما وفاتن قابلته

بابتسامتها الحانية، أحاطت عنقه

بذراعيها بينما تجلس في حضنه

والهمسة مغوية:

-اشتقتك

وعلى بعد شعرة من شفتيها رد الهمس:

-حضري الطعام أنا جائع!

قطبت جبينها بعد فهم وبوادر

استيائها تلوح في الأفق، سألته بعد

فهم:

-ما الخطب؟

لم يتخل عن نبرته الجافة مجيبا:

-جائع...

رفعت حاجبيها بدهشة يتخللها

الغيظ:

-جائع!!

اقترب من أذنها هامسا:

-أصبحت ثقيلة..

وخاض في مياه يوقن أنها خطرة!

ابتعدت عنه كمن لدغتها أفعى

وعادت الى وجبتها دون أن تهمس

ببنت شفة، شعر بتأنيب الضمير لما

فعله فقرر تطييب خاطرها.. أحاطها

بذراعيه من الخلف فصرخت بأعلى

صوتها ، تراجع للخلف خطوة متسائلا:

-أجننت!!

وألم المخاض في حد ذاته جنون!

فهم ما تمر به فساعدها على المشي

حتى السيارة محاولا التخفيف عنها

لكن ألمها وحنقها عليه جعلاها

تكرهه أكثر:

-أنت السبب في كل ما أعانيه.. أنت

السبب

انطلق بسيارته والقلق ينهش كيانه:

-اهدئي فاتن.. تنفسي حبيبتي..

والهدوء في هكذا حالة ضرب من

الخيال، واصلت كلامها بعصبية:

-تريدني أن أهدأ؟!.. ما رأيك لو

تتوقف لتتناول الطعام أيضا..

أخبرتني أنك جائع..

تذكر سبب غضبها الرئيسي فقهقه

عاليا:

-كنت أمزح هل صدقتني!

وواصل الضحك ما زاد غيظها، طحنت

الحروف بين أضراسها قائلة:

-توقف

نظر اليها بدهشة فكررت:

-قلت لك توقف..

حبس ضحكته بصعوبة مجيبا

بغمزة:

-لا أريد لابنتي أن تولد على قارعة

الطريق..

تمنت لو أنها تحمل مسدسا معها لكن

الألم شتت انتباهها فصمتت حتى

وصلت المشفى ودخلت قاعة الولادة

في حين ظل هو في الخارج يجوب

الأروقة ذهابا وايابا وقد بلغ منه

القلق مبلغه، لم يترك ممرضة ولا

مريضا يمر من هناك الا وسأله متى

سيستطيع رؤية زوجته.. انقضت

ساعات طويلة وهو ينتظر حتى

جاءته امرأة تحمل بين يديها رضيعة

أخبرته أنها ابنته، حملها بين يديه

وهو يسمي اللّه ويؤذن في أذنها ثم

قبل جبينها وأعادها الى الممرضة

لتأخذها الي قسم الأطفال.. همت

بالمغادرة حين أوقفها بسؤال:

-ماذا عن فاتن؟

ضحكت بود:

-لا تقلق هي بخير.. ستستطيع رؤيتها بعد قليل..

التمعت عيناه بامتنان وجلس على مقعد جانبي لساعات أخرى حتى سُمح له برؤيتها.. دق الباب بلطف وأطل برأسه مبتسما:

-كيف حال الماما؟

ابتسمت بارهاق:

-الماما بخير لكنني سمعت أن البابا

قد قلب المشفى رأسا على عقب..

لثم جبينها بقبلة طويلة ثم همس:

-أفعل أي شيء من أجلك..

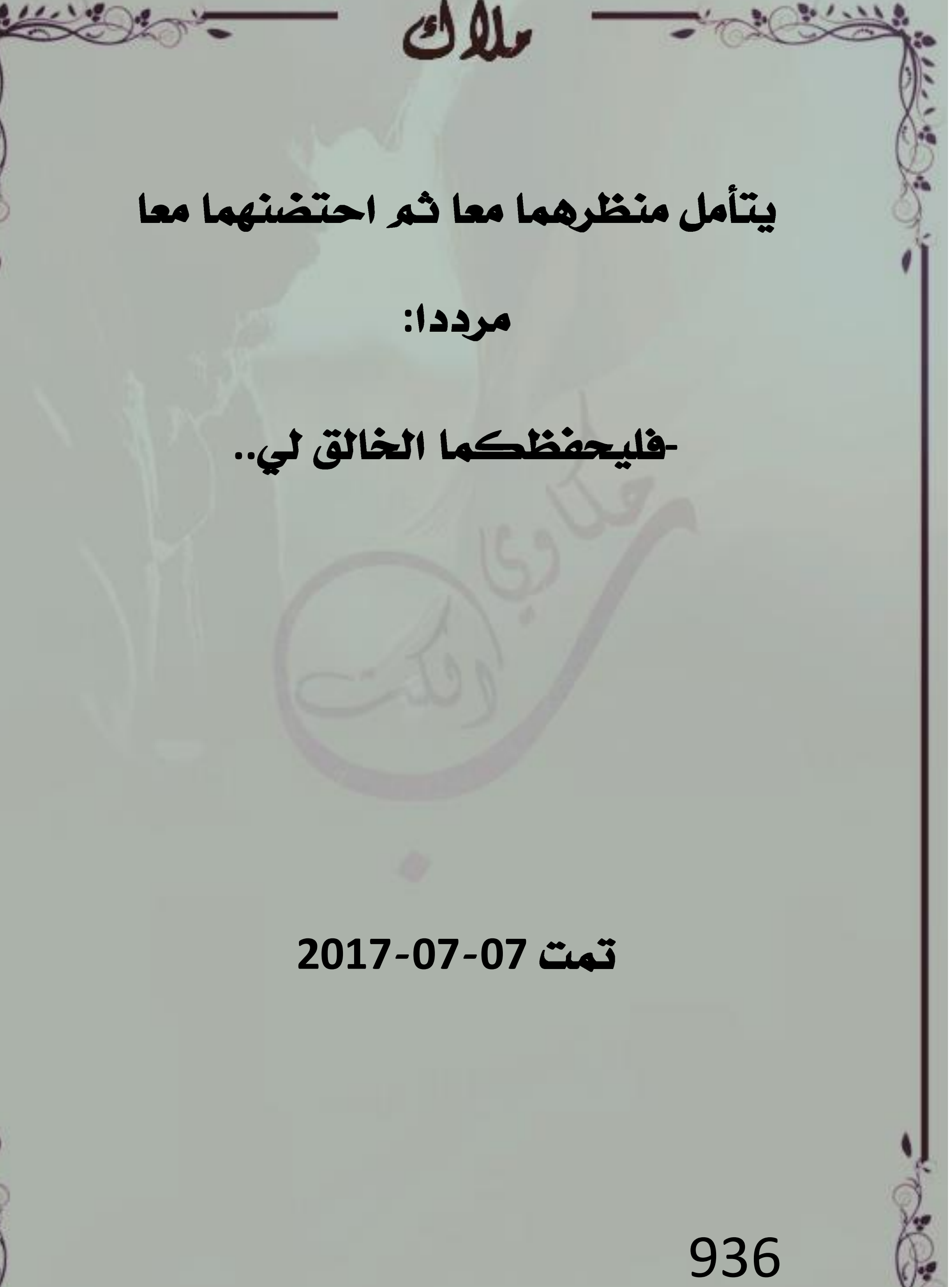
-عذرا على مقاطعة هذه اللحظات

الشاعرية لكن أميرتكما جائعة..

كان هذا صوت الممرضة وهي تدخل

القاعة حاملة بين ذراعيها ابنتهما ،

تلقتها فاتن بحب وجاورهما ابراهيم



يتأمل منظرهما معا ثم احتضنهما معا

مرددا:

-فليحفظكما الخالق لي..

تمت 07-07-2017